

1. The first step is to identify the problem. This involves understanding the symptoms and the context in which they are occurring.

Bibliotheca Aemulorum

[illegible]

مَوْعِدُ الْعَتَبَةِ الْمُقَدَّسَةِ
قِسْمُ كَرِيْمَاءِ - ٨

مُوسَىٰ عَزَّ الْعَتَبُ الْمُقَدَّسَةُ

٨

الجزء الثامن

قسم كربلاء

تأليف

جعفر الخليلي

منشورات

مؤسسة الأعلی للطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب. ٧١٢٠

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الثانية

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

مؤسسة الأعلبي للطبوعات :

ببيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب. ٧١٢٠١

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

هذا هو الجزء الاول من (قسم كربلا) من موسوعة العتبات المقدسة ، ويغلب على الظن انه سيكون الجزء الاول لعشرة اجزاء يتم فيها عرض تاريخ كربلا عرضاً كاملاً يتناول هذه المدينة في مختلف عصورها ومنذ ابتداء نشأتها حتى هذا اليوم ، وهي اجزاء نرجو ان تكون مستوفية كل الشروط المطلوبة لتكون مصدراً علمياً ، متقناً ، ومرجعاً يصح الركون اليه في تتبع كل شيء يتعلق بهذه المدينة . من حيث تاريخها العلمي ، والثقافي ، والادبي ، والسياسي ، والعمراني ، والاجتماعي فقد هيأنا كل المقتضيات العامة اللازمة للمضي في هذا المشروع الى النهاية ، وقد انضمت اليها طائفة من ارباب الاختصاص وفي ضمنهم عدد غير قليل من اساتذة جامعة بغداد ، وارباب الفضل من الاساتذة والكتاب الاخرين ، ولم يزل العاملون من المتخصصين يزداد عددهم في الانضمام اليها يوماً بعد يوم لاجراء ما يتيسر من اجزاء كل عتبة من العتبات ، اما الشيء غير المضمون في عملنا هذا فهو الزمن ، اذ لا ندرى كم يتطلب عملنا هذا من الوقت والى كم سيمدنا الله بعونه من حيث فسحه المجال لنخرج اكبر عدد من الاجزاء

عن كل عتبة من العتبات حتى تكون لكل عتبة موسوعة كاملة مستقلة .

ونحن حين قسمنا المواضيع على الكتاب المتخصصين لم نلزم انفسنا بمراعاة الترتيب في اخراج هذه الاجزاء حسب مكانة العتبة ، وانما التزمنا بطبع اي جزء يتم تأليفه من هذه الاجزاء ، ولو كنا راعينا الترتيب لظللنا الى حد هذا اليوم ونحن ننتظر صدور الجزء الاول من (مكة المكرمة) الذي لم تتم مسودته الى حين هذا اليوم ، مع ان التصدي لكتابته قد سبق الاجزاء الاخرى وتبأت صورته ووثائقه وصور (المدينة المنورة) ووثائقها قبل ان تنهى صور العتبات الاخرى ، بينما قد جهزت مسودات عتبة الكاظمين التي ستمثل للطبع بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، ولم تجهز مسودات العتبات الاخرى .

والجزء الاول من قسم كربلا يشمل عرضاً لاسم كربلا وما يحيط بها من المواقع ، ومعانيها ، وصفاتها ، وما ورد باختصار عن كربلا في بطون اهم الكتب التاريخية القديمة والحديثة ، العربية منها ، والغربية ، بحيث يصبح مرآة تعكس في ذهن القارئ ما يتطلبه العلم الصحيح ، والثقافة الحديثة عن هذه المدينة العريقة . فهو على هذا بمثابة التعريف لهذه المدينة الذي لا يستغني عنه الباحث والقارئ ، والذي يقتضيه التأليف الحديث ايسهل بعد ذلك تتبع مواضيع كربلا الاخرى في اجزائها الاخرى وتفهمها لكل قارئ .

دار المعارف

بغداد

كربلاء قديماً

كتبه

الدكتور مصطفى جواد

خريج جامعة السوربون في التاريخ العربي

والاستاذ بجامعة بغداد — كلية التربية

والعضو بالمجمع العلمي العراقي — والمجمع العلمي العربي بدمشق

كربلاء قديماً

معنى كربلاء :

قال ياقوت الحمويّ : « ... فأما اشتقاقه فالكربلة رخاوة في القدمين ، يقال : جاء يمشي مُكربلاً ، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع رخوة ، فسُميت بذلك . ويقال : كُربِلْتُ الحنطة إذا هزتها ونقيتها ويُشَدُّ في صفة الحنطة :

يحملن حمراء رسوباً للثقل قد غُرِبَلَتْ وكُربِلَتْ من الفصل

فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض متقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك . والكربلُ اسم نبت الحماض ، قال أبو وجزة السعدي يصف عهد الهودج :

وتامر كُربلٍ وعميم دفلٍ عليها والندی سَبَطُ يمورُ

فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نباته هناك فسمي به . وذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني أن « كربلاء » منحوتة

من كلمتي «كُور بابل» بمعنى مجموعة قرى بابلية (١)، وقال الأب اللغوي أنستاس الكرمل: «والذي نتذكره فيما قرأناه في بعض كتب الباحثين أن كربلاء منحوتة من كلمتين من (كرب) و(إل) أي حرم الله أو مقدس الله (٢)» .

قلنا : إن رجع الأعلام الأعجمية إلى أصول عربية كان ديدنا لعلماء اللغة العربية منذ القديم ، فقلما اعترفوا بأنّ علماً من الأعلام أصله أعجمي ، دون أسماء الجنس فانهم اعترفوا بعجمتها وسموها «المعربات» ، لأن الذين يعرفون اللغة الفارسية كثير ، ولأنهم يدرون أصول المعربات على التحقيق والتأكيد ، وكان الذي يُسهل عليهم اجتيال الأعلام وغيرها إلى اللغة العربية كونها مشابهة وموازنة لكلمات عربية ، كما مرّ في «كربلاء» والكربلة والكربل ، فهم قالوا بعروبة تلك الأعلام الأعجمية ثم حاروا في تخريجها اللغوي فبعثهم ذلك على التكلف . كما فعلوا في كربلاء وغيرها من الأعلام الأعجمية .

وأنا أرى محاولة ياقوت الحموي ردّ «كربلاء» إلى الأصول العربية غير مجدية ، ولا يصح الاعتماد عليها ، لأنها من بابة الظن والتخمين ، والرغبة الجارحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدراً لسائر أسماء الأمكنة والبقاع ، مع أن موقع كربلاء خارج عن جزيرة العرب ، وأن في العراق كثيراً من البلدان ليست أسماؤها عربية كبغداد وصرورا وجوخا وبابل وكوش وبعقوبا ، وأن التاريخ لم ينص على عروبة اسم «كربلاء» فقد كانت معروفة قبل الفتح العربي للعراق وقبل سكنى العرب هناك وقد

(١) كتاب نهضة الحسين - ج ١ - ص ٦ . طبعة مطبعة دار السلام ببغداد س ١٣٤٥ - ١٩٢٦ م

(٢) لغة العرب مج ٥ ص ١٧٨ سنة ١٩٢٧ .

كربلاء قديماً ١١

ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد القائد العربي المشهور في غزوته لغربي العراق سنة ١٢ هجرية ٦٣٤ م . قال ياقوت الحموي : « ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا إليه عبدالله بن وشيمة النصري (١) الذبان : فقال رجل من أشجع في ذلك :

لقد حُبِسْتُ في كربلاء مطبّي وفي العين (٢) حتى عاد غثاً سمينها
إذا رحلتُ من منزل رجعت له لعمرى وإياها ' إنني لأهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها (٣)

ومن أقدم الشعر الذي ذكرت فيه كربلاء قول معن بن أوس المزني من مخضرمي الجاهلية والاسلام وعمر حتى أدرك عصر عبدالله بن الزبير وصار مصاحباً له ، وقد كُفّ بصره في آخر عمره . وذكر ياقوت الحموي هذا الشعر في « النوائح » من معجمه للبلدان . و « المعبر » وذكره قبله أبو الفرج الاصبهاني في ترجمة معن من الاغاني « ١٢ : ٦٣ دار الكتب » وقال وهي قصيدة طويلة :

إذا هي حلتْ كربلاء فلعلها فجوز العذيب دونها فالنواثحا
فبانت نواها من نواك فطاوعت مع الشائنين الشائيات الكواشحا
توهمتُ رعباً بالمعبر واضحاً أبت قرّناه اليوم إلا تراوحا

(١) أو النصري وفي الأصل من طبة مصر « البصري » وهو محال لأن البصرة لم تكن يومئذ قد مصرت ، ولأن العرب القدامى في القرن الأول والقرن الثاني لم يكونوا يتسبون الى المدن والأقطار بل الى الآباء والقبائل والأفخاذ والعمارات والبطون . أما غير العرب فجاؤا فيهم كما سرجوه البصري الطيب « مختصر الدول لابن العربي » ص ١٩٢ « وفي تاريخ الطبري سنة ١٢ أن القائل من أشجع .
(٢) يعني عين التمر المعروف حصنها اليوم بالأخضر .
(٣) معجم البلدان في « كربلاء » .

أرَبَتْ عليه رادة حضرية ومرتجز كأنّ فيه المصباحا
فقولا لليلي هل تعوض نادياً له رجعة قال الطلاق ممازحاً
فان هي قالت لا تقولا لها يلي ألا تتقين الجاريات الذوابحا

وقال الطبري في حوادث سنة ١٢ : « وخرج خالد بن الوليد في عمل عياض بن غنم ليقضي ما بينه وبينه ولا غائته فسلكت القلوحة حتى نزل بكربلاء وعلى مسلحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدمته خالد الأقرع بن حابس ، لأن المثنى بن حارثة كان على ثغر من الثغور التي على المدائن ، فكانوا يغاورون أهل فارس ويتتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض ... وأقام خالد على كربلاء أياماً وشكا إليه عبدالله بن وثيمة الذباب ، فقال له خالد : اصبر فاني إنما أريد أن استفرغ المسالحي التي أمر بها عياض فنسكنها العرب فتأمن جنود المسلمين أن يوثقوا من خلفهم وتجيئنا العرب آمنة غير متعنتة ، وبذلك أمرنا الخليفة ورأيه يعدل نجدة الأمة . وقال رجل من أشجع فيما شكا ابن وثيمة : لقد حُبست في كربلاء مطيبي ... » الأبيات .

وقال ياقوت الحموي في كلامه على الكوفة : « قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : لما فرغ سعد بن أبي وقاص من وقعة رستم بالقادسية وضمن أرباب القرى ما عليهم بعث من أحصاهم ولم يسلمهم حتى يرى عمر فيهم رأيه ، وكان الدهاقين ناصحوا المسلمين ، ودلوهم على عورات فارس ، وأهدوا لهم وأقاموا لهم الأسواق . ثم توجه سعد نحو المدائن إلى يزيدجرد وقدم خالد بن عرفطة حليف بني زهرة بن كلاب ، فلم يقدر عليه سعد حتى فتح خالد ساباط المدائن ، ثم توجه إلى المدائن فلم يجد معابر فدلوه على مخاضة عند قرية الصيادين أسفل المدائن فأخاضوها الخيل حتى عبروا ،

كربلاء قديماً ١٢

وهرب يزدجرد الى اصطخر ، فأخذ خالد كربلاء عنوة وسبي أهلها ،
فقسمها سعد بين أصحابه ، ونزل كل قوم في الناحية التي خرج سهمه
فأحيوها ، فكتب بذلك سعد الى عمر ، فكتب اليه عمر أن حوّلهم . فحوّلهم
الى سوق حكمة ويقال الى كويقة ابن عمر دون الكوفة .. » .

ولقائل أن يقول إن العرب أوطنوا تلك البقاع قبل الفتح العربي ، فدولة
المنافرة بالحيرة ونواحيها كانت مُعاصرة للدولة الساسانية الفارسية وفي
حمايتها وخدمتها ، والجواب أن المؤرخين لم يذكروا لهم إنشاء قرية سميت
بهذا الاسم — أعني كربلاء غير أن وزن كربلاء الحلق بالأوزان العربية ونقل
« فَعَلَّلَا » الى « فَعَلَّلَاء » في الشعر حَسْبُ . فالأول موازن بلحججى
وقرقى وقهقرى والثاني موازن لعقرباء وحرملاء ، زيد همزة كما زيد
بَرْنَسَاء .

أما قول الأب اللغوي أنستاس ما معناه أن كربلاء منحوتة من « كرب »
و « إل » فهو داخل في الامكان ، لأن هذه البقاع قد سكنها الساميون
وإذا فسرنا « كرب » بالعربية ايضاً دل على معنى « القُرب » فقد قالت
العرب : « كرب يكرب كروباً أي دنا » وقالت « كرب فلان يفعل وكرب
أن يفعل أي كاد يفعل ، وكاد تُفيد القرب ، قال ابن مقبل يصف ناقته :
فبعثتها تَقِصُّ المقاصر بعدما كربتُ حياةُ النار للمتور (١)

وقال أبو زيد الأسلمي :

سقامها ذوو الأرحام سجلاً على الظما وقد كربت أعناقها أن تقطعا (٢)

(١) مادة قصر من الصحاح ، أي قرب انطفأوا .

(٢) الكامل للمبرد « ج ١ ص ١٢٨ طبعة الدبلموني الأزهرى .

١٤ مصطفى جواد

وجاء في لسان العرب « كرب الأمر كروباً : دنا » ... قال عبد القيس بن خفاف البرُجمي :

أبني إن أباك كاربُ يومه فاذا دُعيتَ الى المكارم فاعجل

... وكل شيء دنا فقد كرب ، وقد كرب أن يكون وكرب يكون ... وكربت الشمس للمغيب : دنت ، وكربت الشمس للغروب ، وكربت البخارية أن تُدرك ، وفي الحديث : فاذا استغنى أو كرب استعفاً . قال أبو عبيد : كرب أي دنا من ذلك وقرب ، وكل دان قريب فهو كارب . « في حديث رقيقه : أبيض الغلام أو كرب أي قارب الايفاع » . فكرب البابلية قرية من العربية .

وإذا فسرنا « إل » كان معناه « الاله » عند الساميين أيضاً ، ودخول تفسير التسمية في الامكان لا يعني أنها هي التسمية الحقيقية لا غيرها ، لأن اللغة والتاريخ متعاونان دائماً فهي تؤيده عند احتياجه اليها وهو يؤيدها عند احتياجها اليه ، فهل ورد في التاريخ أن موضع كربلاء كان « حرم إله » قوم من الأقوام الذين سكنوا العراق ؟ أو مقدس إله لهم ؟ لا يجيبنا التاريخ عن ذلك ومن الأسماء المضافة إلى « ال » بابل وأربل وبابل (١) .

ومن العجيب أن لفظ « كرب » تطور معناه في اللغة العبرية ، قال بعض الأدباء الأمريكيين : « مما يصور لنا فكرة عن سوء أسلوب الحياة أن نجد الكلمة العبرية (كرب Karab) - ومعناها يقترب - تعني في الوقت

(١) قال هلال الصابي : « وبنو الفرات من قرية تدعى بابل صريغن من النهر وان الأعلى » ، « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » ص ١١ طبعة دار إحياء الكتب العربية « وقال ذلك قبله الصولي « تاريخ بغداد لابن التبرار . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١ و ٢٤ » .

١٥ ————— كربلاء قديماً

نفسه (يُقاتل ويحارب) ومن هنا كانت كلمة (كراب Korab) بمعنى معركة «(١)». لذلك يمكن القول بتطور الاسم «كربلاء» من الحقيقة الى المجاز وبذلك لا يجب الالتزام بأصل معناه بل يجوز ، ومما قدمنا يفهم أن «كربلاء» مقصور في الأصل وأن الهزمة أدخلت عليها لضرورة الشعر الذي نقلناه آنفاً وهو قول عبد الله بن وثيمة أو غيره «لقد حبست في كربلاء مطيبي» فلو قال في «كربلاء» لم يستقم وزن البيت ، ومد المقصور من ضرائر الشعر المعروفة وهو انقل من قصر الممدود .

وعلى حسابان «كربلاء» من الأسماء السامية الآرامية أو البابلية ، تكون القرية من القرى القديمة الزمان كبابل ولاريل ، وكيف لا وهي من ناحية «نينوى» (٢) «الجنوبية» قال ياقوت الحموي : «نينوى بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح النون والواو بوزن طيطوى ... وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى ، منها كربلاء التي قُتل بها الحسين ، رضي الله عنه (٣)» . وقال في كتاب له آخر : «نينوى موضعان : بكسر النون وباء ساكنة ونون أخرى مفتوحة وواو وألف مُعالة ؛ نينوى بلد قديم كان مقابل مدينة الموصل . «وينوى كورة كانت بأرض بابل منها كربلاء التي قُتل بها الحسين بن علي» — عليهما السلام — (٤) . «وينوى من الأسماء الآشورية .

ولا نشك في أن نينوى السفلى سميت باسم نينوى العليا إحدى عواصم

-
- (١) المؤرخون والشعر — ص ٤٦ — ترجمة توفيق انيكندر الى العربية .
 (٢) ميزاً لها عن نينوى الشمالية ، إحدى عواصم الدولة الآشورية السامية ولا تزال أطلالها معروفة وسنعود الى ذكرها .
 (٣) معجم البلدان في مادة «نينوى» .
 (٤) الاشتراك وضماً والمفترق صقماً « ص ٤٣٠ » .

الدولة الآشورية المشهورة في التاريخ ، سُمِّيت إمّا بلعارضتها وإمّا لادامة ذكرها ، على عادة الناس في تسمية البلدة التي يُنشئونها بعد المهجرة من بلادهم والجلء عنها ويسمونّها باسم بلدتهم التي هاجروا منها . وهذا معروف قديماً وحديثاً ، وهو من أجمل ضروب الوفاء ، وإن كان لغير الأحياء .

ونقل بعض الفضلاء قول أحد الباحثين في تاريخ كربلاء القديم وهو «كل (١) ما يمكن أن يقال عن تاريخها القديم أنها كانت من أمّتهات مدن طسّوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس (الفرات القديم) وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة ، كما يستدل من الأسماء التي عرفت بها قديماً كعمورا ، ماريا ، صفورا ، وقد كثرت حولها المقابر ، كما عثر على جثث موتى داخل أوان خزفية يعود تاريخها إلى قبل العهد المسيحي ، وأما الأقوام التي سكنتها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة (٢) تربتها ، غزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها (٣) . ومن المعلوم ، كربلاء ليست على ضفة الفرات ولا على ضفافه ، فالقائل لو قال « كورة كربلاء » لكان القول علمياً .

ومما يدل على قدم كربلاء ايضاً ووجودها قبل الفتح الاسلامي ما ذكره الخطيب البغدادي بسنده إلى أبي سعيد التميمي قال : « اقبلنا مع علي (ع) من صفين فنزلنا كربلاء ، فلما انتصف النهار عطش القوم » وروى بعد ذلك بسنده ايضاً عنه قال : « اقبلت من الأنبار مع عليّ نريد الكوفة وعليّ في الناس ، فبينما نحن نسير على شاطئ الفرات إذ بلحج في الصحراء فتبعه

(١) في الأصل «كلما» مع أن «ما» هنا اسم موصول فهو في الخط مفصول .

(٢) الصواب «لخصب أرضها» .

(٣) مدينة الحسين أو مختصر تاريخ كربلاء للسيد محمد حسن مصطفى آل الكليدار « ص ٢٠١ » .

ناس من أصحابه وأخذ ناس^١ على (١) شاطئ الماء ، فكنت ممن أخلو مع علي^٢ حتى توسط الصحراء ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين إنا نخاف العطش ، قال : إن الله سيسقيكم ، وراهب قريب منا ، فجاء علي^٣ إلى مكانه فقال : احفروا هاهنا فحفرنا ، وكنت فيمن حفر ، حتى نزلنا - يعني عرض لنا حجر - فقال علي : ارفعوا هذا الحجر ، فأعانونا عليه حتى رفعناه ، فاذا عين باردة طيبة ، فشربنا ثم سرنا ليلاً أو نحو ذلك ، فعطشنا فقال بعض القوم : لو رجعنا فشربنا . فرجع ناس وكنت فيمن رجع ، فالتمسناها فلم نقدر عليها ، فأتينا الراهب فقلنا : أين العين التي ها هنا ؟ قال : آية عين ؟ قلنا (٢) : التي شربنا منها واستقينا والتمسناها فلم نقدر عليها . فقال الراهب : لا يستخرجها إلا نبي أو وصي . ثم ذكر الخليل بسنده إلى إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني أن « أبا سعيد التيمي » متروك الحديث وغير ثقة « (٣) » .

والمهم من هذا الحديث أن الامام علياً - ع - مرّ بكر بلاه وبلخج في الصحراء قبل سنة أربعين الهجرية ، ولم يذكر أحد من المؤرخين إنشاء مدينة باسم كربلاء في أثناء تلك السنين الأربعين ، وهذا مرادنا بقولنا إنها غير إسلامية ، وقد أشرنا إلى مثل هذا المعنى آنفاً . وهذا الخبر نقلناه لتأييده وتأكيده (٤) .

(١) أي ساروا من جهته وحل موازاته .

(٢) في الأصل (قال) وهو وهم من المحدث أو الناسخ .

(٣) تاريخ بغداد (١٢ : ٣٠٥ - ٣٠٦) .

(٤) وقد أطلق اسم كربلاء على غير موقع واحد قديم مما يدل على أن اسم كربلاء كان قديماً وقبل الفتح الإسلامي وكانت تسمى بـ (كاربالا) على ما روى السيد عبد الحسين آل طعمة متقولاً عن (الذريمة) -

موسوعة العتبات المقدسة (٢)

الطف

ومن المواضع التي عرفها العرب قديماً قرب كربلاء «الطف» قال ياقوت الحموي: «الطف بالفتح والفاء مشددة وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق... وقال أبو سعيد: سمي الطف لأنه مشرف على العراق من أطف على الشيء بمعنى أطل، والطف طف الفرات أي الشاطئ والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي - رضي الله عنه - وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل (١)

«لشيخ آغا بزرك، ومعنى (كاربالا) بالفهلوية هو (الفعل الملوي) ويموز تفسيرها (بالعمل السماوي) المفروض من الأصل، ثم عربت وصيغت صياغة عربية وسموها (كربلاء)، وهذا يقارب المعنى الذي ذهب إليه الأب انتاس لكلمة (كرب) و (إل) بأنها (حرم الله) أو (مقدس الله) ومن الأدلة على قدم كربلاء أو قدم الأكوار في تلك الجهات هو وجود اطلال وهضبات لم تزل قائمة على بعد بضعة أميال عن مدينة كربلاء، وقد جاء في (بغية النبلاء) في تاريخ كربلاء للسيد عبد الحسين آل طعمة قوله:

«يوجد اليوم على ما بلغني على بعد بعض أميال في القمم الشمالي الغربي من مدينة كربلاء باتجاه ضريح (الحرب بن يزيد الرياسي) في أرض القرطة والكمالية أكم واطلال قيل أنها «كربلاء» الأصلية، وقبل سني الحرب العالمية الأولى كان بعض أفراد من مطره يستخرجون من نفس الاطلال (طابوق، فرشي، ضخم، سلطاني) يحملونه على حبرهم إلى كربلاء لييمه على الأهلين كوسيلة، للعيش والارتزاق ويضيف المؤلف قائلا: «واذكر في هذا الخصوص أن السيد كاظم الطار كان مشغولاً ببناء داره الواقعة في حارة باب الطاق مقابل (امام باره الاميرة تاج دار بهو الهندية) يتنازع منهم لبنائه».

وفي الجنوب الشرقي من البلدة قطعة أرض يطلق عليها اليوم لفظة «كريلة» وفي تعيين موقع كربلاء القديمة يقول السيد عبد الحسين: «فموقع كربلاء على ضوء التحقيق الذي قمت به واقع على بعد بضعة أميال في الشمال الغربي من بلدة كربلاء الحالية ما يلي أرض (القرطة) وهو مكان مرتفع يسمى باصطلاح اليوم: الظهيرة أو العرقوب، ويبعد موقعها عن قبر الحرب بن يزيد الرياسي حوالي سبعة آلاف متر» إلى غير ذلك من الآراء التي أوردها المؤرخون الآخرون بالإضافة إلى ما تقدم. جعفر الخليلي (١) ثم قال ياقوت «قالوا وسميت (عين جمل) لأن جملاً مات عندها في حدثان استخراجها فسميت بذلك، وقيل إن المستخرج لها كان يقال له جمل، وسميت عين الصيد لكثرة السمك الذي-

كربلاء قديماً ————— ١٩

وذوابها ، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح (١) التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم وذلك أن سابور أقطعهم أرضها يعتملونها من غير أن يلزمهم خراجاً ، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيته — صلى الله عليه وآله وسلم — غلبت العرب على طائفة من تلك العيون وبقي بعضها في أيدي الأعاجم ثم لما قدم المسلمون الحيرة هربت الأعاجم بعد ما طمئت عامة ما كان في أيديها منها ، وبقي ما في أيدي العرب فأسلموا عليه وصاروا عمروه من الأرض عشرا ، ولما انقضى أمر القادسية والمدائن وقع ما جلا عنه الأعاجم من أرض تلك العيون الى المسلمين وأقطعوه فصارت عشرية أيضاً ، وقال الأقيشر الأسدي من قصيدة :

اني يذكّرني هنداً وجارتها بالطف صوت حمامات على نبق
بنات ماء معاً يبيض جآجثها حمر مناقرها صُفر الحماليق
أيدي السقاة بهن الدهر مُعملة كأنما لونها رجع المخاريق
أفنى تلامي وما جمعت من نشب قرع القواقيز أفواه الأباريق

وكان مجرى عيون الطف وأعراضها مجرى أعراض المدينة وقرى نجد وكانت صدقتها الى عمّال المدينة ، فلما ولي إسحاق بن ابراهيم بن مصعب السواد للمتوكل ضمّتها الى ما في يده فتولى عمّاله عشرها وصيرها سوادية ، فهي على ذلك الى اليوم ثم استخرجت فيها عيون اسلامية يجري ما عمر بها من الأرضين هذا المجرى ... قال أبو دهب الجُمحي يرثي الحسين بن علي — رضي الله عنه — ومن قتل معه بالطف :

= كان بها » وانا ارى القول الثاني هو الصواب ، ولو كان القول الاول هو الصواب لقل لما « عين الجبل » كما هو ظاهر .
(١) منها مسلحة الاخضر العظيمة .

مررت على أبيات آل محمد فلم أرَها أمثالها يومَ حُلَّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمي تخلَّت
ألا إن قتلى الطف من آل هاشم أذلت رقاب المسلمين فذلت
وكانوا غيائاً ثم أصبحوا رزية ألا عظمت تلك الرزايا وجلَّت
وجا فارس الأشقين بعد برأسه وقد نهلت منه الرماح وعلَّت

وقال أيضاً :

تبيت سكارى من أمية نومة وبالطف قتلى ما ينأى حميمها
وما أفسد الاسلام إلا عصابة تأمر نوكاها فسدان نعيمها
فصارت قناة الدين في كف ظالم إذا اعوجَّ منها جانب لا يقيمها (١)

قصر (٢) مقاتل

قال ياقوت : « قصر مقاتل ؛ قصر كان بين عين التمر والشام ، وقال
السكوني : هو قرب القطقطانة وسلام ثم القريات وهو منسوب الى مقاتل
ابن حسان بن ثعلبة بن اوس بن ابراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن غصية
ابن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم . قال ابن الكلبي : لا أعرف في
العرب الجاهلية من اسمه ابراهيم بن أيوب غيرهما وانما سُمِّيَا بذلك للنصرانية
وخرّبِه — يعني القصر — عيسى بن علي بن عبد الله ثم جدد عمارته
فهو له ... » وقال ياقوت : « النُسوخ ... قال السكوني : وعن يسار
القادسية في شريقها على بضعة عشر ميلا عين عليها قرية لولد عيسى بن علي

(١) معجم البلدان في رسم « الطف » . وورد ذكر الطف في تاريخ الطبري في حوادث سنة ١٣ هـ .
(٢) ظن بعض الأدباء أن « قصر مقاتل » هو حصن الأخيضر الحالي ، مع أن القصر غير الحصن
وأن قصر مقاتل كان قرب الكوفة في جنوب الأخيضر .

ابن عبد الله بن العباس يقال لها النسوخ من وراثتها خفان (١) . وأخبار قصر مقاتل كثيرة في كتب الأدب وكتب التاريخ وذكره كثير أيضاً في الشعر قال عبيد الله بن الحر الجعفي :

وبالقصر ماجر بتموني فلم أخيم^١ ولم أكُ وقافاً ولا طائشاً فشيل^٢
وبارزت أقواماً بقصر مقاتل وضاربت أبطالاً ونازلت من نزل
فلا بصرة أُمي ولا كوفة أبي ولا أنا يثنيني عن الرحلة الكسل
فلا تحسني ابن الزبير كناعس^٣ إذا حلَّ أغفى أو يقال له ارنحل
فان لم أزرِكَ الخيل تردي عوابساً^٤ بفرسانها حولي فما أنا بالبطل (٢)

وقال طخيم بن أبي الطخماء الأسدي يمدح قومًا من أهل الحيرة من بني امرئ القيس (٣) بن زيد مائة بن تميم ثم من رهط عدي بن زيد العبادي :

كأن لم يكن يوم بزورة صالح وبالقصر ظلّ دائم وصديق (٤)
ولم أرد البطحاء يمزج ماءها شراب من البرّوقتين عتيق
معي كل فضفاض القميص كأنه إذا ما سرت فيه المدام فنيق
بنو السمط والحداء كل سميّدع له في العروق الصالحات عروق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق (٥)

الحائر

جاء في معجم البلدان عدّة معانٍ للحائر أهمها قول الأصمعي : « يقال

(١) أصبح خفان يعرف اليوم باسم « الموجدة » أي الموجدة .

(٢) معجم البلدان في « قصر مقاتل » .

(٣) هم أهل قصر مقاتل كما مرّ آنفاً .

(٤) ورد هذا البيت وحده في معجم البلدان .

(٥) الكامل للمبرد « ١-٣١ - ٣٢ طبعة الدبليوني الأزهرى » .

للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائر وجمعه حوران .. قال أبو القاسم علي بن حمزة البصري راداً على ثعلب في الفصيح : هو الحائر إلا أنه لا جمع له . لأنه اسم لموضع قبر الحسين بن علي - رضي الله عنه - ... ثم ذكر أن كربلاء تسمى الحير بلا اضافة . فالحائر اسم عربي وكانت أرض كربلاء من مساكن العرب منذ الجاهلية ، ولذلك سميت اكبر مدينة في هذا الصقع « عين التمر » وهذا الاسم المركب الاضافي يحتوي على اسمين عربيين خالصي العروبة فهل كانت تسمية الحائر قبل الاسلام ؟ وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أيضاً « يوم حائر ملهم » قال : « يوم حائر ملهم أيضاً على حنيفة ويشكر » فهذا الحائر كان في جزيرة العرب ، فيجوز فيه الأمران أعني أنه سمي في الجاهلية بالحائر وأنه سُمي في الاسلام بهذا الاسم . وقد أطل الكلام مؤلف « تاريخ كربلاء » على الحائر وسمى كتابه « تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام » وقال : هو بحث علمي تحليلي واسع عن الحائر المقدس وتاريخه في اللغة والتاريخ والفقه والحديث و ثم تاريخ عمارته وهدمه من الصدر الأول الى العصر الحاضر قال : « وقد نعت كربلاء منذ الصدر الأول في كل من التاريخ والحديث بأسماء عديدة مختلفة ورد منها في الحديث باسم كربلاء والفاخرية ونيوى وعمورا وشاطيء الفرات وشط الفرات . وورد منها في الرواية والتاريخ أيضاً باسم مارية والنواويس والطف وطف الفرات ومشهد الحسين والحائر والحير الى غير ذلك من الاسماء المختلفة الكثيرة إلا أن أهم هذه الأسماء في الدين هو الحائر لما أحيط بهذا الاسم من الحرمة والتقدیس أو أنيط (١) به من أعمال وأحكام في الرواية والفقه إلى يومنا هذا .. » (٢) وأعاد هذه القمشة الغريبة

(١) الصواب « نيط الثلاثي ».

(٢) « الدكتور عبد الجواد الكليدار » تاريخ كربلاء ... ص ١٢ .

كربلاء قديماً ٢٣

بعد صفحة واحدة - ص ١٢ - قال : « ولهذه البقعة التي جرت عليها أعظم مأساة تاريخية أسماء مختلفة كما يحدثنا التاريخ ، كانت تطلق عليها هذه الأسماء دون أي فرق أو تمييز (كذا) ، فكان يطلق عليها كما سبق اسم الفاخرية ونيوى ومارية وعمورا والنواويس وشط الفرات وشاطيء الفرات والطف وطف الفرات والحائر والحير ومشهد الحسين وكربلاء ولم يكن الاسم الأخير غير أحد تلك الأسماء المختلفة الكثيرة .. فتغلب بمرور الزمن على غيره من الاسماء شيوعاً وانتشاراً في العرف والتاريخ حتى أصبح الآن هو الوريث الوحيد لها .. » . ثم قال في الصفحة ٥١ « لم يرد في التاريخ أو الحديث ذكر لكربلاء باسم الحائر أو الحير من قبل وقعة الطف أو أثناء هذه الوقعة أو بعدها بزمن يسير إذ أن الأحاديث النبوية المنبئة بقتل الحسين - عليه السلام - بأرض العراق تضمنت كل الأسماء عدا اسم الحائر فمنها ما ورد فيه اسم كربلاء واسم نيوى والطف وأرض الطف وشط الفرات وشاطيء الفرات ولا واحد منها ورد فيه اسم الحائر أو الحير مع أنها جاءت بأسماء هذه الأرض كلها » .

وقد ذكرنا أن الحائر اسم عربي وأن العرب سكنوا هذه البلاد منذ عصور الجاهلية ، فلا بد من أن يكون معروفاً قبل استشهاد الحسين - ع - لأن هذه التسمية هي والحير والحيرة من أصل واحد ، وقد قال ياقوت في كلامه على « الحيرة » - واكثره مذكور في تاريخ الطبري - : « وفي بعض أخبار أهل السير : سار أردشير (١) الى الأردوان (٢) ملك النبط

(١) أردشير الأول مؤسس السلالة الساسانية حكم بين سنة ٢٢٤ وسنة ٢٤١ م .

(٢) لعله أربطان الرابع الأرشاتي الفرقي من السلالات الفارسية الحاكمة أيضاً حكم بين سنة ٢٠٩

وسنة ٢٢٧ م .

وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يقال له بابا فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل بهم آلاف فبنى الأردوان حيراً فأنزله من أعانه من العرب فسمي ذلك الحير الحيرة كما تسمى القبيعة من القاع وأنزل بابا من أعانه من الأغراب الأنبار وخذلق عليهم .. وقال أبو المنذر هشام بن محمد : كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم بها واتخاذهم الحيرة والأنبار أن الله أوحى الى يوحنا ... أن ائت بختنصر فمره أن يغزو العرب (١) الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب (٢) وأن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم وأعلمهم كفرهم بي ، واتخاذهم آلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي . فأقبل يوحنا من نجران حتى قدم على بختنصر وهو يبابل فأخبره بما أوحى إليه ، وذلك في زمن معد بن عدنان ، فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب فجمع من ظفر به منهم وبنى لهم حيراً على النجف وحصّته ثم جعلهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظه ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك ، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت اليه طوائف منهم مسلمين مستأمنين ، فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال : خروجهم اليك من بلدهم قبل نهوضهم اليك رجوع منهم عما كانوا عليه ، فأقبل منهم واحسن اليهم . فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات وابتنوا موضع عسكرهم فسموا الأنبار (٣) ، وخلقى عن أهل الحير فابتنوا في موضعه وسموها الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً ، وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر ، فلما

(١) أكثر هذا الخبر معلود من الاسرائيليات وكيف لا وبختنصر غزا اليهود فكيف يطع امر يهودي يغزو العرب !
 (٢) ما كان أعظم هذا الذنب ! ذنب عدم الأغلاق والأبواب !
 (٣) كذا ورد ولعل الأصل « فسموه الأنبار » .

مات انضموا إلى أهل الأنبار وبقي الحير خراباً زماناً طويلاً لا تطلع عليه طالعة من بلاد العرب ، وأهل الأنبار ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب بمكانهم . وكان بنو معد نزولاً بتهامة وما والاها من البلاد ففرقتهم حروب وقعت بينهم فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارف الشام وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها قبائل من الأزد كانوا نزلوها من زمان عمرو بن عامر ماء السماء . وكان من اجتماع القبائل بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرق البلدان عند قتله دارا (١) إلى أن ظهر أردشير على ملوك الطوائف وهزمهم ودان له الناس وضبط الملك فتطلعت أنفس من كان في البحرين من العرب إلى ريف العراق وطمعوا في غلبة الأعاجم مما يلي بلاد العرب ومشاركتهم فيه واغتنموا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف فاجمع رؤسائهم على السير إلى العراق ووطن جماعة من كان معهم أنفسهم على ذلك ... ثم قدمت قبائل تنوخ على الأردوانيين (وهم ملوك الطوائف) فأنزلوهم الحيرة التي كان قد بناها بختنصر والأنبار وأقاموا يدينون للعجم إلى أن قدمها تبع أبو كرب فخلف بها من لم تكن له نهضة فانضموا إلى الحيرة واختلطوا بهم ... فصار في الحيرة من جميع القبائل من مذحج وحمير وطيء وكلب وتميم ، ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة إلى طف القرات وغريته إلا أنهم كانوا بادية يسكنون المظال وخيم الشعر ولا ينزلون بيوت المدر ، وكانت منازلهم بين الأنبار والحيرة فكانوا يسمون عرب الضاحية ، فكان أول من ملك منهم في زمن ملوك الطوائف مالك بن فهم أبو جذيمة الأبرش

(١) المراد دارا الثالث الأصغر الذي حكم من سنة ٣٣٦ إلى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد .

وكان منزله مما يلي الأنبار ثم مات فملك ابنه جذيمة الأبرش بن مالك ابن فهم ، وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكايةً وأظهرهم حزمًا وهو أول من اجتمع له الملك بأرض العرب وغزا بالحيوش ، وكان به برص وكانت العرب لا تنسبه اليه إعظاماً له واجلالاً ، فكانوا يقولون جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش ، وكانت دار مملكته الحيرة والأنبار وبقة وهيت وعين التمر واطراف البر الى الغمير الى القُطْقُطانة وما وراء ذلك ، تنجى اليه من هذه الأعمال الأموال وتفد عليه الوفود (١) .. ونستدل بهذا الخبر على إمكان كون « الحائر » من وضع العرب في أيام الجاهلية ، لأنه لا صلة لاشتقاقه بالقتل ولا بالقتك ولا بالاستشهاد ولا بالدفن حتى يكون ظهوره مشروطاً بأحد هذه المعاني ، فيستفي كونه جاهلياً .

أما التسمية بشط الفرات وبشاطىء الفرات فهي عامة لا خاصة فلا يجب اختصاصها بكربلاء والحائر وإنما سبيلها سبيل التحديد الشعري كقول الشاعر « وقد مات عطشاناً بشط فرات » ، لأن الشاعر لا يستطيع دوماً التعيين الجغرافي المحقق لالتزامه بالوزن والقافية . وأما « مارية » فلم يذكرها صاحب معجم البلدان ، إلا بكونها اسماً لكنيسة بأرض الحبشة ، وإنما ذكر « نهر ماري » قال : « بكسر الراء وسكون الياء ، بين بغداد والنعمانية ، مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة منها هُمَيْيُنْيا وفمه عند النيل من أعمال بابل » .

عين التمر

كانت عين التمر اكبر مدينة في منطقة كربلاء ، وهي من المدن المشرفة

(١) معجم البلدان في « الحيرة » .

٢٧ كربلاء قديماً

على صحراء السماوة ، قال ياقوت الحموي : « وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام قفري أظنها مسماة بهذا الماء ، يعني ماءً بالبادية كانت أم النعمان سُميت به وهو مستبعد ، والصحيح ما ذكره أبو المنذر ونقله ياقوت في أول المادة وهو « إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها »

وقال ياقوت في عين التمر : « بلدة قريية من الأنبار غربي الكوفة بقرية موضع يقال له شفاثا منهما يجلب القسب (١) والتمر الى سائر البلاد وهو بها كثير جداً وهي على طرف البرية وهي قديمة ، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ للهجرة ، وكان فتحها عنوة فسبي نساءها وقتل رجالها فمن ذلك السبي والددة محمد بن سيرين او سيرين اسم أمه ، وعمران بن أبان مولى عثمان بن عفان . فيه يقول عبيدالله بن الحر الجعفي في وقعة كانت بينه وبين أصحاب مصعب :

الأهل أتى الفتيان بالمصر أني أسرتُ بعين التمر أروع ماجدا
وفرقت بين الخيل لما تواقفت بطعن امريء قد قام من كان قاعدا (٢)

وقال البلاذري : « ثم أتى خالد عين التمر فالصق بحصنها (٣) ، وكان فيه مسلحة للأعاجم عظيمة (٤) ، فخرج أهل الحصن فقاتلوا ثم لزموا

(١) يعرف باللغة العراقية العامية « الجسب » وهو التمر الجاف الذي ذهبت رطوبته وليس المراد « القصب » كما ظن بعضهم .

(٢) معجم البلدان في « عين التمر » .

(٣) هو الحصن المعروف اليوم بالأخضر في غربي كربلاء على مسافة خمسين كيلومتراً ، وقد ذكر الهاربي المقدسي في أحسن التقاسيم أن عين التمر كانت محصنة في عصره .

(٤) تأمل قوله « عظيمة » فهو يناسب عظمة الأخضر .

حصنهم فحاصرهم خالد والمسلمون حتى سألوا الأمان ، فأبى أن يؤمنهم وافتتح الحصن عنوة وقتل وسبي ووجد في كنيسة (١) هناك جماعة سباهم ، فكان من ذلك السبي حمدان بن أبان بن خالد النمرى ... وسيرين أبو محمد ابن سيرين واخوته ... ونصير أبو موسى بن نصير صاحب المغرب ... وقد قيل إن خالداً صالح أهل حصن عين التمر وأن هذا السبي وجد في كنيسة ببعض الطسوج ... عن الشعبي قال : صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة وأهل عين التمر وكتب بذلك الى أبي بكر فأجازه . قال يحيى بن آدم : فقلت للحسن بن صالح : أأهل عين التمر مثل أهل الحيرة إنما هو شيء عليهم وليس على أرضهم شيء ؟ فقال : نعم . قالوا : وكان هلال بن عقة بن قيس بن البشر النمرى على النمر به قاسط بعين التمر . فجمع لخالد وقاتله فظفر به (بخالد) فقتله وصلبه . وقال ابن الكلبي : كان على النمر يومئذ عقة بن قيس بن البشر بنفسه . قالوا : وانتفض ببشير بن سعد الأنصاري جرحه فمات فدفن بعين التمر ودفن الى جنبه عمير بن رثاب ... وكان أصابه سهم بعين التمر فاستشهد (٢) .

وقال الطبري راوياً : « قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار واستحكمت له استخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر وقصد لعين التمر وبها يومئذ (مهران بن بهرام جوين) في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جميع عظيم من العرب : من النمر وتغلب وإياد ومن لافهم فلما سمعوا بخالد قال عقة لمهران : إن العرب أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد . قال : صدقت لعمرى ، لأنتم أعلم بقتال العرب وانكم مثلنا في قتال

(١) لعلها التي جعلها المسلمون مسجداً كما جعلوا غيرها في البلاد المفتوحة .

(٢) فتوح البلدان « ٢٤٨ - ٢٤٩ » .

كربلاء قديماً ٢٩

العجم . فخدعه واتقى به وقال : دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعناكم . فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم : ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ؟ . فقال : دعوني فاني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشرّ لهم ، إنه قد جاءكم من قتل ملوككم وفلّ حدّكم فاتقيته بهم فإن كانت لهم على خالد فهي لكم وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهتوا فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم مضعفون ، فاعترفوا له بفضل الرأي . فلزم مهران العين — يعني عين التمر — ونزل عقة لخالد على الطريق وعلى ميمته بجير بن فلان ... وعلى ميسرته الهذيل بن عمران ، وبين عقة وبين مهران روضة أو غدوة ، ومهران في الحصن (١) في رابطة فارس ، وعقة على طريق الكرخ (٢) كالحفير ، فقدم عليه خالد وهو في بقية جنده ، فعبى خالد جنده وقال لمجنّبيته : اكفونا ما عنده فاني حامل ، ووكل بنفسه حوامي ، ثم حمل ، وعقة يقيم صفوفه ، فاحتضنه فأخذه أسيراً ، وانهزم صفه من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسر ، وهرب بجير والهذيل ، وأتبعهم المسلمون . ولما جاء الخبر مهران هرب في جنده وتركوا الحصن (١) . ولما انتهت فلال عقة من العرب والعجم إلى الحصن (١) اقتحموه واعتصموا به ، وأقبل خالد في الناس حتى ينزل على الحصن (١) ومعه عقة أسيراً وعمر بن الصعق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمنّ يغير من العرب . فلما رأوه يحاولهم سألوهم الأمان ، فأبى إلا على حكمه ، فسلّسوا له به ، فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا مساكاً ، وأمر خالد بعقة وكان خفير القوم فضربت عنقه ليؤثس الأسراء من الحياة . ولما رآه الأسراء مطروحاً على الجسر يشسوا من الحياة ، ثم دعا بعمر بن الصعق فضرب عنقه وضرب

(١) أي الأخيضر .

(٢) لم يذكر ياقوت هذا الكرخ بين الكرخ في معجم البلدان .

أعناق أهل الحصن أجمعين وسبي كل ما حوى حصنهم وغنم ما فيه ،
 ووجد في بيعتهم (١) أربعين غلاماً يتعلمون الانجيل عليهم باب مغلق فكسره
 عنهم وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رُهْنٌ . فقسّمهم في أهل البلاد منهم أبو
 زياد مولى ثقيف ونصير أبو موسى بن نصير .. »

وذكر أبو الفرج الأصبهاني أن سابور (٢) الثاني الساساني الملقب بذي
 الاكتاف حاصر مدينة الحضر بين دجلة والفرات على الآثار وافتتحها
 وسبي النضيرة ابنة ملكها وأخرب المدينة واحتمل النضيرة فأعرس بها
 بعين التمر (٣) ، واختياره لعين التمر دليل على أن فيها بنياناً ملوكياً يصلح
 لأن يكون موضعاً للفرس ، وما أخرى حصن الأخيضر بذلك فانه حصن
 ملوكي حقاً ، غير أن ياقوتاً الحموي ذكر أن صاحب الخبر هو سابور (٤)
 ابن اردشير المعروف بسابور الجنود لا سابور ذو الاكتاف وهو سابور
 ابن هرمز وقال ياقوت : « إنما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروي
 أنه ذو الاكتاف (٥) » . والذي أيدته التواريخ الأخرى وعضده علم
 الآثار أن سابور بن أردشير هو الذي افتتح مدينة الحضر وأخربها ، فهو
 الذي سبي ابنة ملكها وأعرس بها بعين التمر ، وهذا يرفع تاريخ حصن
 الأخيضر الى القرن الثالث للميلاد بدلاً من القرن الرابع للميلاد . وقد
 خربت عين التمر وبقي حصنها .

-
- (١) ان كانت البيعة في الحصن فهي مسجد الأخيضر الحالي .
 - (٢) حكم من سنة ٢١٠ الى سنة ٣٧٩ م .
 - (٣) الأغاني ٢ : ١٤١ - ١٤٣ طبعة دار الكتب المصرية .
 - (٤) حكم من سنة ٢٤١ الى سنة ٢٧٢ .
 - (٥) معجم البلدان في « الحضر » .

شفائا

ومن قرى عين التمر المعروفة قرية « شفائا » وقد نقلنا آنفاً قول ياقوت في معجمه في الكلام على عين التمر « بقربها موضع يقال له شفائا منهما يجلب القصب والتمر الى سائر البلاد » ولا تزال شفائا عامرة قرب حصن الأخيضر مشهورة بقصبها وتمرها ورماتها وعيونها المعدنية ، واسمها يدل على أصل كلمة آرامية لا عربية .

ومما يستغرب أن بعض المتطفلين على مائدة الجغرافية العراقية القديمة استبدل باسم شفائا اسم « عين التمر » وصارت شفائا تسمى « عين التمر » رسمياً وهذا تخليط ما بعده تخليط ، فكلتا البلدتين لهما وجود تاريخي خاص ، ولكل منهما تاريخ خاص بها ، وقد خربت عين التمر وبقيت شفائا وستبقى الى ما شاء الله ومن العامة من يسميها « شثانة » على سبيل اللابدال ، وبها يضرب المثل في فساد الصحة بها ، فالعامة يقولون « يريد من شثانة عافية » . فشثائا غير عين التمر وعين التمر غير شفائا فالتغاير والتباين جد مبينين ، .

الغاضرية

ذكرها ياقوت الحموي قال : « الغاضرية بعد الألف ضاد معجمة : منسوبة إلى غاضرة من بني أسد وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من « كربلاء » وهذا الوصف يدل على أن الغاضرية أنشئت بعد انتقال قبيلة بني أسد الى العراق في صدر الاسلام ، فليست الغاضرية قديمة التاريخ جاهلية .

نينوى

قدمنا في الكلام على كربلاء قول ياقوت الحموي : « وبسواد الكود ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين (رضي الله عنه) » . وزعم الأستاذ فيردهوفر Ford Hoefar أن أسترابون Strabon الجغرافي اليوناني المولود في أواسط القرن الأول قبل الميلاد ذكر في كتابه « وصف ما بين النهرين : آشورية وبابل وكلدية » ذكر نينوى ثانية غير نينوى الشمالية (١) فإن صحَّ زعمه كانت نينوى الجنوبية هي المقصود ذكرها . وقد سكن نينوى أبو القاسم حميد بن زياد بن حماد الآتي ذكره وكانت على نهر العلقمي .

نهر العلقمي

قال ابن الطقطقي في ترجمة الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي : « هو أسدي أصلهم من النيل . وقيل بلخده العلقميّ لأنه حفر النهر المسمى بالعلقميّ ، وهو الذي برز الأمر الشريف السلطاني (٢) بحفره وسمي القازاني (٣) وقال الدكتور أحمد سوسة في الكلام على نهر المحلود (٤) : « والذي

(١) Chaldée, Assyrie, Médie. Babylonie. p. 157.

(٢) يعني أمر السلطان غازان بن أرغون بن إيباقا بن هولأكو بن تولي بن جنكيزخان الملقب بمحمود .

(٣) التاريخ الفخري « ص ٣٣٧ طبعة بيروت » .

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان : « المحلود اسم نهر بأرض العراق قرب الأنبار في جانب الديار الغربي منها ، أمرت بحفره الخيزران أم الخلفاء وسمته المربان (كلدا) وكان وكيلها قد جمعه أقساماً وحد كل قسم ووكّل بحفره قوماً فسمي المحلود لذلك » . وفي مراصد الاصطلاح وفتوح البلدان « المريان » كأنه جمع مري أو مثناه .

كربلاء قديمها

نراه في هذا الصدد هو أن نهر محدود هذا لم يكن إلا أحد الأنهر التي فتحت في زمن العرب على ضفتي نهر الفرات ، ولعله كان يأخذ من الضفة اليمنى من الفرات أما نهر الملك حيث نجد آثاراً لسدّ قديم على نهر الفرات في ذلك المكان ، ثم يتصل بنهر كربي سعده القديم في القسم الذي يمتد بين كربلاء والكوفة ، ويغلب على الظن أن نهر (محدود) هذا هو النهر نفسه الذي سمي باسم العلقمي والذي ذكر قدامة (٨٨٠ م) أنه كان يأخذ من جنوب الأنبار ثم يجري في الاتجاه الجنوبي الغربي فيمر بكربلاء ويصب في الفرات في منطقة الكوفة ، وقد جاء ذكر العلقمي أيضاً في كتاب تواريخ السلجوقيين للأصفهاني حيث أيّد في هذا المصدر أن جدول العلقمي كان يمرّ بالمشهدين أي كربلاء والنجف وقد أجري تطهيره وترميمه .. ويرجع أن آثار النهر القديم التي نشاهدها غربي مدينة المسيب الحالية تمثل بقايا نهر العلقمي المذكور (١) .

قلت : الذي ورد في زبدة النصر ونبذة العصرة ، اختصار البنداري والأصل لعماد الدين الاصفهاني خاصاً بنهر العلقمي هو قوله في حوادث سنة ٤٧٩ هـ : « ووصل عماد الدولة سرهنگ ساوتكين الى واسط ومنها الى البيل في شهر رمضان وزار المشهدين الشريفين وأطلق بهما للأشراف مالا جزيلاً وأسقط خفارة الحاج وحفر العلقمي وكان خراباً دهرأ » (٢) . وقال ابن الفوطي في ترجمته وسماه « أبا نصر ساوتكين سرهنگ » : « ذكره ابن الحمداي في تاريخه وقال : وفي شوال سنة ست وسبعين

(١) وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية « ص ٣٥ - ٦ » .

(٢) زبدة النصر « ص ٧١ - ٢ طبعة القاهرة » .

٣٤ ————— مصطفي جواد

وأربعمائة وصل عماد الدولة سرهنك ساوتكين الى بغداد وخرج لاستقباله الوزير ظهير الدين أبو شجاع وزير المقتدي وزار المشهد المقدس (١) وحضر (٢) العلقمي واستدعاه المقتدي وخلع عليه ..

والسبب في حفر العلقمي هو أن أبا الحارث ألب أرسلان الباسيري القائد الناصر على بني العباس الذي خطب بالعراق باسم الفاطميين سنة ٤٥١ كان عازماً على حضره فلم تسعفه الأقدار ، فقام ساوتكين بحفره دفناً للذكرى الباسيري ، قال ابو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة ٤٥١ « وفي بكرة الثلاثاء رابع هذا الشهر (صفر) خرج الباسيري الى زيارة المشهد بالكوفة على أن ينحدر من هناك الى واسط ، واستصحب معه غلة في زورق ليرتب العمال في حفر النهر المعروف بالعلقمي ويجريه الى المشهد بالحائر وفاءً بنذر كان عليه (٣) » .

وقد ذكرنا آنفاً أن نينوى كانت قرية على العلقمي فقد جاء في ترجمة حميد بن زياد بن حماد أبي القاسم الدهقان أنه كان « كوفياً وسكن سورا وانتقل الى نينوى قرية على العلقمي الى جنب الحائر — على صاحبه السلام — وكان ثقة وجهاً فيهم سمع الكتب وصنف كتابه الجامع في أنواع الشرائع ، كتاب الخمس ، كتاب الدعاء ، كتاب الرجال ، كتاب من روي عن الصادق ، وكتاب الفرائض ، كتاب الدلائل ، كتاب ذم من خالف الحق وأهله ، كتاب فضل العلم والعلماء ، كتاب الثلاث والأربع ، كتاب النوادر ،

(١) في المطبوع من تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٧٣٣ » وقع غلط طبع هو « المقدسي » بدلا من المقدس .

(٢) في المطبوع غلط مطبعي هو « حضر » بدلا من حفر .

(٣) المتضمن « ٨ : ٢٠٢ » .

٢٥ كربلاء قديم

وهو كتاب كبير (قال النجاشي) : أخبرنا أحمد بن علي بن نوح قال حدثنا الحسين بن علي بن سفيان قال قرأت على حميد بن زياد كتابه: كتاب الدعاء . وأخبرنا الحسين بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن جعفر بن سفيان عن حميد بكتبه ، قال أبو المفضل الشيباني : أجازنا سنة عشر وثلاثمائة . وقال أبو الحسن علي بن حاتم : لقيته سنة ست وثلاثمائة وسمعت منه كتاب الرجال قراءة وأجاز لنا كتبه. ومات حميد سنة عشر وثلاثمائة (١) وقال أبو علي : « حميد بن زياد من أهل نينوى قرية الى جنب الحائر — على ساكنه السلام — ثقة كثير التصانيف ، روى الأصول أكثرها ، له كتب كثيرة على عدد كتب الأصول (٢) . » وذكره الشيخ عبد الله الماقي في كتابه باسم « حميد ابن زياد النينوي ... بنونين مفتوحين . بينهما ياء مشناة من تحت ساكنة وبعدهما واو وياء نسبة الى نينوى : موضع قرب كربلاء أو هي هي (٣) .. » وقال في آخر الترجمة : « وعلق الشهيد الثاني — رح — عليه أن بخط السيد في كتاب النجاشي (سنة عشرين وثلاثمائة) » يعني تاريخ وفاته .

وذكر الأب أنستاس ماري الكرمل، أن الملك أرغون بن أباقا بن هولاكو لما قهر عمه أحمد تكدار بن هولاكو سنة ٦٨٣ بذل سعيًا محموداً في حفر نهر جديد يخرج من الفرات ويدفع ماءه في سهل كربلاء (٤). والمعروف المشهور في التواريخ أن الذي أمر بكري العلقمي هو السلطان محمود غازان ، كما مرّ نقله آنفاً من كتاب تاريخ ابن الطقطقي ، ويؤيده الأب أنستاس

(١) رجال النجاشي (ص ٩٥-٩٦) .

(٢) رجال أبي علي « ص ١٢٢ » .

(٣) تنقيح المقال في احوال الرجال « ١ : ٢٧٨ » .

(٤) الفوز بالمراد في تاريخ بغداد « ص ١٢ طبعة مطبعة الشابتندر ببغداد سنة ١٣٢٩ هـ » .

نفسه فقد قال في ترجمة غازان : « وفي حين زحفة غازان الثالثة على ديار الشام عبر الفرات الى الحلة في ١٠ جمادى الثانية (١) من سنة (٢) ٨٠٢ (٣٠ كانون الثاني سنة ١٤٠٣) وفي اليوم السادس من عبوره الفرات ذهب لزيارة قتيل كربلاء ، وعين للسادة المقيمين بجوار التربة ثلاثة آلاف من الخبز في اليوم الواحد من ريع الأرضين التي كان يسقيها النهر الأعلى الذي حفره غازان وكان شقّه من الفُرات الى مشهد الحسين ناقلاً ماءً زلالاً إلى بلدة مدفن الحسين. وقال (دوسون) في كتابه تاريخ المغول : أمر غازان فحفر في أرض الحلة (٣) نهراً يأخذ ماءه من الفرات ويدفعه الى مرقد الحسين ويروي سهل كربلاء اليابس القفر وما جرى الماء الا وفرش عليها بساطاً أخضر كله محامس ولبست الأرضون ثياباً سندسية سداها مختلف النبات ولحمتها ألوان الأشجار وكانت غلتها تزيد في السنة على مائة ألف طخار من الخبواب تفوق حبوب بغداد حسناً وجوهراً ، وأمر غازان أن يوزع كل سنة مقدار وافر من الحنطة (٤) على السادة الفقراء الذين كانوا يأوون الى المرقد وعددهم كان هناك عديداً ويسمى ذلك النهر (نهر غازان الأعلى) أو (النهر الغازاني الأعلى) تمييزاً له عن النهر الذي كراه هو أيضاً ويأخذ ماءه من الفرات وينزل به الى مرقد (٥) السيد أبي الوفاء ، وكان الباعث على شق هذا النهر أنه ذهب يوماً يتصيد فأفضى به الصيد الى السهل القفر الذي

(١) الصواب « الآخرة » .

(٢) الصواب « سنة ٧٠٢ هـ - ١٣٠٢ م » والفرق مائة سنة .

(٣) ادخال المؤرخ أرض الحلة في الخبر دليل على جهله جغرافية العراق الاسلامية .

(٤) الصواب « بين السادة أو فيهم » .

(٥) لا يزال هذا المرقد معروفاً في بزايز نهر البسروقية في غربي دجلة في لواء الكوت وقد زرت قبل عدة سنين .

كربلاء قديماً ٢٧٠

فيه مرقد هذا السيد وأراد حيثثد أن يورد دوابه وخيله فلم يجد ثمّة ماءً فألى على نفسه أن يجلب الماء إلى ذلك الوطن ويسقي أراضيه ففعل وسمي هذا النهر (نهر غازان الأسفل) أو النهر الأسفل الغازاني ؛ وكأه لم يكتف بهذين النهرين فحضر نهراً ثالثاً في الطرف الشرقي من بادية كربلاء واشتهر باسم (نهر غازان) وأوقف غلات تلك الأنهر وريعيها لمرقد أبي الوفاء ، ولأوقاف شنب . توفي غازان في الريّ سنة ٨٧٠٣ - ١٣٠٣ م (١) .

وقال الغياثي في ترجمة غازان : « ومن آثاره نهر أخرجه من الفرات ... وعمل عليه كثيراً من العمارة وسمي بالنهر الغازاني وشق من الفرات إلى مشهد أبي الوفاء (٢) » وقال لسترنج : « كان الطسوجان اللذان بين منقح الفرات الأسفل ونهر سورا إلى شرقهما وعمود الفرات إلى غربهما يعرفان بطسوج الفلوجة العليا والفلوجة السفلى وفي أسفلهما يمر النهر بمدينة القنطرة ويضم نهر البداة ثم ينتهي إلى الكوفة في الجانب الغربي من الفرات تجاه البحر . وفي جنوب الكوفة كانت مياه هذا النهر تنصب في البطائح من فروع صغيرة له ، والنهر القديم سماه قدامة والمسعودي (نهر العلقمي) وهو على ما يظهر يطابق نهر الهندية الحالي الذي ينشطر اليوم من الفرات في أسفل المسيّب وكان يمر بخرائب الكوفة القديمة ثم يلتقي بعمود الفرات الحالي بعد أن يجري بين أهوار البطائح التي كانت في العصر العباسي (٣) » .

وقول لسترنج يعتمد على الظن والتخمين فإنه لم يقدم العراق ولا زار موضعاً من مواضعه فكان يعتمد على الخرائط على تحقيق المواضع وتطبيقها . ونهر

(١) الفوز بالمراد في تاريخ بغداد « ص ١٧ ، ١٨ » .

(٢) التاريخ الغياثي « نسخة أنستاس » ص ١٤٦ » .

(٣) بلدان الخلافة الشرقية « الترجمة العربية ص ١٠١ » .

الهندية يتجه نحو الجنوب مع أن المفهوم من نهر العلقمي أنه يتجه أولاً نحو كربلاء ويحوز أن تكون وجهته بعد ذلك نحو الجنوب كما نقلنا قبلاً. فينبغي البحث عن مجراه المتدفن على حسب ذلك الوصف.

وكون جد الوزير مؤيد الدين بن العلقمي الحافر لنهر العلقمي، كما ذكر ابن الطقطقي ونقلناه في هذا البحث يوجب أن يسمّى «نهر العلقمي» أي نهر الرجل «العلقمي» لا النهر العلقمي، لأن العلقمي صار اسماً لرجل معين فوجبت الإضافة إليه عند إرادة تسمية النهر.

العقر

العقر قال ياقوت الحموي: «العقر بفتح أوله وسكون ثانيه... منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة وقد روي أن الحسين — رضي الله عنه — لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية؟ — وأشار إلى العقر — فقيل له: اسمها العقر. فقال: نعوذ بالله من العقر، فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء. قال: أرض كرب وبلاء. وأراد الخروج فمنع حتى كان ما كان. قُتل عنده — يعني العقر — يزيد بن المهلب بن أبي صفرة في سنة ١٠٢؛ وكان خلع طاعة بني مروان ودعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وفارس وواسط، وخرج في مائة وعشرين ألفاً، فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلماً فواقعه في العقر من أرض بابل، فأجلت الحرب عن قتل يزيد بن المهلب (١)». .

وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: «كان يقال: ضحى بنو حرب

(١) معجم البلدان في «العقر».

بالدين يوم كربلاء وضحى بنو مروان بالمروعة يوم العقر ، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه ، ويوم العقر يوم قُتل يزيد بن المهلب وأصحابه (١) » وقال أبو الفرج الاصبهاني وقد أسند الخبر الى حفص الأموي قال : « كنتُ أختلف الى كثير أتروى شعره ، فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال : قُتل آل المهلب بالعقر ، فقال : ما أجلّ الخطب ! ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر . ثم انتضحت عيناه باكياً . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فدعا به ، فلما دخل عليه قال : عليك لعنة الله ، أترابينة وعصبية ؟ وجعل يضحك منه (٢) » . ونقل هذا الخبر ابن خلكان في وفيات الأعيان وجاء فيه « وأسبلت عيناه بالدموع » (٣) بدلاً من انتضحت عيناه ، ثم نقل ابن خلكان في ترجمة يزيد بن المهلب ما هذا نصه « قال الكلبي : نشأت والناس يقولون ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر (٤) » .

(١) الكامل في الأدب » ٣ : ٢٤٨ « طبعة المطبعة الأزهرية بالقاهرة .

(٢) الأغاني » ٩ : ٢٢ طبعة دار الكتب المصرية » .

(٣) الوفيات » ٢ : ٤ طبعة بلاد السجم » .

(٤) المذکور » ص ٤٢٩ » .

اهم مصادر البحث

التي اعتمدها الكاتب

- ١ - معجم البلدان
- ٢ - كتاب نهضة الحسين
- ٣ - مجلة لغة العرب
- ٤ - الصحاح
- ٥ - الكامل للمبرد
- ٦ - تاريخ الطبري
- ٧ - لسان العرب
- ٨ - تحفة الامراء في تاريخ الوزراء
- ٩ - تاريخ بغداد لابن النجار

٤١ أهم مصادر البحث

- ١٠ - المؤرخون والشعر
- ١١ - المشترك وضعاً والمفترق صقلاً
- ١٢ - مدينة الحسين أو مختصر تأريخ كربلا
- ١٣ - تأريخ بغداد للخطيب البغدادي
- ١٤ - بغية النبلاء في تأريخ كربلاء
- ١٥ - احسن التقاسيم
- ١٦ - فتوح البلدان
- ١٧ - الاغاني
- ١٨ - التأريخ الفخري
- ١٩ - وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية
- ٢٠ - زبدة النصر
- ٢١ - تلخيص معجم الالقباب
- ٢٢ - المنتظم
- ٢٣ - رجال النجاشي
- ٢٤ - رجال ابي علي
- ٢٥ - تنقيح المقال
- ٢٦ - الفوز بالمراد في تاريخ بغداد
- ٢٧ - التاريخ الغياثي

مصطفى جواد

١- بلدان الخلافة الشرقية

١- الوفيات

٢- Chaldei Anyrie Medie Babylonie p 15

عرض تاريخي مجمل

لمصرع الامام الحسين في عرصة كربلاء

كتبه

الدكتور حسين أمين

استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة بغداد
الحائز على درجة دكتوراه الشرف الاولى
من جامعة الاسكندرية

عرض تاريخي مجمل لمصرع ابي عبد الله الحسين (ع) *

كانت كربلاء من مراكز التجمعات الإسلامية وميداناً من ميادين الجهاد في الفتوحات الأولى ، وقد فتحت كربلاء اثر الانتصارات الرائعة التي أحرزها المسلمون بعد معاركهم الخالدة في البويب والقادسية وأضحقت بلدة من بلاد الإسلام يعمها الايمان وتنتشر في ارجائها العقيدة الاسلامية .

وقد شيد المسلمون الفاتحون مدينة الكوفة ، لتكون مركزهم في العراق وكان الوالي الذي يعينه الخليفة ، وبذلك أصبحت الكوفة المعسكر الكبير

* - ليست هذه كل قصة الحسين (ع) وإنما للحسين قصة لها جنود عميقة ، واسباب سنائي عليها في جزء مستقل كامل نشرح فيه اللوامي التي يرجع تأريخها الى ما قبل الاسلام ، والعناء الذي كان يقسمه بنو أمية لبني هاشم والذي زاده ظهور النبوة في بني هاشم مما جعل بني أمية يحاربون ظهور الاسلام وصاحب الدعوة الاسلامية بكل ما ملكوا من حرب السيف والفكر واللسان ، حتى اذا تغلب الاسلام وانتشر كمن هذا الحقد في نفوس الامويين وظهر بعد ذلك جلياً في الدس لعل (ع) وحربه ، والدس الحسن (ع) وحربه ، والدس الحسين (ع) وحربه ، مما ستوفيه هذه الموسوعة في احد الاجزاء الخاصة بكر بلا حقه ، اما قصة الحسين (ع) هنا ، فليست الا عرضاً مقتضباً لمصرعه في عرصة كربلاء استعدها تأليف هذا الجزء من الموسوعة لارتباطه بمواضيعه .

الخلي

٤٦ _____ حسين امين

والقاعدة التي ينطلق منها المسلمون نحو الشرق ، وبمرور الزمن أصبحت للكوفة مكانة مهمة في مجال السياسة والحرب ، وفي مجال الحياة الاجتماعية والثقافية ، وغدت كربلاء مكاناً لقلّة من الناس امتنّوا الزراعة في المناطق القريبة من موارد المياه .

وكتب لهذه الأرض ، أرض كربلاء ، أن تشهد أروع حدث في تاريخ المسلمين ، واعتف وقعة بين قوى الخير وقوى الشر ، أجل شهدت تلك الأرض وقائع حربية أدمت القلوب وأفزعت النفوس وأدت نتائجها الى تصدع وحدة المسلمين ، ففي رجب سنة ٦٠ هـ توفي معاوية بن أبي سفيان ، وكان على مكة عمرو بن سعيد بن العاص ولم يكن ليزيد بن معاوية حين ولي إلاّ بيعته النفر الذين أبوا على معاوية الأجابة الى بيعته والفراغ من أمرهم فكتب الى الوليد بن عتبة : « من يزيد أمير المؤمنين الى الوليد ابن عتبة أما بعد فان معاوية كان عبداً من عباد الله اكرمه الله واستخلفه وخولته ومكّن له فعاش بقلدر ومات بأجل فرحمه الله فقد عاش محموداً ومات براً تقياً والسلام ؛ وكتب له أيضاً أما بعد فعخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رحضة حتى يبايعوا والسلام . »

وعندما أحسّ الحسين (ع) بضغط الأمويين عليه في طلب البيعة ليزيد خرج من المدينة الى مكة حيث دخلها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ونزل شعب عليّ فأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق بمختلفون اليه ويجمعون عنده .

وكانت الأخبار بوفاة معاوية قد تنقلت الى مختلف الأمصار وبلغ أهل

الكوفة ذلك الخبر كما علموا امتناع الحسين عن بيعة يزيد بن معاوية ونزوله مكة ، فاجتمع كبار أهل الكوفة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي بالكوفة فذكروا وفاة معاوية وخطبهم سليمان بن صرد وقال لهم : إن حسينا قد خرج من مكة وانتم شيعته ، وشيعة أبيه ، فان كنتم تعلمون انكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا اليه وان خفتم القتل والوهن فلا تغرّوه ، قالوا : لا بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه ، فكتبوا اليه : بسم الله الرحمن الرحيم للحسين ابن علي عليهما السلام من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين المسلمين من أهل الكوفة سلام عليك . فانا نحمد اليك الله الذي لا إله الا هو ، أما بعد فالحمد لله الذي قسم عدوك الجبار العنيد الذي اعتدى على هذه الأمة فأبزها أمرها وانزاعها حقوقها وخصبها فيثها وأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل ما ل الله دولة بين جبابرتها واغنياها فبعداً له كما بعدت ثمود وانه ليس علينا امام فاقبل لعل الله ان يجمعنا بك على الحق ، والنعمان بن بشير في قصر الأمانة لسنا نجتمع معه في جمعة ولا عيد وقد حبسنا أنفسنا عليك ولو اقبلت الينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام .

وقد أرسل الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني وعبد الله بن وال ، واوصلاه الى الحسين (ع) في العاشر من رمضان سنة ٦٠ هـ ، وصار أهل الكوفة يتابعون بايفاد الرسل الى الامام الحسين مزودين بالكتب ويلحون على الحسين بالمجيء ومما جاء في بعض رسائلهم : « ان الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك فالعجل العجل ثم العجل العجل والسلام » ومن رسالة بعث بها شيب بن ربيع وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث ويزيد بن رويم وعروة بن قيس وعمرو بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير بن عطار التميمي :

٤٨ ————— حسين أمين

« أما بعد فقد اخضر الجنب وأينعت الثمار فاذا شئت فاقبل على جند لك مجند والسلام ». وقد روى الطبري ان أهل الكوفة كتبوا الى الحسين ان معك مائة ألف .

وكتب الحسين الى أهل الكوفة (بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين ابن علي الى الملائمة المؤمنين المسلمين ، أما بعد فقد فهمت كل الذي اقتصصتم وقد بعثت اليكم بأخي وابن عمي وثقي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم فان كتب الي انه قد اجتمع رأي ملائمة وذوي الحجة منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فاني اقدم اليكم وشيكاً ان شاء الله فلعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب القائم بالقسط الدائن بالحق الخابس نفسه على ذات الله والسلام » .

وتوجه مسلم بن عقيل نحو الكوفة ، تلبية لأمر الحسين بن علي (ع) ما وصلها نزل في الدار التي تعرف بدار المختار بن أبي عبيد ثم عرفت دار المسيب ، وصار الناس يختلفون اليه ، يتعرفون عليه ويتلو عليهم كتاب الامام الحسين (ع) حتى بلغ عدد الذين بايعوه ثمانية عشر ألفاً ، وكان على الكوفة وقتذاك النعمان بن بشير ، ويبدو أن يزيد بن معاوية لم يكن ليرتاح اليه لذا فانه اصدر أوامره بتولية عبيد الله بن زياد ولاية الكوفة ، فاتبع عبيد الله ههنا غاية الشدة في تثبيت دعائم حكمه وتوسل بوسائل مختلفة من العنف والأغراء والرشوة والتهديد . كما فرض احكاماً وقوانين قسرية من أجل الحفاظ على ولاية الكوفة وإفساد أهلها من أن ينجحوا في مطلبهم وغايتهم ، ولما أحس مسلم بن عقيل بقدوم ابن زياد واتباعه تلك الأساليب العنيفة تحول الى دار هاني بن عروة المرادي وهو من أشرف الكوفة وطلب منه أن يستضيفه ويخبره ، وكان مسلم بن عقيل قد أرسل الى ابن عمه الحسين

(ع) يخبره بأن أهل الكوفة قد بايعوه وطلب منه أن يعجل في القدوم . وشدد ابن زياد الخناق على أهل الكوفة وطارده أصحاب مسلم بن عقيل حتى بقي وحده ووقع أخيراً في قبضة عبيد الله بن زياد فأمر بقطع رأسه كما أمر بقتل هاني بن عروة المرادي ، وهكذا سال الدم الزكي فوق مسلم بن عقيل شهيداً من أجل الفكرة السامية وذهب هاني بن عروة شهيداً من أجل الحفاظ على الوفاء بالعهد ، وكان ذلك بداية الأعمال التعسفية التي لم تشهد الكوفة لها مثيلاً في التاريخ :

وقدم الحسين (ع) أرض العراق ونزل ذات عرق فلما بلغ الحاجر كتب الى أهل الكوفة مع قيس بن مسهر الصيداوي ، يعرفهم قدومه ويأمرهم في الجدد بأمرهم ، ولما انتهى قيس الى القادسية أخذه الحصين فبعث به الى ابن زياد فقال له ابن زياداً صعد القصر فسبّ الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي !! فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان هذا الحسين ابن علي خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله (ص) وأنا رسوله اليكم وقد فارقت بالحاجر فأجيبوه ثم لعن ابن زياد وأباه واستغفر لعلي فأمر به ابن زياد فرمي من أعلى القصر فتقطع ومات .

ثم مر الحسين بزرود حيث التقى بزهير بن القين البجلي وكان عثمانياً وصار من أنصار الإمام الحسين ولازمه حتى قتل معه . وجاء للأمام الحسين عليه السلام خبر مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وهو في الثعلبية ثم انتقل الى زُبالة وفيها أبلغ بمقتل اخيه من الرضاة عبدالله بن يقطر وكان (ع) قد أوفده الى مسلم بن عقيل .

وجمع الإمام أنصاره ومن انضم اليه من العرب فخطبهم وابلغهم

موسومة للجنات المقتلة (٤)

•• ————— حسين امين

مقتل ابن عمه مسلم بن عقيل وقال لهم : قد خذلنا شيعتنا فعن أحب منكم أن ينصرف فليصرف ليس عليه منا ذمام ؛ ففترقوا يميناً وشمالاً ولم يبق معه (ع) الا أصحابه المخلصون الذين جاؤا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضموا إليه ، أولئك الذين بقوا على العهد واسترخصوا النفس دفاعاً عن المبادئ السامية والمثل العليا .

ولما علم عبيد الله بن زياد بوجهة الإمام الحسين (ع) اتخذ احتياطات عسكرية مختلفة وحاول جاهداً مراقبة تحركات الإمام الحسين (ع) وكان قد أرسل الى حراسة البر قائداً من قواده (الحر بن يزيد الرياحي) والتقى بركب الحسين (ع) في (شراف) وكانت مهمة الحر على ما يبدو قطع الطريق على الحسين وعدم مفارقتة حتى يأتي به الى الكوفة . ولما أحسّ الحسين بخذلان شيعته وبالأجراءات التعسفية التي اتبعها عبيد الله بن زياد في الكوفة وأهلها وبما يتتو به ضده وضد أنصاره أمر أصحابه بالانصراف نحو الحجاز ولكن القائد الأموي (الحر بن يزيد) منعهم من ذلك ، فقال له الحسين (ع) : ما الذي تريد؟ قال الحر : أريد أن أنطلق بك الى الأمير عبيد الله بن زياد . قال الحسين إذن والله لا أتبعك . قال الحر : إذن والله لا أدعك . وكثر الجدل بينهما فقال الحر : إنني لم أوثر بقتالك وإنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة ، فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ، ولا تردك الى الحجاز حتى اكتب الى الأمير عبيد الله ، فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقنا فيه العافية ولا أبتلي بشيء من أمرك ، فسار الحسين متياسراً من طريق العذيب والحر بن يزيد يسايره ، وخطب الإمام الحسين (ع) في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس إن رسول الله (ص) قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا

مرض تدريجي مجمل ٥١

قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله الا وأنا أحق من غيري ، وقد اتني
كتبكم ورسلكم ببيعتكم وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني فان بقيتم على
بيعتكم تصيبوا رشدكم وانا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله (ص) ،
نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهلكم ، فلکم في أسوة ، وإن لم تفعلوا
ونقضتم عهدي ، وخلعتم بيعتي ، فلعمري ما هي لكم بنكير والمغرور
من اغتربكم ، فحفظكم أخطأتم ، ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فانما
ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم والسلام ، فقال له الحر : اني اذكرك
الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن ، فقال له الحسين : « أباالموت
تخوفني ؟ وهل يبعدونكم الخطب ان تقتلوني ، وما أدري ما أقول لك ،
ولكني اقول كما قال أخو الأوس لأبن عمه وهو يريد نصرة رسول الله
(ص) فخوفه ابن عمه اين تذهب فانك مقتول ، فقال :

سأمضي وما بالموت عار على الفتي اذا مانوى خيراً وجاهد مسلماً
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مبتوراً وفارق مجرم
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً

وسار الأمام الحسين بأصحابه حتى بلغ عذيب المهجانات ، والحر بن
يزيد ملازماً له ، ثم وصل قصر بني مقاتل ، وكلما أراد الحسين
(ع) أن يتياسر ليميل نحو البادية رده الحر بن يزيد نحو الكوفة حتى
انتهى (ع) الى نينوى فنزل بها . وفي الثاني من محرم الحرام سنة احدى
وستين وصل (ع) مكاناً قريباً من الفرات اسمه كربلاء .

وفي اليوم التالي من نزول الأمام الحسين (ع) كربلاء قدم عمر بن
سعد من الكوفة في اربعة الاف وكان سبب مسيره اليه ان عبده الله بن

٥٢ حسين امين

زياد كان قد بعثه على أربعة آلاف الى (دستي) (١) وكان الديلم قد خرجوا إليها وغلّبوا عليها وكتب له عهده على الري فحسب بالناس في (حاتم أعين) (٢) ، فلما كان من أمر الحسين ما كان ، دعا ابن زياد عمر بن سعد وقال له : سر الى الحسين فاذا فرغنا مما بيننا وبينه سرت الى عمك ، فاستعفاه . فقال : نعم على ان ترد عهدنا ، فلما قال له ذلك ، قال : أمهلني اليوم حتى انظر فاستشار نصحاءه ، فكلهم نهاه ، واتاه حمزة بن المغيرة ، وهو بن اخته ، فقال : انشدك الله يا خالي أن لا تسير الى الحسين فتأثم ، وتقطع رحمك ، فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض ، - لو كان لك - خير من أن تلقى الله بدم الحسين . فقال : أفعل ، وبات ليلته مفكراً في امره وتمثلوه قائلاً :

أترك ملك الري والري مني أم ارجع مدموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عين

وكان ابن سعد على ما يبدو من الأخبار التاريخية متردداً في تنفيذ المهمة التي عهدت اليه ولكنه فضل أخيراً منزلة الأمام الحسين (ع) وعمارته واستجابة أوامر أسياده عبيد الله بن زياد ، ويزيد بن معاوية وغيرهما من الذين فاصبوا الحسين العداء .

وتقابل الأمام الحسين وعمر بن سعد أكثر من مرة وعرض الأمام الحسين ان يعود الى الحجاز ، فكتب عمر بن سعد الى عبيد الله بن زياد في ذلك ، ينصحه الموافقة على ذلك ، وبدأت امارات الموافقة على عبيد .

(١) دستي : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الري وهمدان .
(٢) حاتم أعين : بتشديد الميم بالكوفة ، منسوب الى أعين مولى سعد بن أبي وقاص .

عرض قاريخي مجمل ٥٣

الله بن زياد ولكن (شمر بن ذي الجوشن) قال لعبيد الله بن زياد : « والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن اولى بالقوة والعزة ، ولتكونن اولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، ولكن لينزل على حكمك هو واصحابه فان عاقبت فكنت وليّ العقوبة وان عفوت كان ذلك لك والله لقد بلغني ان الحسين وعمر يتحدثان عامة الليل بين العسكرين » فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ، أخرج بهذا الكتاب الى عمر فليعرض على الحسين واصحابه النزول على حكمي فان فعلوا فليبعث بهم اليّ سلما وان أبوا فليقاتلهم وان فعل فاسمع له واطع وان أبى فانت الأمير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الي برأسه .

وكتب ابن زياد رسالة الى عمر بن سعد يستهجن تصرفاته وسياسته تجاه الحسين (ع) واخيراً قال له في الرسالة : « فان نزل الحسين واصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم اليّ سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون ، فان قتل الحسين فأوطىء الخيل صدره وظهره ، فانه عاق ، شاق ، قاطع ، ظلوم ، فان انت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أنت أبيت فاعزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام » .

وجاء الشمر الى عمر بن سعد وابلغه برسالة الامير عبيد الله بن زياد وقرأها وتبين فحواها ، فركب عمر بن سعد مع نفر من اصحابه واتجه صوب مضارب الامام الحسين (ع) عشية الخميس لتسع مضين من المحرم ، ورأى العباس بن علي بن أبي طالب قدوم اهل الكوفة ، فقال للامام الحسين (ع) : أتاك القوم . فنهض الحسين (ع) وقال : يا عباس اركب بنفسي أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم ، مالكم؟ وما

• ٤ • ————— حسين امين

بدا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم ، فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً ، فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر ، فقال لهم العباس : ما بدا لكم وما تريدون . قالوا : جاء امر الأمير بأن نعرض عليكم ان ننزلوا على حكمه او ننزلكم . قال : فلا تعجلوا حتى ارجع الى ابي عبدالله فاعرض عليه ما ذكرتم . فوقف القوم وقالوا القه فأعلمه ذلك ثم القنا بما يقول . فانصرف العباس (ع) راجعاً يركض الى الحسين يخبره بالخبر ووقف اصحابه يخاطبون القوم ، فقال حبيب بن مظاهر لزهير بن القين : كلم القوم ان شئت وإن شئت كلمتهم . فقال له زهير : أنت بدأت بهذا فكن انت تكلمهم . فقال حبيب بن مظاهر ، اما والله لبش القوم عند الله غداً قومٌ يقدمون عليه قد قتلوا ذرية نبيه عليه السلام وعثرته واهل بيته (ص) ، وعباد اهل هذا المصر المجتهدين بالاسحار والذاكرين الله كثيراً . فقال له عزرة بن قيس : إنك لتزكّي نفسك ما استطعت . فقال له زهير : يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها ، فاتق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين ، انشدك الله يا عزرة ان تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية ؛ قال : يا زهير ما كنت عندنا من شيعة اهل هذا البيت إنما كنت عثمانياً . قال : أفلست تستدل بموقفي هذا أني منهم ، اما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قط ، ولا ارسلت إليه رسولاً قط ، ولا وعدته نصرتي قط ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلما رأيته ذكرتُ رسول الله (ص) ومكانه منه ، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم ، فرأيت أن أنصره ، وان اكون في حزبه ، وان أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله عليه السلام .

وأقبل العباس (ع) يركض حتى انتهى إليهم ، فقال : يا هؤلاء إن أبا عبدالله يسألكم ان تنصرفوا هذه العشية حتى ينظر في هذا الأمر فان

عرض تاريخي مجلد ٥٥

هذا أمر لم يجر بينكم وبينه فيه منطق ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله
فإما رضىناه فأتينا بالأمر الذي تسألونه وتسومونه أو كرهنا فرددناه .

ويبدو ان الامام الحسين كان قد ايقن ان الامويين ليسوا بتاركيه وانهم
لا يضمرون له ولاصحابه إلا الشر ، فاراد كسب تلك الليلة ليوصي اهله
وذويه ، ويتشاور مع اصحابه ، ولينفرغ فيها خالصاً صادقاً يدعو الله
عز وجل ، فقد قال الحسين (ع) لأخيه العباس : ارجع إليهم فان استطعت
أن توخرهم الى غدوة وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه
ونستغفره ، فهو يعلم أنني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة
الدعاء والاستغفار .

وقال عمر بن سعد : ما ترى يا شمر ؟ قال : ما ترى أنت ؟ أنت الأمير
والرأي رأيك . قال : قد اردت ألا أكون ، ثم اقبل على قومه فقال :
ماذا ترون ؟ فقال عمرو بن الحجاج : سبحان الله ، والله لو كانوا من الديلم
ثم سألوكم هذه المنزلة لكان ينبغي لك ان تجيبهم إليها ، وقال قيس بن
الأشعث : أجيبهم الى ما سألوكم فلعمرى ليصبحنك بالقتال غدوة ؛ فقال :
والله لو اعلم ان يفعلوا ما اخرجتهم العشية .

وجمع الامام الحسين (ع) اهل بيته وذويه وانصاره في تلك الليلة
الاخيرة من حياة البطل الامام الحسين (ع) وحياة اولئك الأفاضل الذين
وقفوا المواقف الرائعة التي دلت على سمو في النفس وثبات في المبدأ وعلو
في الهمة . فوقف الامام الحسين (ع) وقال في اصحابه : «أثني على
الله تبارك وتعالى احسن الثناء ، وأحمده على السراء والضراء ، اللهم إني
أجمدك على أن اكرمتنا بالنبوة ، وعلمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ،
وجعلت لنا اسماعاً وابصاراً وافئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ، اما بعد

٥٦ ————— حسين امين

فلاني لا أعلم اصحاباً أولى ولا خيراً من اصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ ولا
اوصل من اهل بيتي ، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً ، ألا وإني أظن
يومنا من هؤلاء الاعداء غداً ، ألا وإني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعاً
في حلّ ليس عليكم من ذمام ، هذا ليلٌ قد غشيكم فاتخذوه جملاً ،
ثم ليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم
ومدائنكم حتى يفرج الله فان القوم إنما يطلبوني ولو قد اصابوني هوا
عن طلب غيري .

فأجابه أخوته وابناؤه وابناء أخوته وابناء عبدالله بن جعفر ، وكل
الذين كانوا معه : لمَ تفعل هذا لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم
بهذا القول العباس بن علي ، وقال مسلم بن عوسجة الأسدي : انحن نتعزى
عنك؟ ولم نعلم الى الله في اداء حقلك؟ اما والله لا أفارقك حتى اكسر
في صدورهم رمحي ، واضربهم بسيفي ، ما ثبت قائمه يدي ، والله لو لم
يكن معي سلاحي لقدفتهم بالحجارة دونك حتى اموت معك ، وتكلم
أصحابه بنحو ذلك ، وكانت موافقهم رائعة دلت على صدق واخلاص
وثبات على المبدأ .

وكان علي بن الحسين تلك العشية مريضاً ، تمرضه عمته زينب فسمع
اباه في نجاته وعنده (حُويّ) مولى ابي ذر الغفاري يعالج سيفه ويقول :

يا دهر أف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وانما الأمر الى الجليل وكل حي سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً فعرف عليّ ما أراد ، ولزم السكوت ، وسمعته

مرض قاريخي مجمل ٥٧

زينب بنت علي أخته ، فلم تملك نفسها أن وثبت نجر ثوبها حتى انتهت
اليه ونادت واثكلاه ! ليت الموت أعد مني الحياة ، اليوم ماتت أمي فاطمة ،
وعلي أبي ، وحسن أخي ، يا خليفة الماضي وثمان الباقي .

فنظر اليها الحسين وقال : « يا أختي لا يذهبن حلمك الشيطان »
وقالت : بابي انت وأمي استقتلت نفسي لنفسك ، أفتغصبك نفسك اغتصاباً
فذلك أفرح لقلبي ، وأشد على نفسي ، ثم لطمت وجهها وشقت جبينها
وخرّت مغشية عليها ، فقام اليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال :
« اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي ان أهل الأرض يموتون ، وأهل
السماء لا يبقون ، وان كل شيء هالك إلا وجه الله ، أبي خير مني ، وأمي
خير مني ، واخي خير مني ، ولي ولهم ولكل مسلم يرسل الله
أسوة » فعزاها بهذا ، وقال لها « يا أختي أني اقسم عليك فابري قسمي »
لا تشقي عا " جيباً ، ولا تخمشي علي " وجهاً ، ولا تدعي علي " بالويل والثبور
ان أنا هلد " .

وطلب الأمام الحسين من أصحابه أن يقربوا البيوت وأن يدخلوا
الاطناب بعضها في بعض ويكونوا بين يدي البيوت فيستقبلون القوم من
وجه واحد والبيوت على ايمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم ، فلما امسوا
قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون .

واشرقت شمس العاشر من المحرم في ذلك اليوم الأليم من تاريخ
الإنسانية ، وقف الحسين ومعه اثنان وثلاثون فارساً ، واربعون راجلاً ،
فجعل (ع) زهير بن القين في ميمنة أصحابه ، وحبيب بن مظاهر في
ميسرتهم ، وأعطى رايته لأخيه العباس ، وجعلوا البيوت في ظهورهم
وأمر بجطب وقصب فالقي في مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه

في ساعة من الليل لثلا يوثوا من ورائهم واضرم نارا فنفعهم ذلك .

ووقف جيش الأمويين بقيادة عمر بن سعد وجعل على ربع أهل المدينة عبدالله بن زهير الأزدي وعلى ربع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث بن قيس ، وعلى ربع مذحج واسد عبد الرحمن ابن أبي سبرة الجعفي . وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي . وجعل عمر بن سعد على ميمنة عمرو بن الحجاج الزبيدي ، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن ، وعلى الخليل عروة بن قيس الأحمس ، وعلى الرجال شيب بن ربيعي البربوعي التميمي واعطى الراية دريداً مولاه .

وركب الحسين فرسه ، ووضع مصحفاً بين يديه واستقبل القوم رافعاً يديه قائلاً : « اللهم انت ثقتي في كل كرب ، ورجائي في كل شدة ، وانت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة ، كم من هم يضعف فيه القواد ، وتقل فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ، ويشمت به العدو ، انزلته بك ، وشكوته اليك ، رغبة اليك عن سواك ففرجته ، وكشفته ، وكفيتني ، فانت ولي كل نعمة ، وصاحب كل حسنة ، ومنتهى كل رغبة » فلما رأى أصحاب عمر ، النار تلتهب في القصب ، نادى شمر الحسين : تعجلت النار في الدنيا قبل القيامة !! فعرفه الحسين (ع) فقال : أنت أولى بها صلياً ، ثم ركب الحسين (ع) راحلته وتقدم الى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال : « أيها الناس أسمعوا قلبي ولا تعجلوني ، حتى أعظكم بما يجب لكم علي ، وحتى اعتذر اليكم من مقدمي عليكم ، فان قبلتم عذري ، وصدقتم قلبي ، وانصفتُموني ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علي سبيل ، وان لم تقبلوا مني العذر فاجمعوا أمركم ، وشركاءكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا الي ولا تنظرون ، ان ولي الله

مرض تاريخي محمل. ٥٩

الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين « فلما سمعت اخواته قوله يكنين ، وصحن ، وارتفعت اصواتهن ، فارسل اليهن أخاه العباس ، وابنه علياً ليسكتاهن ، ثم عاد يواصل قوله : « أما بعد فأنسبوني ، فانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوا وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ؟ أأنت ابن بنت نبيكم وابن وصيه ؟ وابن عمه ؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله ؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي ؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار في اللجنة عمي ؟ اولم يبلغكم قول مستفيض ان رسول الله (ص) قال لي ولأخي : انتما سيدا شباب أهل الجنة ، وقرة عين أهل السنة ، فان صدقتموني بما أقول ، وما أقول هو الحق ، والله ما تعدت كذباً مذ علمت ان الله يمقت عليه ، وان كذبتوني فان فيكم من ان سألتموه عن ذلك أخبركم . سلوا جابر بن عبد الله ، أو أبا سعيد الخدري ، أو سهل بن سعد ، أو زيد بن أرقم ، يخبروكم انهم سمعوه من رسول الله (ص) . أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي ؟ » فقال شمر هو يعبد الله على حرف ان كان يدري ما يقول . فقال له حبيب بن مظاهر : والله اني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً وان الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما يقول . ثم واصل الحسين قوله « فان كنتم في شك مما أقول ، أو تشكّون اني ابن بنت نبيكم ، فوالله ما بسين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم ، أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتله ، أو بمال لكم استهلكته ، أو بقصاص من جراحة » .

تلك كانت مقالة الحسين ومحاورته مع الذين وقفوا أمامه ، فقد كان (ع) ينطق بالحق المبين ولم يحر احدهم جواباً ، فنادى (ع) يا شيبث بن ربعي ، ويا حجار بن ابجر ، ويا قيس بن الأشعث ، ويا زيد بن الحارث ، ألم تكتبوا الي في القدوم عليكم ؟ فانكر القوم ولكنه (ع) قال لهم بلسان طلق

ينطق بالحق : بلى والله لقد فعلتم .

وقد أحسن (ع) حقاً بخذلان أهل الكوفة له ، وانقلاب معظمهم عليه ، ويش من معاونتهم ونصرتهم ، قال : ايها الناس اذ كرهتموني فدعوني أنصرف الى مأمني من الأرض ، فقال له قيس بن الأشعث : ألا تنزل على حكم ابن عمك — يعنى ابن زياد — فانك لن ترى الا ما تحب ؟ فقال له الأمام الحسين (ع) « أنت أخو أخيك أتريد ان يطلبك بنو هاشم باكثر من دم مسلم بن عقيل ؟ لا والله ولا اعطيهم يدي اعطاء الدليل ، ولا أقر لإقرار العبد ، عباد الله اني عذت بربي وربكم ان ترجموني ، اعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب » ثم اناخ راحلته ونزل عنها .

وهزت الشهامة العربية زهير بن القين ، فخرج على فرس له بسلاحه ، فقال : « يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار ، ان حقاً على المسلم نصيحة المسلم ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وانتم للنصيحة منا أهل ، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا نحن أمة وانتم أمة ، ان الله قد ابتلانا واياكم بلرية نبيه محمد (ص) لينظر ما نحن وانتم عاملون ، انا ندعوكم الى نصرهم وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد فانكم لا تدركون منهما إلا بسوء عُمَرُ سلطانهما كله ليسملان أعينكم ، ويقطعان أيديكم ، وأرجلكم ، ويمثلان بكم ، ويرفعانكم على جذوع النخل ، ويقتلان أمثالكم وقراءكم امثال حजर بن عدي واصحابه ، وهانى بن عروة واشباهه » .

ويبدو ان كلمات ذلك الرجل لم تجد مكاناً في قلوب اولئك الذين أعمت ابصارهم الأموال . التي كان يغدقها عليهم عبيد الله بن زياد والي الكوفة

عرض تاريخي مجمل ١٠١

من قبل الأمويين ، فلم يتنبهوا الى تلك الأقوال المأثورة التي اندفعت من صدر ذلك المؤمن العظيم ، ذلك لانهم صم ، أغلقت آذانهم فهم لا يسمعون ولا يفقهون حديثاً .

وزحف عمر بن سعد نحو الحسين (ع) ، فأوقفه الحر بن يزيد وقال له : « أصلحك الله أمقاتل انت هذا الرجل ؟ » قال له « أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي » . قال الحر : أفما لكم في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا ؟ فقال عمر بن سعد : « والله لو كان الأمر اليّ لفعلت ولكن أميرك قد أبى ذلك » وأقبل الحر بن يزيد يدنو نحو الحسين (ع) قليلاً قليلاً واخذته رعدة ، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس : والله إن أمرك لمريب ، والله ما رأيت منك في موقف قط مثل ما أراه الآن ، ولو قبل من أشجع أهمل الكوفة لما عدوتك ، فقال له : « اني والله أخير نفسي بين الجنة والنار ولا أختار مع الجنة شيئاً ، ولو قطعت ، وحرقت » ثم ضرب فرسه فلاحق بالحسين فقال له : « جعلني الله فداك يا ابن رسول الله انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع ، وسأيرتك في الطريق ، وجمعجت بك في هذا المكان ، والله الذي لا إله إلاّ هو ما ظننت ان القوم يردّون عليك ما عرضت عليهم ابدأ ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة ابدأ ، فقلت في نفسي : لا أبالي ان أطيع القوم في بعض أمرهم ، ولا يرون أني خرجت من طاعتهم ، واما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم اليه ، والله لو ظننت انهم لا يقبلونها منك ما ركبته منك ، وإني قد جئتك تائباً مما كان مني ، والى ربي ، مواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك ، افترى لي في ذلك توبة ؟ » وتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال « ايها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافاكم الله من حربه وقاتله » . فقال عمر : لقد

حرصت لو وجدت الى ذلك سبيلاً . فقال الحر : « يا أهل الكوفة لامكم الهبل والعبر (١) . دعوتهم حتى اذا أتاكم اسلمتموه ، وزعمتم انكم قاتلو انفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لقتلوه ؟ امسكنم بنفسه ، واحطمت به . ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته . فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نقعاً ولا يدفع عنها ضرراً ، ومنعتموه ومن معه عن ماء القرات الجاري ، يشربه اليهودي والنصراني والمجوسي ، ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه ، وها هو وأهله قد صرعهم العطش ، بشما خلقتهم محمداً في ذريته . لاسقاكم الله يوم الظما ان لم تتوبوا وتزعوا عما انتم عليه » فرموه بالنبل فرجع الحر حتى وقف أمام الحسين ، ثم قدم عمر بن سعد برأيه وأخذ سهماً فرمى به وقال : « اشهدوا لي اني أول رام » ثم رمى الناس ، وبرز يسار مولى زياد ، وسالم مولى عبيد الله وطلبا البراز فخرج اليهما من انصار الحسين عبدالله بن عمر الكلبي وكان قد أتى الحسين من الكوفة وسارت معه امرأته فقالا له : من انت ؟ فانتسب لهما فقالا : لا نعرفك ليخرج الينا زهير بن القين ، أو حبيب بن مظاهر ، أو برير بن خضير ، وكان يسار أمام سالم فقال له الكلبي : يا ابن الزانية وبك رغبة عن مبارزة أحد من الناس ولا يخرج اليك الا وهو خير منك . ثم حمل عليه فضربه بسيفه حتى برد فاشتغل به يضربه فحمل عليه سالم فلم يأبه له حتى غشيه فضربه فاتقاه الكلبي بيده فاطار أصابع كفه اليسرى ، ثم مال عليه الكلبي فضربه حتى قتله ، وأخذت امرأته عموداً وكانت تسمى (أم وهب) واقبلت نحو زوجها وهي تقول : فداك أبي وأمي : قاتل دون الطيبين ذرية محمد ، فردها نحو النساء فامتنعت وقالت : لن أدعك دون

(١) الهبل : الشكل ، أي ثكلتكم امهاتكم ، والعبر بضم وسكون سحنة العين .

مرض قاريخي عمل

أن أموت معك فناداها الحسين فقال : « جزيم من أهل بيت خير الرجعي
رحمك الله ليس الجهاد الى النساء » فرجعت .

وزحفت ميمنة الأمويين بقيادة عمرو بن الحجاج فلما اقتربوا من معسكر
الحسين جثوا على الركب وشرعوا الرماح نحوهم ، ولم تقدم خيلهم على
الرماح فذهبت الخيل لترجع فرشقوهم بالنبل فصرعوا منهم رجالاً ،
وجرحوا آخرين ، وتقدم رجل منهم يقال له ، ابن حوزة ، فقال : أفبيكم
الحسين ؟ فلم يجبه أحد . فقالها ثلاثاً فقالوا : نعم فما حاجتك ؟ قال يا
حسين ابشر بالنار ، قال له الإمام الحسين (ع) « كذبت بل أقدم على
رب رحيم وشفيع مطاع ، فمن انت ؟ » قال : ابن حوزة : فرفع الحسين
يديه فقال « اللهم حزه إلى النار » فغضب ابن حوزة فاقحم فرسه في نهر
بينهما ، فتعلقت قدمه بالركاب ، وجالت به الفرس فسقط عنها فانقطعت
فخلده وساقه وقدمه وبقي جنبه الآخر متعلقاً بالركاب يضرب به كل حجر
وشجر حتى مات ، وكان مسروق بن وائل الحضرمي قد خرج معهم
فقال : لعلي أصيب رأس الحسين فأصيب به منزلة عند ابن زياد ، فلما
رأى ما صنع الله بابن (حوزة) بدعاء الحسين ، رجع ، وقال : لقد
رأيت في أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً ، ونشب القتال وخرج يزيد
ابن معقل حليف عبد القيس فقال يا برير بن خضير ، كيف ترى الله صنع
بك ؟ قال : والله لقد صنع بي خيراً وصنع بك شراً فقال : كذبت وقبل
اليوم ما كنت كذاباً وانا أشهد انك من الضالين ، فقال له ابن خضير :
هل لك ان ابا هلك ان يلعن الله الكاذب ويقتل المبطل ثم أخرج أبارزك ،
فخرجنا فتباها : ان يلعن الله الكاذب ويقتل المحق المبطل ، ثم تبارزا
فاختلفا ضربتين ، فضرب يزيد بن معقل ، برير بن خضير فلم يضره
شيئاً وضربه ابن خضير ضربة قادت المغفر وبلغت الدماغ فسقط والسيف

في رأسه ، فحمل عليه رضي بن متقذ العبدى فاعتق ابن خضير فاعتركا ساعة ، ثم ان ابن خضير قعد على صدره فحمل كعب بن جابر الأزدي عليه بالرمح فوضعه في ظهره حتى غيب السنان فيه فلما وجد مس الرمح نزل عن رضي فعرض أنفه وقطع طرفه ، واقبل اليه كعب بن جابر فضربه بسيفه حتى قتله ، وقام رضي ينفخ التراب عن قبائه ، فلما رجع كعب قالت له امرأته : أعنت على ابن فاطمة وقتلت بريراً سيد القراء لا أكلمك ابداً ، وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري وقاتل دون الحسين فاستشهد ، وقاتل الحر بن يزيد قتالاً شديداً ، ومن برز للحر من الأمويين يزيد بن سفيان فقتله الحر . وقاتل نافع بن هلال مع الحسين وانتصر على غريمه مزاحم بن حريث وقتله ، وأخذ عمرو بن الحجاج يحرض أهل الكوفة على مقاتلة الإمام الحسين ويحثهم على قتال انصاره . ثم حمل عمرو بن الحجاج على معسكر الحسين من نحو القرات فتمكن من قتل بطل من ابطال انصار الحسين (مسلم بن عوسجة الأسدي) وانصرف عمرو ، ومسلم صريع فمشى الحسين إليه وبه رمق فقال : « رحمك الله يا مسلم منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) ودنا حبيب بن مظاهر من مسلم وقال « عز عليّ مصرعك ، ابشر بالجنة ولولا أني أعلم اني في اترك ، لاحق بك ، لأحييت ان قوصيني حتى احفظك بما أنت له أهل » فقال مسلم : « أوصيك بهذا رحمك الله - وأوماً بيده نحو الحسين - أن تموت دونه » فقال : افعل . ومات مسلم بن عوسجة الاسدي شهيداً من أجل المبادئ السامية ومن أجل ان تسود الكلمة الحق في ربوع الإنسانية ، ويتشدد القتلة المارقون ويتباهون بقتلهم مسلم بن عوسجة ، فيستيقظ ضمير واحد منهم هو (شيب بن ربيعي) فيقول لهم « ثكلتكم امهاتكم انما تقتلون انفسكم بايديكم وتذلون انفسكم لغيركم ، أتفرحون بقتل مثل مسلم بن عوسجة ؟

مرض تاريخي مجمل ٢٥

اما والذي اسلمت له لرب موقف قد رأيته في المسلمين فلقد رأيته يوم سلق
أفرييجان قتل ستة من المشركين قبل أن تنام خيول المسلمين افقتل مثله
وتفرحون ؟ » .

وهمت مسيرة الأمويين بقيادة شمر بن ذي الجوشن ، وهاجموا الحسين
ابن علي (ع) وانصاره من كل جانب ، وبرز لهم نصير من انصار الحسين
الذين بذلوا انفسهم من أجل أن تحيا كلمة الله دفاعاً عن الحق والعدل وذلكم
هو عبد الله بن عمير الكلبي وفتك برجلين من زمرة شمر بن ذي الجوشن ،
فتصدى له هانيء بن بشت الحضرمي ، وبكير بن حي التيمي من تيم الله
ابن ثعلبة ، وقتلاه بعد ان قاتل قتلاً شديداً ، وجاهد جهاداً عظيماً ، وكان
مثلاً رائعاً في الثبات على المبدأ والفداء بالنفس من اجل المثل الانسانية السامية .

ووقف انصار الحسين جميعاً مواقف رائعة وكانوا اثنين وثلاثين فارساً
وكانوا كالتسور العالية في انقضاضها على صفوف الأعداء . وكأنها الأسود
المنقضضة على الفلول الفرعة الخائفة ، فما هجمت تلك العصابة المؤمنة على
جناح إلا كشفتها ، فافوقوا الرعب والجزع في قلوب جيش الامويين ،
حتى بعث عروة بن قيس وكان يقود خيل الكوفة من قبل الأمويين ، الى
عمر بن سعد ، يقول : الا ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة السيرة
ابعث اليهم الرجال والرماة ، فقال لشبث بن ربعي : الا تقدم اليهم ؟ فقال
شبث : سبحان الله شيخ مضر واهل المصر عامة تبعته في الرماة لم نجد لهذا
غيري ؟ ولم يزلوا يرون من شبث الكراهة للقتال حتى انه كان يقول في
امارة مصعب « لا يعطي الله أهل هذا المصر خيراً أبداً ولا يسددهم لرشد ،
ألا تعجبون إنا قاتلنا مع علي بن ابي طالب ومع ابنه الحسن آل ابي سفيان

موسوعة المعجيات المقتمة (٥)

خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية . وابن سمية الزانية ، ضلال يالك من ضلال ! » فلما قال شبت ذلك ، دعا عمر بن سعد الحصين بن نمير ، فبعث مع المجففة وخمسماية من المرامية فلما دنوا من الحسين واصحابه ، رشقوهم بالنبل فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وصاروا رجاله كلهم ، وقاتل الحر بن يزيد راجلاً قتلاً شديداً ، فقاتلوهم الى أن انتصف النهار أشد قتال ولم يتمكنوا من اتيانهم إلا من وجه واحد ، لاجتماع مضاربهم ، فلما رأى ذلك عمر بن سعد ، ارسل رجالاً يقوضون البيوت عن أيمنهم وشمالهم ليحيطوا بهم ، فكان النفر من اصحاب الحسين الثلاثة والأربعة يتخللون البيوت فيقتلون الرجل وهو يقوض وينهب ويرمونه من قريب أو يعقرونه فأمر بها عمر بن سعد فأحرقت ، فقال لهم الامام الحسين (ع) دعوهم فليحرقوها ، فانهم اذا أحرقوها لا يستطيعون ان يجوزوا اليكم منها فكان كذلك .»

ومشت امرأة عبد الله بن عمير الكلبي الى زوجها الذي استشهد في المعركة ، وجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه وتقول : هنيئاً لك الجنة ، فلمعها شمر بن ذي الجوشن وامتلأ قلبه غيظاً ، فأمر غلاماً اسمه رستم بأن يضرب رأسها بالعمود ، فنفذ رغبة القائد الأهوج ، فضرها بالعمود فشذخ رأسها فماتت مكانها .

وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين ونادى علياً بالنار حتى احرق هذا البيت على أهله فصاحت النساء وخرجن وصباح به الحسين (ع) انت تحرق بيتي على اهلي احرقك الله بالنار ، فقال حميد بن مسلم ، لشمر : ان هذا لا يصلح ، تعذب بعذاب الله وتقتل الولدان والنساء ، والله ان في قتل الرجال لما يرضى به أميرك ، فلم يقبل منه ، فجاءه شبت بن ربيع

فنهائهم فانهي ، وذهب لينصرف وحمل عليه زهير بن القين في عشرة فكشفهم عن البيوت ، وقتلوا ابا عزة الضبابي وكان من اصحاب شمر ، وعطف الناس عليهم فكثروهم ، وكانوا اذا قتل منهم الرجل والرجلان يبين فيهم لقلنتهم ، واذا قتل في بني أمية لا يبين فيهم لكثرتهم ، ولما حضرت الصلاة قال ابو تمامة الصائدي للحسين : نفسي لنفسك الفداء أرى هؤلاء قد اقربوا منك والله لا تقتل حتى أقتل دونك وأحب ان ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها فرفع الحسين رأسه وقال : ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين ، نعم هذا أول وقتها ، ثم قال : سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي ، ففعلوا ، وقال الحصين بن نمير لهم : انها لا تقبل . فقال له حبيب بن مظاهر : زعمت ان لا تقبل الصلاة من آل رسول لله (ص) وتقبل منك يا حمار فحمل عليه الحصين وخرج اليه حبيب ابن مظاهر ، فضرب وجه فرسه بالسيف فشب فسقط عنه الحصين فاستنقذه اصحابه ، وقاتل حبيب بن مظاهر قتالاً شديداً وظهر من البطولات الرائعة ما جعلته في طبقة الشجعان الميامين . وتبارز مع بديل بن حريم التيمي ، وانتصر حبيب وقتله وحمل عليه رجل آخر من تميم فطعنه فوق ، وحاول القيام فوجه اليه الحصين بن نمير ضربة على رأسه بالسيف ، فوقع ثانية ونزل اليه التيمي فاحتز رأسه ، فقال له الحصين : انا شريكك في قتله ، فقال التيمي : لا والله ، فقال له الحصين : أعطنيه اعلقه في عنق فرسي كيما يرى الناس اني شركت في قتله ثم خذه وامض به الى ابن زياد فلا حاجة لي فيما تعطاه ، ففعل وجال به في الناس ثم دفعه اليهم ، فلما رجعوا الى الكوفة أخذ الرأس وجعله في عنق فرسه ثم اقبل به الى ابن زياد في القصر ورآه القاسم بن حبيب بن مظاهر واقبل مع الفارس لا يفارقه فارتاب به الرجل فسأله عن حاله ، فأخبره وطلب الرأس ليدفنه ، فقال : ان الأمير

٦٨ _____ حين امين

لا يرضى ان يدفن وأرجو أن يتبين الأمير ، فقال له القاسم بن حبيب :
لكن الله لا يثيبك إلا أسوأ الثواب ، ولم يزل يطلب غرة قاتل ابيه حتى كان
زمان مصعب ، وغزا مصعب باضمرا ، دخل القاسم عسكره فاذا قاتل
ابيه في فسطاطه فدخل عليه نصف النهار فقتله .

ولما علم الحسين (ع) باستشهاد حبيب بن مظاهر ، قال (ع) احتسب
حماة أصحابي . وقاتل الحر بن يزيد وزهير بن القين قتلاً اثبتا فيه مروءتهما
وشجاعتهما ودفاعهما عن المثل السامية ، وهجمت عصابة من الرجال على
الحر بن يزيد وقتلوه ، ووقع شهيداً وهو يدافع عن قصد شريف وغاية
نبيلة .

وتتجلى في ذلك اليوم بطولات نادرة وتضحيات فذة ، وضرب كل
اصحاب الحسين (ع) امثلة رائعة في الشجاعة والفداء ، وهذا نافع بن هلال
البجلي قد كتب اسمه فوق نبلة وكانت مسمومة فقتل بها اثني عشر رجلاً
من جيش عمر بن سعد سوى من جرح حتى كسرت عضده وأخذ أسيراً ،
فأخذه شمر بن ذي الجوشن فأثنى به عمر بن سعد والدم يسيل على وجهه
وهو يقول له : « لقد قتلت منكم اثني عشر رجلاً سوى من جرح ،
ولو بقيت لي عضد وساعد ، ما أسرتوني » فانقضى شمر سيفه ليقته فقال
له نافع : والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك ان تلقى الله بدمائنا فالحمد
لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه ، فقتله شمر حقداً وغلراً ،
وراح نافع شهيد الفكرة الإسلامية السامية والمثل العليا النبيلة .

وهذا عابس بن ابي شبيب الشاكري ، نزل الى ميدان المعركة طالباً
البراز ، فلم يحسر احد من الأعداء على التقدم أو الخروج لمبارزته لشجاعته
وعظيم بلائه في سوح القتال ، ولما وجد عمر بن سعد ذلك التردد والخوف

٦٩ حرف تاريخي مجمل

من عساكره ، اصدر اوامره بأن يرموه بالحجارة ، يرموه من كل جانب ، فلما رأى عابس ذلك ، القى درعه ومغفره وحمل على الناس فهزمهم أمامه ، ثم رجعوا عليه وضيقوا عليه الخناق والضرب الشديد حتى وقع شهيداً كريماً في ارض المعركة .

وتقدم أصحاب الحسين (ع) بطلاً اثر بطل شهيد وتساقط ابناء البيت الطاهر والأصحاب الكرام ، واشتد العطش بالحسين (ع) فدنا من الفرات ليشرب فرماه (حصين بن نمير) بسهم فوقع في فمه ، فجعل يتلقى الدم بيده ثم رمى به الى السماء ، ثم حمد الله واثنى عليه ثم قال « اللهم اني اشكو اليك ما يصنع بابت بنت نبيك ، اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بدءاً ، ولا تبق منهم احداً » وقيل ان الذي رماه رجل من بني أبان بن دارم فمكث ذلك الرجل يسيراً ثم صب الله عليه الظماً فجعل لا يروى فكان يروح عنه ويرد له الماء فيه السكر ، وعساس (١) فيها اللبن ويقول : اسقوني ، فيعطى القلة أو العس فيشربه ، فاذا شربه اضطجع هنيهة ثم يقول : اسقوني ، قتلتني الظماً ، فما لبث الا يسيراً حتى انقادت بطنه انقداد بطن البعير .

ثم باغت شمر بن ذي الجوشن مع رجاله الذين امتلأت قلوبهم بالحقد واتسمت بالقسوة ، اجل باغتوا الحسين (ع) وكان شمر يحرض رجاله على قتل الحسين ، وكان (ع) كلما تقدم اليهم انكشفوا عنه وتراجعوا ، ثم احاطوا بالحسين وقد حاول (بحر بن كعب بن تيم الله بن ثعلبة) ان يهوي بسيفه على الحسين (ع) فاتفق الضربة غلام من أهل الحسين (ع) بيده فاطنها (٢) الى الجلدة فنادى الغلام يا أماء فاعتنقه الحسين (ع) وقال له :

(١) العساس : جمع عس وهو الاتاء أو القدح الكبير .

(٢) اطنها أي قطعها وبقيت معلقة بالجلدة فقط .

يا ابن اخي اصبر على ما نزل بك فان الله يلحقك بآبائك الطاهرين الصالحين برسول الله (ص) وحمزة وجعفر والحسن (ع) وقال الحسين (ع) « اللهم أمسك عنهم قطر السماء ، وامنعهم بركات الأرض ، اللهم فان متعتهم الى حين ، ففرقهم فرقاً ، واجعلهم طرائق قديماً ، ولا ترض عنهم الولاة ابداً ، فانهم دعونا لينصرونا فغدوا علينا فقتلونا » .

ولما رأى العباس بن علي بن ابي طالب (ع) كثرة القتل في اهله وانصاره واشتداد الحرب وضراوتها ، طلب من اخوته من أمه وهم عبد الله وجعفر وعثمان ان يتقدموا الى القتال دفاعاً عن المبادئ السامية وذوداً عن اخيه الامام الحسين (ع) فقاتلوا قتالاً شديداً واستشهدوا عليهم السلام جميعاً ونالوا رضا الله ورسوله والأئمة الطاهرين ، واشتد العطش بالامام الحسين (ع) وركب يريد القرات وبين يديه العباس فاعترضته خيل عمر بن سعد وكان فيهم رجل من بني دارم فقال لعصابتة : ويلكم حولوا بينه وبين القرات ولا تمكنوه من الماء ، فقال الحسين (ع) : اللهم اظمأه ؛ فغضب الدارمي ، ورماه بسهم فاثبتته في حنكه . فانزع الحسين (ع) السهم وبسط يده تحت حنكه فامتلاّت راحته من الدم ، فرمى به ، ثم قال : اللهم اني ايشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك ، ثم رجع الى مكانه وقد اشتد به العطش ، وأحاط القوم بالعباس ، فاقتطعوه عنه ، فجعل يقاتلهم بشجاعة نادرة ، وكان (ع) ينزل عليهم بسيفه فيتفرقون خوفاً وفرعاً ، وباغتته (زيد ابن ورقاء) بضربة غادرة على يمينه فقطعها ، فأخذ (ع) السيف بشماله وجمل على المعتدين وهو يرتجز : —

والله ان قطعتم يميني اني احامي دائماً عن ديني
وعن امام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الامين

وضربه حكيم بن الطفيل على شماله فقطعها ، وحمل عليه من المعتدين وحش لثيم فضربه بعمود من حديد ، فوقع شهيداً عزيزاً كريماً وكان مثلاً من الأمثلة الصادقة للجهاد في سبيل الله والدفاع عن المبادئ الإسلامية السامية والوفاء بالعهد لأخيه الحسين (ع) ، وحزن الامام الحسين حزناً شهيداً لمقتل اخيه العباس وبكى بكاء أليماً ، وكان العباس بن علي (ع) حامل الراية في وقعة الطف ، مشهوراً بالشجاعة وسيماً جميلاً وكان يقال له قمر بني هاشم ، يركب الفرس المطهم ورجلاه تخطان في الارض .

واستعد الإمام الحسين للزوال الأخير ، ووقف (ع) امام شراذم الأمويين ولكعة أهل الكوفة من الخونة المارقين وقفة الأسد المصور يزود عن حياض الدين ويدافع عن المثل العليا ويضرب للأنسانية مثلاً صادقاً للثبات على المبدأ والصمود من أجل الحق .. أجل وقف الإمام الحق وقفة رجل بني هاشم العزيز الأجل ... وتكاثر حوله الأعداء وصار يقاتل قتال الصناديد الأبطال ، ينقض على هذا ويطارد ذاك ويضرب بسيفه من قرب منه وصار شمر بن ذي الجوشن يحرص على قتله ، والتشديد في الضرب ، وهو ينادي « ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امهاتكم » فحمل اولئك المرتزقة من عبيد المال وضعفاء النفس والمتقليين والانتهازيين ، أجل حملوا على الحسين (ع) من كل جانب ، ووجه زرعة بن شريك التميمي ضربة من سيفه على كفه اليسرى فقطعها ، وضربه آخر على عاتقه فكبا منها لوجهه ، ثم ابتعدوا عنه وهو (ع) يقوم ويكبو ، وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح ، فوقع الإمام صريعاً ، وبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي فنزل من فرسه ليحتز رأسه ، فضعف وأرعد ، فقال له سنان : فت الله في عضدك ونزل اليه فذبجه واحتز رأسه ثم دفع به الى خولي بن يزيد ، ثم تهالك الجناة على سلب ما كان على الحسين ، فسلب قميصه اسحق بن حيو

الحضرمي ، واخذ سرّأويله بحر بن كعب ، كما سلب قطيفته قيس بن الأشعث ، وكانت من الخز ، واستحوذ على عمامته أخنس بن مرثد الحضرمي ، وسيطر على تحليه الأسود الأودي ، وأخذ سيفه رجل من دارم ، ومال الرعاع على الفرش ، والحلل ، والأبل ، فأنتهبوا كما نهبوا ثقاله ومتاعه وسلبوا نسائه حتى كانت المرأة لتُنازع ثوبها عن ظهرها حتى تغلب عليه فيؤخذ منها .

وعلا الضجيج في ارض المعركة ان الحسين قد قتل فبلغ ذلك الضجيج مسمع رجل من انصار الحسين كان مثخناً بالجراح ذلكم هو البطل سويد ابن المطاع الذي قاتل طيلة يومه ووقع من شدة نزفه فتحرّكت في عروقه حمم الحياة ، وتعاطمت أمامه النتائج ، أيعيش وقد قتل الحسين ، وها هو يسمع الأراذل يهزجون بقتل الحسين ، فتلمس سيفه فلم يعثر عليه ، فقد سلبه الجناة ، وظل يفنش عن شيء يجاهد به ، فوقعت يده على سكين له ، فوثب وثبة بطل يزأر زئير الأسد ، فلعر الجبناء فهاجمهم سويد بن المطاع فاوقع بهم طعناً ساعة من النهار ، فتعاون عليه رجلاان : عروة بن بطان الثعلبي ، وزيد بن رقاد التغلبي ، فهاجماه وقتلاه ، وكان آخر من قتل من انصار الحسين في ذلك اليوم . ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة واربع وثلاثون ضربة غير الرمية ، وكان عدة من قتل من اصحاب الحسين اثنين وسبعين رجلاً وكان عمر الحسين يوم استشهد خمساً وخمسين سنة وقيل احدى وستين وكان قتله يوم العاشر من المحرم سنة احدى وستين من الهجرة بعد صلاة الظهر ، وحمل رأسه الشريف الى عبيد الله بن زياد مع خولي بن يزيد الأصبحي ، وحמיד بن مسلم الأزدي ، وأمر عمر بن سعد بروؤس أصحاب الحسين وأهل بيته فقطعت وكانوا اثنين وسبعين رأساً ، وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن ، وقيس بن الأشعث ، وعمرو ابن الحجاج ، وعروة بن قيس ، ليقدّموا بها على ابن زياد . وذكر ثقة

المؤرخين ان الرؤوس حملت على أطراف الرماح . واقام عمر بن سعد يومين بعد مقتل الحسين ثم رحل الى الكوفة ، ولما بعد عن موقع المعركة خرج قوم من بني اسد كانوا نزولاً بالغاصرية الى الحسين واصحابه فصلوا عليهم ، ودفنوا الحسين حيث قبره الآن ، ودفنوا ابنه علي بن الحسين عند رجليه ، وحفروا للشهداء من أهل بيته واصحابه الكرام الذين استشهدوا معه في المعركة مما يلي رجلي الحسين ، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً ، ودفنوا العباس بن علي في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاصرية .

وهكذا كانت النهاية المؤلمة ، للأمام الحسين (ع) وصحبه الكرام الذين ضربوا ارواح الامثلة في الثبات على المبدأ ، وسمو النفس ، وانطوت بذلك صفحة من صفحات الجهاد ستظل مشرقة أبداً ذكرى لكل مجاهد أصيل ، وعبرة لكل شهم نبيل .

مراجع البحث

- ١ - ابو مخنف : مقتل الحسين
- ٢ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك
- ٣ - ابن قتيبة : الامامة والسياسة
- ٤ - المسعودي : مروج الذهب
- ٤ - ابن الأثير : الكامل في التاريخ
- ٦ - ابن كثير : البداية والنهاية
- ٧ - ابن عنبه : عمدة الطالب
- ٨ - الاصفهاني : مقاتل الطالبين
- ٩ - ابن حجر : الاصابة في معرفة الصحابة
- ١٠ - الشيخ المفيد : الارشاد
- ١١ - ابن عدي : العقد الفريد
- ١٢ - عماد زاده : قمر بني هاشم
- ١٣ - محسن العاملي : لواعج الاشجان ، اعيان الشيعة .
- ١٤ - الخونساري : روضات الجنات
- ١٥ - محمد السماوي : ابصار العين في انصار الحسين
- ١٦ - ابن طاووس : اللهوف في قتلى الطفوف
- ١٧ - الشهرستاني : نهضة الحسين
- ١٨ - الطوسي : رجال الطوسي
- ١٩ - الدينوري : الاخبار الطوال
- ٢٠ - القندوزي الحنفي : ينابيع المودة
- ٢١ - سبط بن الجوزي : تذكرة الخواص

كربلاء في المراجع العربية

كتبه

الدكتور حسين علي محفوظ

دكتوراه الدولة من جامعة طهران
والمفتش الاختصاصي بوزارة التربية سابقاً
والاستاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد اليوم

كربلاء • في الحديث

قال أبو عبد الله (الصادق عليه السلام) (١): شاطئ الوادي الأيمن؛ الذي ذكره الله - تعالى - في القرآن (٢) هو الفرات. والبقعة المباركة (٣) هي كربلاء (٤).

•

أبو عبد الله الصادق - عليه السلام: ... إذا صار (زائر الحسين)

« تشغل كربلاء ومصرع الحسين (ع) جانباً كبيراً من الحديث والروايات الدينية ، ونحن هنسأ لا نبيغي من إيراد بعضها سوى سوق المثل لتلك الروايات المروية على السنة الأئمة لتكون الموسوعة قد أملت بأطراف الموضوع من جميع جهاته ولم تقتصر على نواحي التاريخ ، والفن ، والأدب والسياسة .

(١) الأحاديث في فضل كربلاء ، وترتيبها ، وزيارة قبر سيد الشهداء الحسين - عليه السلام - كثيرة جداً تفصيلها الكتب الكبيرة عدت عن خصائصه وفضائله . تراجع كامل الزيارات لابن قولويه ، طبعة النجف ١٣٥٦ هـ ص ٥٥ - ٢٤٦ ، وتفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي المعروف بـ (وسائل الشيعة) طبعة إيران ١٣٢٣ هـ ج ٢ ص ٢٨٩ - ٤٠٧ ، وبحار الأنوار للمجلسي طبعة إيران ١٣٠٣ هـ ج ٢٢ ص ١٠٧ - ٢١٥ .

(٢) الآية ٣٠ سورة القصص .

(٣) الآية ٣٠ سورة القصص .

(٤) وسائل الشيعة ج ٢ ص ٣٨٩ .

٧٨ - حسين علي محفوظ

في الحايير كتبه الله من المصلحين (١) المنتجين (٢) .

*

عن أبي بصير ؛ قال سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام :
من احب ان يكون مسكنه الجنة ، ومأواه الجنة فلا يدع زيارة المظلوم .
قلت : من هو ؟ قال : الحسين بن علي صاحب كربلا . من أتاه شوقاً
إليه ، وحباً لرسول الله ، وحباً لفاطمة ، وحباً لأمر المؤمنين (صلوات
الله عليهم أجمعين) أقعده الله على موائد الجنة يأكل معهم والناس في—
الحساب (٣) .

*

عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال : ان الحسين صاحب كربلا
قتل مظلوماً مكروباً عطشاناً لهفاناً . وحق على الله — عز وجل — ان لا يأتيه
لهفان ، ولا مكروب ، ولا مذنب ، ولا مغموم ، ولا عطشان ، ولا ذو
عاهة — ثم دعا عنده وتقرب بالحسين (عليه السلام) إلى الله (عز وجل)
إلاّ نفس الله كربته ، وأعطاه مسألته ، وغفر ذنوبه ، ومدّ في عمره ،
وبسط في رزقه ، فاعتبروا يا أولي الأبصار (٤) .

*

قال الصادق (ع) : أربع بقاع ضجت إلى الله — أيام الطوفان — البيت

(١) غ ل : المفلحين ، المنتجين .

(٢) كامل الزيارات ص ١٢٣ .

(٣) كامل الزيارات ص ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٢ .

(٤) كامل الزيارات ص ١٦٨ .

المعمور ؛ فرفعه الله ، والغري ، وكربلا ، وطوس (١) .

•

عن أبي جعفر (ع) قال :

خلق الله - تبارك وتعالى - ارض كربلا ... وقدمها وبارك عليها .
عليها . فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة ، ولا تزال كذلك ،
حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة وأفضل منزل ومسكن ؛ يسكن الله
فيه أوليائه في الجنة (٢) .

•

قال علي بن الحسين (ع) ؛ اتخذ الله أرض كربلا حرمًا آمنًا مباركاً ..
وانه إذا زلزل الله - تبارك وتعالى - الأرض وسيرها رفعت - كما هي
تربتها - نورانية صافية ، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة ،
وأفضل مسكن في الجنة . لا يسكنها الا النبيون والمرسلون (أو قال : أولو
العزم من آل) .

فانها لتزهر بين رياض الجنة ؛ كما يزهر الكوكب النري بين الكواكب
لأهل الأرض . يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعاً ، وهي تنادي : أنا
أرض الله المقدسة الطيبة المباركة ؛ التي تضمنت سيد الشهداء ، وسيد شباب
أهل الجنة (٣) .

•

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٣٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .

٨٠ _____ حسين علي محفوظ

قال أبو جعفر (الباقر) -ع : الغاضرية ... اكرم أرض الله عليه .
ولولا ذلك ما استودع الله فيها اوليائه وأبناء نبيّه ؛ فزوروا قبورنا
بالغاضرية (١) .

•

قال أبو عبد الله (الصادق) (ع) : الغاضرية من تربة بيت المقدس (٢) .

•

أبو عبد الله (الصادق) (ع) : زوروا كربلا ولا تقطعوه ؛ فإن خير
اولاد الأنبياء ضمته .. (٣) .

•

أبو عبد الله (الصادق) (ع) : ... ان كربلا ، وماء الفرات اول
أرض واول ماء قدس الله - تبارك وتعالى - وبارك عليها .. (٤) .

•

أبو عبد الله (الصادق) (ع) : ان الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً .. (٥)

•

موضع قبر الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) - منذ يوم دفن فيه -

-
- (١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .
 - (٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .
 - (٣) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .
 - (٤) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .
 - (٥) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .

٨١ كراهه في الحديث

روضة من رياض الجنة (١) .

•

موضع قبر الحسين ترعة من ترع الجنة (٢) .

•

ابو الحسن علي بن محمد (الهادي) (ع) : ... ان الله - تبارك وتعالى -
بقاعاً يحب أن يدعى فيها ؛ فيستجيب لمن دعاه ، والخير (٣) منها (٤) .

•

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ ، ولاحظ ص ١٤١ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤٠ .

(٣) خ ل : الخاير .

(٤) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٤١ .

موسوعة المنتهات المقلمة (١)

كربلاء في التواريخ

تاريخ الرسل والملوك (*)

سنة ٦٠ هـ

أقبل حسين بن علي بكتاب مسلم بن عقيل كان موجهاً إليه حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحر بن يزيد التميمي : فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد هذا المصر . قال له : ارجع ؛ فإني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه . فهمّ أن يرجع — وكان معه اخوة مسلم بن عقيل : فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب بئارنا أو نقتل . فقال : لا خير في الحياة بعدكم . فسار فلقيته أوائل خيل عبيد الله فلما رأى ذلك ، عدل إلى كربلاء ، فأسند ظهره إلى قصباء وخلا ، كي لا يقا تل إلاّ من وجه واحد . فنزل وضرب أبنته وكان

* ليس المقصود من عرض كربلاء في التاريخ ، وعرضها في الجغرافيا ، وفي الرحلات ، وفي الأدلة هو حصر ما ورد من ذكر لكربلاء في هذه المواضع ، وإنما الهدف هو الإشارة باختصار إلى ما ورد في بطون بعض الكتب من ذكر لاسم كربلاء على سبيل النماذج لمختلف الوقائع والحوادث التي مرت بها كربلاء ، وستتناول موسوعة المتبات المقدسة الوقائع والحوادث القديمة والاعيرة في اجزاء اخرى مستقلة وبصورة وافية .

الخليلي

أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل (١) .

*

ان ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام إلى طريق البصرة ، فلا يدعون أحداً يلج ، ولا أحداً يخرج . فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب فسألهم ، فقالوا : لا والله ما ندري . غير أنا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج .

فانطلق يسير نحو طريق الشام نحو يزيد فلقبته الخيول بكربلاء ، فنزل يناشدهم الله والاسلام (٢) .

*

سنة ١٣٢ هـ

سار حميد (بن قحطبة) حتى نزل كربلاء (٣) .

*

أجمع القواد على الحسن بن قحطبة فولّوه الأمر ، وباعوه . فقام بالأمر وتولاه ، وأمر بإحصاء ما في عسكر ابن هبيرة . ووكل بذلك رجلاً من أهل خراسان يكنى أبا النصر في مائتي فارس . وأمر بحمل الغنائم في السفن إلى الكوفة . ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء (٤) .

(١) تاريخ الرسل والملوك ق ٢ ص ٢٨١ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ق ٢ ص ٢٨٥ .

(٣) تاريخ الرسل والملوك ق ٢ ص ١٥ .

(٤) تاريخ الرسل والملوك ق ٢ ص ١٧ .

سنة ١٩٣ هـ

بعث الرشيد الى ابن ابي داود ، والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحائر... فأُتِيَ بهم فنظر إليه الحسن بن راشد ، وقال : مالك ؟ قال : بعث إليّ هذا الرجل — يعني الرشيد — فأحضرنني . ولست آمنه على نفسي . قال له : فاذا دخلت عليه ، فسألك . فقل له : الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع . فلما دخل عليه . قال هذا القول ، قال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ، أحضروه .. فلما حضر ، قال : ما حملك على ان صيرت هذا الرجل في الخير (— الحائر) قال : رحم الله من صيّرته في الخير ، أمرتني أمّ موسى ان اصيّرته فيه ، وان اجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً . فقال : ردّوه إلى الخير ، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى . وأم موسى هي أمّ المهدي ابنة يزيد بن منصور (١) .

سنة ٢٦٤ هـ

.. كان سليمان بن جامع « وهو عامل من قبل قائد الزنج » وجه إلى عمير بن عمار خليفته بالطف ، حين توجه إلى ابن حبيب .. (٢) .

سنة ٢٦٨ هـ

مالك بن اخت القلوص (— احمد بن موسى بن سعيد) .. وجه إلى البطيحة رجلين من أهل قرية بسمى ، يعرف أحدهما بالريان ، والآخر

(١) تاريخ الرسل والملوك ق ٣ ص ٧٥٢ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك ق ٣ ص ١٩٢١ .

٨٥ كربلاء في التواريخ

الخليل ؛ كانا مقيمين بعسكر الخبيث (صاحب الزنج) فنهض الخليل والريان ،
وجمعا جماعة من اهل الطف وأتيا قرية بسمى فأقاما بها يحملان السمك
من البطيخة أولاً أولاً إلى عسكر الخبيث .. (١) .

•

المنتخب من كتاب ذيل المديتل .

ولد الحسين (ع) علياً الأكبر . قتل مع أبيه بالطف (٢) .

1

(١) تاريخ الرسل والملوك ق ٣ ص ٢٠١٤ .

(٢) المنتخب من كتاب ذيل المديتل * ملحق بتاريخ الرسل والملوك ، ق ٣ ص ٢٢٣١ .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

سنة ٣٩٨ هـ

أحمد بن إبراهيم ، أبو العباس الضبي . توفي في صفر هذه السنة ، وكان أوصى أن يدفن في مشهد كربلاء . وبعث ابنه إلى أبي بكر الخوارزمي شيخ الحنفيين يسأله أن يبتاع له تربة يدفن بها ، ويقوم بأمره . فبذل للشریف أبي أحمد والد الرضي خمسمائة دينار مغربية ثمن تربة ، فقال : هذا رجل لجأ إلى جوار جدي فلا آخذ لثريته ثمناً . وأخرج التابوت من بغداد وشيعه بنفسه ، ومعه الاشراف والفقهاء ، وصلوا عليه بمسجد براثا . وأصعبه خمسين رجلاً من رجالة بابہ (١) .

سنة ٤٠٧ هـ

في شهر ربيع الأول ؛ احترق مشهد الحسين (عليه السلام) والأروقة . وكان السبب أن القوام أشعلوا شمعتين كبيرتين ، فسقطتا في جوف الليل

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - لابن الجوزي - طبعة سحر آباد للذكرى ١٢٥٧ - ١٣٥٩ ج ٧ ص ٢٤٠ .

٨٧ كويلافي التواريخ

على التأزير ، فأحرقناه ، وتعدت النار (١) .

•

وفي ربيع الآخر ؛ خلع على ابي محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزي
خلع الوزارة ، من قبل سلطان الدولة . وهو الذي بنى سور الحائر بمشهد
الحسين (٢) ..

سنة ٤٧٩ هـ

في ذي الحجة ؛ قدم السلطان ابو الفتح ملك شاه الى بغداد .. وزار
مشهد الحسين (عليه السلام) وأمر بعمارة سوره (٣) .

سنة ٥٠٩ هـ

صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد ، ابو الحسن ، الأسدي ؛
الملقب بـ « سيف الدولة » .

كان كريماً ذا ذمام ، عفيفاً من الزناء والفواحش ؛ كأن عليه رقيباً من
الصيانة . ولم يتزوج على زوجته قط ، ولا تسرى . وقيل لأنه لم يشرب
مسكراً ولا سمع غناء ، ولا قصد التسوق في طعام ، ولا صادر أحداً من
أصحابه . وكان تاريخ العرب والأماجد كريماً ووفاء .

وكانت داره ببغداد حرم الخائفين . فلما خرج سرخاب الحاجب عن

(١) المتظم ج ٧ ص ٢٨٣ .

(٢) المتظم ج ٧ ص ٢٨٣ .

(٣) المتظم ج ٩ ص ٢٩ .

٨٨ حسين علي محفوظ

طاعة السلطان محمد ، التجأ إليه فأجاره . ثم طلبه السلطان فلم يسلمه ، فجاء السلطان محارباً له .. في هذه السنة . وهو ابن خمس وخمسين سنة . وكانت امارته اثنتين وعشرين سنة — غير أيام — وحمل فدفن في مشهد الحسين (عليه السلام) (١) .

سنة ٥١٣ هـ

ورد الخبر بأن ديس بن مزيد ، كسر المنبر — الذي في مشهد علي (عليه السلام) ، والذي في مشهد الحسين (عليه السلام) — وقال : لا تقام ها هنا جمعة ، ولا يخطب لأحد (٢) .

(١) المتظم ج ٩ ص ١٥٩ .

(٢) المتظم ج ٩ ص ٢٠٧ .

الكامل في التاريخ

سنة ١٣ هـ

لم يبق إلا غلام يدعى يزديجرد ، من ولد شهريار بن كسرى وأمه من اهل بادوريا . فأرسلوا إليها ، وطلبوه منها — وكانت قد أنزلته أيام شيرى .. حين جمعهم فقتل الذكور ، وأرسلته إلى أخواله . فلما سألوها عنه ، دلتهم عليه — فجاءوا به ، فملكوه — وهو ابن إحدى وعشرين سنة . واجتمعوا عليه فاطم ت فارس واستوثقوا ، وتبارى المرازبة في طاعته ومعونته ؛ فسمي ابنه نود لكل مسلحة وثغر ، فسمي جند الحيرة ، والأبلة ، والأنبار ، وغير ذلك .

وبلغ ذلك من أمرهم المثنى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من أهل السواد ، فلم يصل الكتاب إلى عمر ، حتى كفر أهل السواد من كان له عهد ومن لم يكن له عهد . فخرج المثنى حتى نزل بذي قار ونزل الناس بالطف في عسكر واحد (١) .

(١) الكامل في التاريخ « طبعة اروپا » ج ٢ ص ٣٤٥ ، وتراجع تاريخ الرسل والملوك « طبعة اروپا » القسم الأول ص ٢٢١٠ .

٩٠ ————— حسين علي محفوظ

سنة ١٤ هـ

استغاث اهل السواد إلى يزدجرد ، وأعلموه ان العرب قد نزلوا القادسية ، ولا يبقى على فعلهم شيء ، وقد أخبروا ما بينهم وبين الفرات ، ونهبوا الدواب والأطعمة . وإن أبطأ الغياث أعطيناهم بأيدينا . وكتب — إليه بذلك — الذين لهم الضياع بالطف ، وهيجوه على إرسال الجنود (١) .

سنة ٤٠ هـ

في هذه السنة خرج عبد الله بن عباس من البصرة ... واستدعى أخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فحمل مالا ، وقال : هذه أرزاقنا اجتمعت فتبعه أهل البصرة فلحقوه بالطف يريدون أخذ المال . فقالت قيس : والله لا يوصل إليه — وفيينا عين تطرف — فقال صبرة بن شيمان الحُدّاني : يا معشر الازد ؛ ان قيساً اخواننا ، وجيراننا ، وأعواننا على العدو . وان الذي يصيبكم من هذا المال لقليل ، وهم لكم خير من المال . فأطاعوه فانصرفوا (٢) .

*

تزوج (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — ع م —) بعدها (أي ؛ فاطمة بنت رسول الله — صلعم —) أمّ البنين بنت حرام الكلاية فولدت له العباس ، وجعفرأ ، وعبد الله ، وعثمان . قتلوا — مع الحسين — بالطف (٣) .

- (١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥١ ، وتراجع تاريخ الرسل والملوك ق ١ ص ٢٢٤٧ .
(٢) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٢٢٥ ، وتراجع تاريخ الرسل والملوك ق ١ ص ٢٤٥٤ —
(٣) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٣٣ ، وتلاحظ تاريخ الرسل والملوك ق ١ ص ٣٤١١ .

سنة ٦١ هـ

قال رأس جالوت ذلك الزمان : ما مزرت بكربلاء الاّ وأنا اركض
دابتي حتى اخلف المكان لأنّا كنّا نتحدّث ان ولد نبي يُقتل بذلك المكان .
فكنت : اخاف ، فلما قتل الحسين أمنت ، فكنت أسير ولا أركض (١)

•

خرج المختار الى الحجاز ، فلقه ابن العرق وراء واقصة .. فقال المختار ..
انّ الفتنة أرعدت وأبرقت ، وكان قد ابتعث . فاذا سمعت بمكان قد ظهرت
به في عصابة من المسلمين ، أطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف ؛
سيد المسلمين ، وابن بنت سيد المرسلين ، وابن سيدها الحسين بن علي ؛
فوربك لاقتلنّ بقتله عدّة من قتل على دم يحيي بن زكرياء ... (٢)

سنة ٦٨ هـ

لما مات معاوية ، وقتل الحسين بن علي ؛ لم يكن عييد الله (بن الحرّ
الجعفي) فيمن حضر قتله . تغيب عن ذلك تعمداً . فلما قتل جعل ابن زياد
يتفقد الأشراف من أهل الكوفة فلم ير عييد الله بن الحرّ . ثم جاءه بعد أيام —
٣ حتى دخل عليه . فقال له : ابن كنت يا بن الحرّ ؟ قال : كنت مريضاً . قال :
مريض القلب ، أم مريض البدن ؟ فقال : أما قلبي ؛ فلم يمرض . وأما
بدني ؛ فلقد منّ الله عليّ بالعافية .

فقال ابن زياد : كذبت . ولكنك كنت مع عدونا . فقال : لو كنت

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٧٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ق ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٤٠ .

٩٢ _____ حسين علي محفوظ

معه ، لرأى مكاني . وغفل عنه ابن زياد ، فخرج ، فركب فرسه . ثم طلبه ابن زياد ، فقالوا : ركب الساعة . فقال عليّ به . فأحضر الشرط خلفه . فقالوا : أجب الأمير . فقال : أبلغوه عني : اني لا آتية طائماً أبداً .

ثم أجرى فرسه وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي ، فاجتمع إليه أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء ، فنظر إلى مصارع الحسين ومن قتل معه ، فاستغفر لهم ، ثم مضى إلى المدائن ، وقال في ذلك :

يقول أمير غادر وابن غادر	ألا كنت قاتلت الحسين ابن فاطمه
ونفسي على خذلانه واعتزله	وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فيا ندمي أن لا اكون نصرته	الا كل نفس لا تسدد نادمه
واني ، لأنني لم اكن من حماته	للدو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبادروا	الى نصره سقياً من الغيث دائمه
وقفت على اجدائهم ومجالهم	فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى	سراعاً الى الهيجا حماة خضارمه
تأسوا على نصر ابن بنت نبيهم	بأسيا فهم آساد غيل ضراغمه
فان يقتلوا (١) فكل نفس تقيه	على الأرض قد أضحت لذلك واجمه
وما ان رأى الراوون أفضل منهم	لدى الموت سادات وزهراً قماقمه
أقتلهم ظلماً وترجو وادانا	فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمري لقد راغمتونا بقتلهم	فكم ناقم منا عليكم وناقمه
أهمّ مراراً أن اسير بجحفل	الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا وإلاّ ذدتكم في كتاب	أشدّ عليكم من زحوف الديالمة

٩٢ كربلاء في التاريخ

وأقام ابن الحرّ بمنزله على شاطئ الفرات إلى أن مات يزيد .. (١)

سنة ١٢٢ هـ

في هذه السنة قتل زيد بن علي بن الحسين (بن علي بن أبي طالب عليهم السلام) ... وسار ابنه يحيى نحو كربلاء ، فنزل ببنينوى على سابق مولى بشر ابن عبد الملك بن بشر (٢) .

سنة ٢٣٦ هـ

في هذه السنة ؛ أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي (عم) وهدم ما حوله من المنازل والدور . وان يندرس ويُسقى موضع قبره . وان يمنع الناس من إتيانه .

فنادى بالناس - في تلك الناحية : من وجدناه عند قبره - بعد ثلاثة - حبسناه في المطبق . فهرب الناس وتركوا زيارته ، وخرب وزرع . وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب (عم) ولأهل بيته . وكان يقصد من يبلغه عنه انه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم .

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث . وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع . ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون :

قد أقبل الأصلع البطين
خليفة المسلمين

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وتاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٣٨٨ - ٣٩٠

(٢) الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٤ .

٩٤ حسين علي محفوظ

يحكي بذلك علياً (عم) ؛ والمتوكل يشرب ويضحك . ففعل ذلك يوماً والمتنصر حاضر . فأوماً إلى عبادة يتهدده ، فسكت خوفاً منه . فقال المتوكل : ما حالك ؟ فقام ، وأخبره . فقال المتنصر : يا أمير المؤمنين ان الذي يحكيه هذا الكاتب ، ويضحك منه الناس هو ابن عمك ، وشيخ أهل بيتك ، وبه فخر . فكل أنت لحمه إذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه . فقال المتوكل للمغنين : غنّوا جميعاً :

غار الفتى لابن عمه
رأس الفتى في حر ، امّه .. (١)

سنة ٢٩٤ هـ

في هذه السنة من المحرم ارتحل زكرويه من نهر المشية يريد الحاج ، فبلغ السلطان ، وأقام ينتظرهم . فبلغت القافلة الاولى واقصة سابع المحرم . فأندروهم أهلها ، وأخبروهم بقرب القرامطة ، فارتحلوا لساعتهم . وسار القرامطة إلى واقصة ، فسألوا أهلها عن الحاج فأخبروهم أنهم ساروا . فاتهمهم زكرويه فقتل العلاقة ، وأحرق العلف ، ونحّص أهل واقصة في حصنهم . فحصرهم أياماً ثم ارتحل عنهم نحو زباله . وأغار - في طريقه - على جماعة من بني أسد . ووصلت العساكر المنفذة من بغداد إلى عيون الطف (٢) .

■

لما توفي القدّاح قسام بعده ابنه أحمد مقامه ، وصحبه انسان يقال له

- (١) الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٦ - ٣٧ .
(٢) الكامل في التاريخ ج ٧ ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

٩٠ كربلاء في التاريخ

رستم بن الحسين بن حوشب بن داذان النجّار ؛ من أهل الكوفة . فكانا يقصدان المشاهد . وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل كثير المال والعشيرة من أهل الجند ، يتشيع فجاء إلى مشهد الحسين بن علي يزوره فرآه أحمد بن رستم يبكي كثيراً . فلما خرج اجتمع به أحمد وطمع فيه لما رأى من بكائه . وألقى إليه مذهبه ، فقبله ، وسير معه النجار إلى اليمن (١) .

سنة ٣٩٨ هـ

وفيهما ؛ توفي أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي وزير مجد الدولة ببروجرد .. وأوصى أن يدفن بمشهد الحسين (عم) فقبل للشریف أبي أحمد والد الشریف الرضي أن يبيعه بخمسة مائة دينار موضع قبره . فقال : من يريد جوار جدّي لا يباع . وأمر أن يعمل له قبر . وسير معه من أصحابه خمسين رجلاً ، فدفنه بالمشهد (٢) .

سنة ٤٠٠ هـ

وفيهما ؛ توفي النقيب أبو أحمد الموسوي ، والد الرضي — بعد أن أضرّ — ووقف بعض أملاكه على البرّ . وصلى عليه ابنه الأكبر المرتضى . ودفن بداره . ثم نقل إلى مشهد الحسين (عم) (٣) .

(١) الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٢٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٨٧ ، وتراجع المنتظم ج ٧ ص ٢٨٢ .

(٣) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ١٥٤ .

٩٦ ————— حسين علي محفوظ

سنة ٤٠٧ هـ

في هذه السنة — في ربيع الأول — احترقت قبة مشهد الحسين ، والأروقة .
وكان سببه انهم أشعلوا شمعتين كبيرتين ، فسقطتا في الليل على التأخير فاحترق .
وتعدت النار (١) .

سنة ٤٢٢ هـ

اعترض اهل باب البصرة قوماً من قم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين
(عم) فقتلوا منهم ثلاثة نفر (٢) .

•

زار (الملك جلال الدولة ابو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن
بويه) مرة مشهد علي والحسين (عم) وكان يمشي حافياً قبل أن يصل
إلى كل مشهد منهما نحو فرسخ ؛ يفعل ذلك تديناً (٣) .

سنة ٤٣٦ هـ

مضى (الملك ابو كالجار) إلى زيارة المشهدين بالكوفة وكربلا (٤) .

سنة ٤٧٩ هـ

مضى السلطان (ملكشاه) ونظام الملك إلى الصيد في البرية ، فزارا

-
- (١) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٢٠٩ .
 - (٢) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٢٨٦ .
 - (٣) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٥٣ .
 - (٤) الكامل في التاريخ ج ٩ ص ٣٥٨ .

المشهدين ؛ مشهد أمير المؤمنين علي ، ومشهد الحسين (عم) (١) .

سنة ٤٨٩ هـ

وفيها ؛ أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مزيد ، فأرسل في أثرهم عسكرياً مقدّمه ابن عمه قریشن بن بلدان بن ديبس بن مزيد ، فأسرته خفاجة ، وأطلقوه . وقصدوا مشهد الحسين بن علي (عم) فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر . فوجه إليهم (صدقة) جيشاً فكبسوهم . وقتلوا منهم خلقاً كثيراً في المشهد ؛ حتى عند الضريح . وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور ، فسلم هو والفرس (٢) .

(١) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٠٣ .
(٢) الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ١٧٧ - ١٧٨ .

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير

سنة ٥٩٧ هـ

ابو هاشم بن المختار نقيب مشهد الحسين - عليه السلام - كان صالحاً
دينياً ذا عبادة ، توفي في هذه السنة -رح- (١) .

سنة ٦٠٠ هـ

ابو الفتوح ، نصر بن علي بن منصور ، النحوي الحلبي ، المعروف بابن
الغازن . كان حافظاً للقرآن المجيد ، عارفاً بالنحو واللغة العربية .

قدم بغداد واستوطنها مدة . وقرأ على ابن عبيدة وغيره . وسمع الحديث
على ابي الفرج بن كليب وغيره . ولم يبلغ أوان الرواية .

توفي شاباً بالحلقة في ثالث عشر من جمادى الآخرة من سنة ستمائة ،

(١) الجامع المختصر لابن السامي - طبعة بغداد سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤ م ج ٩ ص ٧٨ .

١٩ كريله في التواريخ

ودفن في مشهد الحسين - عليه السلام - (١) .

سنة ٦٠٤ هـ

فلک الدین آقسنقر بن عبد الله التركي الوزيري ؛ مملوك نصير الدين ناصر ابن مهدي العلوي .

توفي يوم الأحد خامس عشر جمادى الاولى من سنة اربع وستمائة .
وصلي عليه بالمدرسة النظامية ، وشيعه خلق كثير ، وحمل إلى مشهد الحسين
- عليه السلام - فدفن هناك (٢) .

مختصر أخبار الخلفاء

أمر (المتوكل) بهدم قبر الحسين السبط وأهل بيته فهدمت كلها ، وفي ذلك يقول الشاعر :

تالله ان كانت امية قد اتت في قتل ابن نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو ابيه مثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميما (٣)

(١) الجامع المختصر ج ٩ ص ١٢٨ .

(٢) الجامع المختصر ج ٩ ص ٢٤٨ .

(٣) مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي - طبعة بولاق سنة ١٣٠٩ هـ ص ٦١ .

الحوادث الجامعة

سنة ٦٣٤ هـ

وفيها ؛ قصد الخليفة (المستنصر بالله) مشهد موسى بن جعفر - عليه السلام - في ثالث رجب . فلما عاد ، أبرز ثلاثة آلاف دينار إلى أبي عبد الله الحسين بن الاقساسي نقيب الطالبين وأمره أن يفرقها على العلويين المقيمين في مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، والحسين ، وموسى ابن جعفر عليهم السلام (١) .

سنة ٦٣٥ هـ

وفيها ، توفي الأمير شرف الدين علي بن الأمير جمال الدين قشتمر . أمه إيران خاتون ابنة أبي طاهر ملك المر . كان شاباً جميلاً كريماً شجاعاً . قد أمر ، وأضيف إليه عدة من الممالك ، ورفع وراءه سيفان ، وتوفر اقطاعه ، فاخترته المنية في عنفوان شبابه ، ودفن عند والدته - بمشهد

(١) الحوادث الجامعة - المنسوب إلى ابن الفوطي - طبعة بغداد سنة ١٣٥١ هـ ص ٩٥ .

كربلا في الحواريخ - ١٠١

الحسين عليه السلام (١) .

سنة ٦٣٧ هـ

وفيها ، توفي الأمير جمال الدين قشتمر الناصري ، ببغداد . وحمل إلى مشهد الحسين عليه السلام ، فدفن هناك ، وفي تربة له فيها زوجته وولده . وكان حسن السيرة ، شجاعاً كريماً جواداً متعافاً ، ذا همة عالية ، كثير المعروف والبر . وكان عمره نحواً من سبعين سنة .

كان أولاً لقطب الدين سنجر الناصري ، وانتقل منه إلى الخليفة الناصر لدين الله ، فأسكنه في البدرية ، ثم جعله (سرخيل) جماعة من المماليك ، وسلم إليه اصطبله الخاص ، ونقله إلى الدار المنسوبة إلى بنفشا مجاورة باب الغربية ، ثم خوطب بالامارة . وزوج بابنة الأمير بهاء الدين ارغش المستعجدي (٢) .

سنة ٦٤٦ هـ

وفيها ، توفي جمال الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن المخرمي ، المعروف بالمخرمي ، شاب فاضل أديب ، حافظ للقرآن المجيد . كان ينوب أخاه فخر الدين المبارك بن المخرمي إلى أن عزل ووكل بهما . فلما أفرج عنهما تشاغل جمال الدين بالعلم وزيارة أصحابه وإخوانه ، وألف كتاباً مختصراً سماه « نتائج الأفكار » .. أوصى أن يدفن في تل قريب من مشهد

(١) الحوادث الجامعة ص ١٠٤ .
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٣١ - ١٣٢ .

١٠٢ حسين علي محفوظ ١

الحسين عليه السلام ، وأن يكون تابوته مكشوفاً ليس عليه غطاء ولا ثوب ، ولا يقرأ بين يديه قراء الألحان بل جماعة فقراء يقرأون تلاوة وجماعة يسبحون الله تعالى ويهللونه ويحمدونه (١) .

سنة ٦٥٣ هـ

توفي أمين الدين كافور الخادم الظاهري ، وكان كثير الخير والصدقات والمواصلات . حج مراراً كثيرة وتولى دار التشريفات . وكان قريباً من اقبال الشرايبي حاكماً في دولته . ودفن في مشهد الحسين عليه السلام (٢) .

سنة ٦٩٦ هـ

في المحرم ، سار السلطان غازان يريد العراق ... ثم توجه إلى بغداد ثم توجه إلى الحلة وقصد مشهد علي - عليه السلام - فزار ضريحه الشريف وأمر للعلويين بشيء كثير . ثم قصد مشهد الحسين - عليه السلام - وفعل مثل ذلك (٣) .

(١) الحوادث الجامعة ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) الحوادث الجامعة ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٣) الحوادث الجامعة ص ٤٩٣ ، وتراجع تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٧٦ .

منتخب المختار « تاريخ علماء بغداد »

ابو اليمن السكيني :

ريحان بن عبد الله الحبشي السكيني ، ابو اليمن ، وكناه ابن الظاهري
ابا الطيب . الخادم ؛ شهاب الدين ؛ عتيق محمد بن محمد بن سكينه . سمع من
ابي محمد عبد العزيز بن محمود بن الاخضر جزء الأنصاري ، ومن أبي العباس
احمد بن يحيى بن بركة بن الديقي ، واحمد بن علي الغزنوي ، ويحيى بن
ابراهيم الكرخي ، وسليمان بن الموصلبي وغيرهم .
وحدث . سمع منه الحافظ الدمياطي بمنزله شرقي بغداد ، وذكره في
معجمه .

توفي ببغداد ، في تاسع ربيع الآخر سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) وصلي
عليه بجامع القصر ، وحمل إلى مشهد الحسين عليه السلام فدفن به (١) .

(١) منتخب المختار « لمحمد بن رافع السلامي - طبعة بغداد سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م »
ص ٥٥ .

١٠٤ _____ حسين علي محفوظ

الفخري

كان المتوكل شديد الانحراف عن آل علي (عليه السلام) وفعل من حرث
قبر الحسين (عليه السلام) ما فعل ، وأبى الله إلا أن يتم نوره (١) .

تاريخ العراق بين احتلالين

سنة ٦٦٢ هـ

ابن الدواتدر ، شرع في بيع ماله من الغنم والبقر والجواميس وغير ذلك .
واقترض من الاكابر والتجار مالا كثيرا ، واستعار خيولا وآلات السفر ،
وأظهر أنه يريد الخروج إلى الصيد ، وزيارة المشاهد ، وأخذ والدته ،
وقصد مشهد الحسين (ع) ثم توجه إلى الشام ، فتأخر عنه جماعة ممن صحبه
من الجند لعجزهم (١) .

سنة ٧٦٣ هـ

(توفي) شمس الدين محمد بن عيسى بن كر ، وهو مرواني بغدادي ثم
مصري حنبلي ...
ولي مشيخة الزاوية التي يجوار المشهد الحسيني ، وأخرى بالقرب من

(١) تاريخ العراق بين احتلالين - المحامي عباس المزوي - طبعة بغداد ١٣٥٢ هـ -
١٩٣٥ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ ، ج ١ ص ٢٤٨ .

١٠٦ حسين علي محفوظ

الدكة .. (١)

سنة ٧٩٦ هـ

ميران شاه ابن الأمير تيمور .. عبر الفرات ، وسار يتعقب أثر السلطان احمد (الجلاليري) .. وهذا مال إلى طريق الشام فسلكه خائفاً وجلاً .. عثر عليهم القوم في صحراء كربلاء ؛ فلم ينج هو وأعوانه إلا بشقّ الأنفس .. وعلى كل نجا السلطان أحمد من تلك المهلكة ، وان اعوانه وكل واحد منهم سلك ناحية . فتفرقوا في الصحارى شذر مذر فاختفوا فيها (٢) .

سنة ٧٩٧ هـ

أما السلطان أحمد ؛ فإنه لما هرب على طريق مشهد الحسين (رضه) وصل إلى الرحبة ، فأكرمه نعيم وأنزله في بيوته ، ثم تحول إلى حلب .. (٣)

سنة ٨٢٤ هـ

قبيلة خفاجة ؛ من قبائل العراق القديمة . مواطنها في انحاء المنتفق ، في قضاء الشطرة ، وتفرق منها جماعات كبيرة وصغيرة في جهات اخرى كالجللة وكربلاء وبغداد وديالى .. (٤)

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢١٨ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٦٥ .

سنة ٨٤١ هـ

ابن فهد الحلبي :

هو الشيخ العلامة أحمد بن محمد بن فهد الحلبي الأسدي . وله شهرة كبيرة ومكانة بين علماء الشيعة ؛ سواء في الأصول ، أو في الفروع ، أو في التصوف . أخذ عن الشيخ مقداد السيوري ، وعن الشيخ فخر الدين أحمد بن المتوج البحراني ، وعلي بن الحازن الحائري ، والسيد بهاء الدين أبي القاسم علي بن عبد الحميد النبلي النسابة النقيب ؛ صاحب كتاب الأنوار الالهية .

وروى عنه الشيخ علي بن هلال الجزائري ، والشيخ عبد الشفيع بن فياض الأسدي الحلبي ، والسيد محمد بن فلاح المشعشع .

ومن تصانيفه :

- ١- المذهب البارع إلى شرح النافع .
 - ٢- كتاب المقتصر .
 - ٣- شرح الارشاد .
 - ٤- الموجز الحاوي .
 - ٥- عدة الداعي .
 - ٦- استخراج الحوادث المستقبلية من كلام أمير المؤمنين ..
- توفي سنة ٨٤١ هـ وهو ابن ٥٨ سنة . وقال آخرون ولد سنة ٧٥٧ هـ وقبره في كربلاء ، ولا يزال معروفاً (١) .

سنة ٨٥٧ هـ

بتاريخ خامس الشهر (ذي القعدة) دخل السلطان علي (المشعشع) الحلة ، ونقل أموالها وأموال المشهدين إلى البصرة . وأحرق الحلة وخرّبها . وقتل من بقي فيها من الناس ، ومكث فيها ١٨ يوماً .

ورحل يوم الأحد ٢٣ ذي القعدة إلى المشهد الغروي والحائري ، ففتحوا له الأبواب ودخل فأخذ ما تبقى من القناديل والسيوف ورونى المشاهد جميعها من الطوس ، والاعتاب الفضية ، والستور ، والزوالي ، وغير ذلك . ودخل بالفرس إلى داخل الضريح ، وأمر بكسر الصندوق واحرقه فكسر وأحرق . ونقل أهل المشهدين من السادات وغيرهم بيوتهم (١) .

سنة ٨٥٩ هـ

في هذه الأيام وصلت أخبار المشعشع إلى بير بوداق بشيراز فأرسل سيدي علي مع جماعة نواكر (ضباط وأعوان) إلى بغداد فدخلها في ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٨ هـ ، فمكث سيدي علي مدة من الزمان .

وبعد ذلك أرسل بير بوداق جماعة عساكر من شيراز إلى بغداد ومقدمهم أمير شيخ شي لله ، وحسين شاه المهردار ، وعمه سورغان ، وعلي كرز الدين ، وشيخ ينكي اوغلي . وأمر أن يتوجه سيدي علي ويعمر الحلة والمشهدين . فدخل بغداد في ٢ جمادى الأولى سنة ٨٥٩ هـ . وعند ذلك توجه (سيدي علي) إلى الحلة يوم السبت ١٨ شعبان سنة ٨٥٩ وعمر سوقها

١٠٩ كربلاء في التواريخ
وعمر بها قلعة (١) .

سنة ٨٦١ هـ

(وفاة المولى علي المشعشع) . كان منفوراً من الجميع بسبب ما قام به من إهانة العتبات الشريفة في النجف وفي كربلاء ، والقتل والتخريب والنهب . (قال) في المجلس الثامن من مجالس المؤمنين : ... أغار المولى علي المذكور على عراق العرب ، وانتهب المشاهد المقدسة ، ونجاسر على العتبات بوقاحة ، واستولى عليها (٢) .

سنة ٩١٤ هـ

بتاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ٩١٤ هـ وافى الشاه اسماعيل بغداد . وقد فرح به السواد الأعظم ، وقدموا له الذبائح واحتفلوا بقدومه .. وفي اليوم التالي ذهب إلى زيارة كربلا المشرفة ، وصنع الصندوق المذهب للحضرة ، ووقف فيه اثني عشر قنديلاً من ذهب ، وفرش رواق الحضرة بأنواع المفروشات القيمة .

واعتكف - هناك - ليلة ثم رجع في اليوم التالي ، متوجهاً إلى الحلة (٣) .. ورجع إلى بغداد ، وعين رواتب إلى خدام الأعتاب المقدسة ، وأمر بجمع نجارين ومهندسين من أطراف الممالك ليصنعوا ستة صناديق منقوشة بنقوش

-
- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٤٥ - ١٤٦ .
 - (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٥١ .
 - (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ٣١٦ .

١١٠ حسين علي محفوظ

خطائية أو اسلامية (سليمية) في غاية الاتقان والإبداع ، ليضعها على المراقدة
المشرقة ، ويرفع الصناديق العتيقة ..

ثم عين بولاية بغداد (خليفة الخلفاء) وكان قبل هذا يدعى (خادم
بيك) فلقبه بخليفة الخلفاء ، وكناه بأبي منصور ، وأوصاه بتمشية الأمور ،
والعناية بمراقدة الأئمة (١) .

*

النهر الذي حفره عطا ملك الجويني ، وأجرى ماءه إلى النجف .. اندرس
بمرور الأيام وتخرّب ، فلم يصل ماؤه . ولذا أمر الشاه (اسماعيل) بتجديد
حفره واتمامه فاشتهر بـ (نهر الشاه) . وأرصد ريعه لخدام المشهدين الشريفين
ووقفه عليهم (٢) .

*

وفي اليوم التالي (لفتح بغداد) ذهب الشاه لزيارة كربلاء المشرقة
فأدى الزيارة ، وأنعم على مجاوري الروضة المطهرة بإنعامات
جزيلة . وأمر بعمل أنواع الزينة والزركشة الذهبية ، وبصنع الصندوق
المذهب للحضرة ، وان ينقش ببدايح النقوش .

وقف الشاه في الحضرة ١٢ قنديلاً من ذهب ، وفرش رواق
الحضرة بأنواع السجاد الثمين ، واعتكف ليلة هناك (٣) .

- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٣١٧ .
- (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٢٢٧ .
- (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٢ ص ٣٤١ .

سنة ٩٤١ هـ

كان دخول السلطان (سليمان القانوني) بغداد ، يوم الاثنين ٢٤ جمادي الأولى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م .

ثم تجول السلطان في ٢٨ جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ في أنحاء عديدة من العراق قضاها في زيارة المراقد المباركة في الكاظمية ، وكربلاء ، والنجف .. (١)

•

نهر الحسينية : هذا النهر من أعظم أعمال السلطان (سليمان القانوني) كان يسمى باسمه «النهر السليماني» والآن يسمى بالحسينية . أجراه إلى كربلاء فأحيها . ولم يوفق السلاطين السابقون - أيام غازان وغيره ، ومنهم الشاه اسماعيل ، والشاه طهماسب .

واعتقد أن السلطان كان يملك أكابر المهندسين ، فتمكن من العمل ، وتم المشروع على يده . ويقال : إن هندسته كانت فائقة تدل على خبرة ومقدرة ممن أحضرهم من المهندسين . ولا شك أنه كان أقرب لاستخدام أعظم المهندسين وهو من أعظم الملوك . وليس لدينا ما يوضح الأعمال الهندسية ، ووصف خطورة المشروع والخطط التي قام بها رجاله ، ولا علمنا عن هؤلاء المهندسين . والأعمال تنسب إلى السلطان وحده ، والنهر بوضعه شاهد العظمة .

والآن - كربلاء قائمة بدوامه ، والعمارة المشهودة في كربلاء والحياة الزراعية ، والبساتين فيها قامت بسبب من هذا الاثر ، فتجددت حياة

١١٢ حسين علي محفوظ

اللواء ... وصار يعد من أعظم المشاريع الإصلاحية ، بل كان حقيقة مشروعاً جليلاً في حياة البلد وما جاوره من بقاع تصل مياهه إليها .

ثم بعد مشروعه هذا بمدة طويلة ، قامت (سدة الهندية) واكتسبت شكلاً أعظم ، ونتائج مهمة خصوصاً بعد اتخاذ الابواب واستخدام لوازم العمارة والارواء الحديثة .

فعليه الآن عمارة اللواء ، وقوام حياته .

وعلى ما حققه بعض المؤرخين أن المهندسين كانوا يرون أن كربلاء في محل عال ونهر الفرات منخفض عنها ، فيستحيل إيصال الماء إليها . فكان إيصال الماء إليها يحتاج الى خبرة هندسية كاملة ، فتمت في عهد هذا السلطان .

وعد صاحب كلشن خلفاً ذلك كرامة من كراماته وبركة من بركات تفيقه وإقباله . وأظن أنه يقصد بذلك التفاته لهذا المشروع واهتمامه في انجازه ... (١)

*

السلطان بعد عودته من زيارة المراقد المباركة في النجف وكربلاء نصب (الوالي سليمان باشا) والياً بقلب (بكلربكي) (٢) .

سنة ٩٦١ هـ

عبر (سيدي علي رئيس بغداد) الفرات من أمام قسبة المسيب فوصل

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٤٥ .

كربلاء في التاريخ ١١٣

الحائر (كربلا) وهنا زار حضرة الامام الحسين ، ومشهد الشهداء ، والحر
الشهيد ، ثم مضى من جهة شفاثة (شفائي) من طريق البر إلى المشهد
(- النجف) (١) .

بمخول العثمانيين تأسست في العراق (طريقة البكتاشية) فانخذت جملة
تكايا ، فتمكنوا من تكوين طريقتهم في بغداد والانحاء العراقية الأخرى .
فتكونت لهم .. تكايا أخرى في النجف وكربلا وغيرهما (٢) .

- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٧٣ .
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٥٥ .

فضولي البغدادي (١)

سنة ٩٦٣ هـ

هو محمد بن سليمان، الملقب بـ «فضولي». من عشيرة ييات، وهي بطن من أغز، قبيلة من الترك.

ولد — بالعراق — في العشر الآخر من القرن التاسع الهجري (ظ). ولاقى حمامه في مدينة الشهيد المقدسة «كربلاء» بطاعون سنة ٩٦٣ هـ. ودفن بها في مقبرة الدده، عند تكية البكتاشية، على خطي جنوبي صحن الروضة الحسينية تجاه باب القبلة.

شاعر مخضرم؛ أدرك الفرس والترك في العراق، ونظم الشعر بالفارسية والتركية؛ عدّ عن العربية. وهو أديب ألمعي، كاتب حاذق، عالم جامع، صوفي عارف.

هذا — وقد قطن فضولي ببغداد، وأقام بها برهة، فنسب إليها،

(١) تراجع سيرته في كتاب «فضولي البغدادي» تأليف جامع هذه الفصول الدكتور حسين علي محفوظ، ولاحظ، تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤، ص ٩٨ — ١٠٣.

كربلاء في التاريخ ————— ١١٠

وعرف بالبغدادي . وعزم — في جلال السن — على الاعتزال والزهادة ،
وآثر الانقطاع ، واختار زاوية الوحدة ، وقنع بالكفاف . فاعتكف في
كربلاء — التي سماها « اكسير الممالك » وقبع في كسر بيت ، جوار قبر
الحسين — عليه السلام — لا شغل له بغير العبادة . ويقال انه قلّد — في شيخوخته —
تنوير المشهد الحسيني ، وفوض إليه إسراج مصابيح . ترك فضولي نحواً
من عشرين كتاباً ورسالة في الشعر والنثر ؛ منها :

- ١ — ترجمة أربعين حديثاً ، بالتركية .
- ٢ — حديقة السعداء ، بالتركية .
- ٣ — ديوان فضولي ، بالتركية .
- ٤ — ديوان فضولي ، بالفارسية .
- ٥ — رند وزاهد ، بالفارسية .
- ٦ — شكايتنا معه ، بالتركية .
- ٧ — ليلي ومجنون ، بالتركية .
- ٨ — مطلع الاعتقاد ، في علم الكلام بالعربية (١)

سنة ٩٩١ هـ

في هذه السنة ، عمر الوالي (الوند زاده علي باشا) مرقد الحسين (رضي
الله عنه) وجامعه (٢) . بأمر من السلطان مراد الثالث ؛ عمر جامع الحسين
(رضي الله عنه) سنة ٩٨٤ هـ ، ومرقده المبارك سنة ٩٩١ هـ ، ومنارته

(١) فضولي البغدادي — الدكتور حسين علي محفوظ ؛ طبعة بغداد سنة ١٣٧٨ هـ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١١٧ .

١١٦ _____ حسين علي محفوظ

سنة ٩٨٢ هـ (١) .

•

كلامي : كربلائي شاعر صوفي ، كان في الخانقاه ، في مشهد الحسين (رض) نزعت نفسه إلى التطلع إلى العالم ومشاهدة الأقطار ، يعرف بـ (جهان دده) .

والظاهر أن آل الدده — في كربلاء الآن — ممن يمتنون إليه . والخانقاه لا يزال في ايديهم . وهم في الأصل من البكتاشية (٢) .

•

كلامي : في كربلاء . منطق بارع ، وعارف وحيد في العالم (٣) .

•

محيطي : من القضاة . ولد في جزيرة رودس ، ودرس العلوم عن بوستان زاده محمد جلبي . من الموالي العظام ، تولى النيابة في الشام وأدرنة والامستانة أمداً طويلاً .

وقد تقلب في مناصب شرعية ، حتى صار قاضي الفيلق . وله وقوف على العلوم العربية ، وشعر لطيف . وعين ابنه أحمد أفندي دفترياً لبغداد سنة ٩٩٦ هـ . ذهب لزيارة مشهد الحسين (رض) ونظم قصيدة في الغزل

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١١٦ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٣٧ ؛ نقلاً من كلشن شعرا ؛ لمهدي البغدادي المتوفى سنة ١٠٠٢ هـ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٥٠ ؛ نقلاً من قصيدة روعي البغدادي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ .

كربلاء في التاريخ ١١٧

قدمها للحضرة (١) .

•

في كربلاء (من تكايا البكتاشية) في صحن الامام الحسين (تكية الددوات) وهي تكية البكتاشية . وتوليتها بيد (آل الدده) لا تزال موجودة . وكانت بيد السيد الفاضل المرحوم حسين الدده مدة طويلة إلى ان توفي في صيف سنة ١٩٤٨ م ؛ في خراسان في المشهد الرضوي .

ويرجع عهداها إلى أول الفتح العثماني . وان من مشاهيرها (كلامي) المعروف بـ (جهان دده) . وان فضولي الشاعر ممن دفن فيها . وهناك مراقد آل الدده . والتولية منحصرة فيهم ، وهم شيعة إمامية ، ولا تعرف عنهم البكتاشية ، ولا اعتناق طريقتها ، فهم اصولية .

وهذه التكية من أقدم تكايا البكتاشية في العراق ، ولم ينقطع اتصالها بالبكتاشية من الترك إلاّ بعد الحرب العامة الاولى لسنة ١٩١٤ .

وزاد الانقطاع بالغاء التكايا في الجمهورية التركية (٢) .

سنة ١٠٣٥ هـ

في خلال (حصار بغداد) .. تم الاستيلاء على الحلة وكربلاء . كما أدى إلى حرب دامية قتل فيها الألوف .. (٣)

•

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٣٧ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٩٣ .

نظمي البغدادي .. شهد الحادثة، وكان قد فر أثناء سقوط بغداد ، وذهب مع أمه بصفة درويش إلى كربلاء والحلة وبقي هناك إلى ان اتصل بحافظ أحمد باشا (١) .

سنة ١٠٤٩ هـ

تقيّب سادات بغداد (السيد دراج) كان سادن حضرة الامام الحسين (رضي) وكان من الأعيان المشهورين . وهو صاحب قوة ومكنة . فلما استولى شاه العجم (الشاه عباس) على بغداد أحسن الظن به ، واعتقد فيه الاعتقاد الحميل ، فرعاه وأكرمه . فكان في مقام الخدمة ، يفكر في العواقب ، فلم يغفل أمر العثمانيين .

وكان في ذلك الحين أراد الشاه أن يقتل أهل السنة قتلاً عاماً ، فتوسط السيد دراج فقال له سأختار محبي آل علي ، وما عداهم فاقتلهم . وبهذه الوسيلة أنقذ خلقاً كثيراً من القتل .

وهذا العمل المشكور كله لم يمنع الوالي (٢) من الوقعة به بعلّة انه كان شيعياً (٣) معروفاً بتشيّعه ، فلم يتحمل شهرته ومكانته ، فاتخذ ذلك وسيلة للقضاء عليه (قتله) ، واستولى على أمواله الوافرة في حين يدعي أنه درويش ، فلم تردعه هذه الخدمة النبيلة ، ولا المكانة المقبولة .

أراد هذا الوالي ان يستقل بنفوذ العراق وحده ، وان تكون بغداد والانحاء

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٩٤ .

(٢) والي بغداد درويش محمد باشا - ولي بغداد في ٢ المحرم سنة ١٠٤٩ هـ .

(٣) وحسبكم هذا التفاوت .. (ح . ع . م)

كربلاء في التاريخ ١١٤

العراقية خالصة للدولة العثمانية .

وقد جاء ذكر ذلك في تاريخ نعيما ، وفي فذلكة كاتب جلبي ، وفي
خبر صحيح .

والآن ؛ من بقايا السيد دراج (أسرة نقيب كربلاء) . ومنهم النقيب
الحالي ؛ صديقنا السيد الفاضل حسن النقيب . وهو من الأخيار (١) .

سنة ١٠٤٩ هـ .

كان گنج عثمان من الشجعان الأبطال . وهو من أتباع ابازة باشا المشهورين ،
فجعل على جيش تولى رئاسته ، وأرسل لفتح الأنحاء العربية . وهذا لاقى
القلزباش اي الايرانيين ، او الشيعة منهم بسيفه فدمرهم ، وفتح قصبة
كربلاء ، وذهب منها إلى النجف — وكانت بلدة معمورة — فاستولى عليها .
ومن هنا اكتسح الحلة ، وضبط الرماحية . ومن ثم حط ركابه في كربلاء .
إلا انه اهتم غاية الاهتمام بالبلدان والبقاع التي استولى عليها ، وراعى حسن
إدارتها (٢) .

*

سنة ١٠٨٨ هـ

كان الوزير الحالي (قبلان مصطفى باشا) صافي القلب ، له ميل عظيم
إلى زيارة الأولياء ، وفي شعبان ذهب لزيارة الامام الحسين (رض) ،

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٧ .

١٢٠ حسين علي محفوظ

والامام علي (رض) ففضى بضعة أيام . ثم عاد (١) .

سنة ١١١٦ هـ

ذهب الوزير (حسن باشا ، ويعرف هذا الوزير بـ «حسن باشا الجديد») إلى زيارة سلمان الفارسي (رض) .. وفي شوال ذهب لزيارة كربلاء والتجف . وفي طريقه مرّ بنهر الشاه (٢) .

سنة ١١١٨ هـ

أغار (الوزير حسن باشا) في شعبان (على قبيلة شمر) .. وهذه الواقعة كانت السبب في انفصال شمر طوقة (طوغمه) وبعض العشائر مثل المسعود فتبدد شملهم فصاروا شلر مذر . فالمسعود استقروا في اطراف المسيب وكربلاء (٣) .

سنة ١١٢٦ هـ

أبدى (الوزير حسن باشا) عزمه في زيارة الامام الحسين (رض) فذهب وزار ، نخم خارج البلدة مدة يومين . ثم توجه الى زيارة الامام علي (رض) (٤) .

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١١٣ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٦٤ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٧١ .

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٨٩ .

كربلاء في التاريخ ١٢١

سنة ١١٢٧ هـ

في هذه السنة عمر الوزير (حسن باشا) طارمة الحضرة الحسينية ،
ومدحه يوسف عزيز المولوي بقصيدة (١) .

*

عمر (الوزير حسن باشا) بعض المراقدة المباركة ، وبني صدرأ جديداً
لنهر الحسينية في كربلاء . وكان معروفاً بالنهر السليمانى . وبني خانات
بين كربلاء وبغداد ، وعمر المندثر منها (٢) .

سنة ١١٥٢ هـ

آل قشعم سلكوا طريق النهب والغارة ، وشوشوا على الحكومة ..
ولما رأى الو.ير (أحمد باشا) ذلك عزم على القضاء على غائلتهم . جعل
جيشه قسمير ؛ قسماً منه تحت قيادة كتخداه سليمان باشا ، وكانت وجهته
بلدة هيت ، والآخر تحت قيادته وتوجه به من أنحاء كربلاء وأغاروا من
الجانين (٣) .

سنة ١١٥٤ هـ

العشائر اتفقت مع بعض المفسدين من أهل القرى والضيايع .. اطلع
الوزير على ذلك فعزم على تخريب هذه القرى وإهلاك أهلها ، فجهز

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ١٩٣ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢١٠ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٠ .

١٢٢ _____ حسين علي محفوظ

عليها سرية بقيادة سليمان باشا الكتخدا . وهذا فرق جيشه ونبه ان يقتل جميع رجالها وتنهب أموالها ؛ عدا كربلاء والحلة والغري.. (١)

*

"سيد نصرالله من أهل كربلاء ، وأسرتهم لا تزال معروفة .. (٢)
وهو أشهر من عرف بالأدب والشعر (٣) .

سنة ١١٩٤ هـ

وصل (الوزير سليمان باشا) الى كربلاء ، وحينئذ رخص الشيخ
ثوبيا (شيخ المتفق) وأعادته مكرماً . ثم زار مرقد الامام الحسين ،
وتوجه الى بغداد (٤) .

- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٣١٠ .
(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٥ ص ٣١١ .
(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٨٤ .

غارة الوهابية على كربلاء

سنة ١٢١٦ هـ

في هذه الاثناء ورد الخبر من شيخ المنتفق حمود الثامر أن سعود ابن الأمير عبدالعزيز توجه الى هذه الأنحاء بجموع كثيرة العدد والعديد. ولذا وجه الوزير كتحذاه علي باشا إلى جهة الهندية ونزل في منزل الدورة مع جمع قليل. وكان في انتظار بعض القبائل لتوافيه.

وبينما هم في هذه الحالة إذ فاجأ سعود كربلاء، وتمكن من الدخول في المدينة فاغتنم الفرصة دون حيلة من أهل البلدة، فغنم منها أموالاً كثيرة، وانتهب أمتعة لا تحصى. وفي (عنوان المجد) لابن بشر الحنبلي: «ان سعودا سار - في سنة ١٢١٦ هـ - بالجيوش... من حاضر نجد وبادياها، والجنوب، والحجاز، وتهامة، وغير ذلك. وقصد أرض كربلاء، ونازل أهل بلد الحسين في ذي القعدة فحشد عليها قومه. تسوروا جدرانها، ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها - على قبر الحسين. واخذوا ما في القبة، وما حولها. واخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت. وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع

١٢٤ حسين علي محفوظ

الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة، وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر. ولم يلبثوا فيها إلاّ ضحوة، وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال، وقتل من أهلها نحو ألفي رجل.

ثم ان سعودا ارتحل منها على الماء المعروف بالابيض فجمع الغنائم، وعزل أنحماسها وقسم باقيها بين جيشه غنيمة للراجل سهم، وللفرس سهمان. ثم ارتحل قافلاً إلى وطنه.

وفي مطالع السعود: «... صبح أرض كربلاء تسوّر سور البلدة؛ التي فيها مدفن الحسين (رض).. فقتل عدداً جمّاً، وجمع من المال جمعاً لما. وأجرى دم القتلى في الزقاق.. ثم ثنى عنان العود إلى نجد...»

ولما وصل خبر ذلك الى علي باشا توجه نحوهم بقصد الانتقام، ولكنهم بعد أن حصلوا على الغنائم تركوا البلد، وذهبوا إلى الأخيضر. وان الباشا لبعض المقاصد، توقف في الحلة بضعة أيام. وعندئذ وصل سليم بك - صهر الوزير - متسلم البصرة المعزول بصحبة (عثمان طوبال أسهير) فورد المنزل المذكور، وتحرك من هناك فنزل الهندية، وصار يراقب جميع الأنحاء...

ولبث علي باشا في الهندية شهرين ونصف شهر. وبناء على أمر الوزير أبقى ييارق الخيالة في ذي الكفل (ع) والعقيلين في كربلا.. وأبقى في النجف عسكر الموصل مع مقدار من العقيلين. وبنى لكربلاء سوراً منيعاً، واتخذ للحلة خندقاً صعب الاجتياز. (١)

١٢٥ كربلاء في التواريخ

سنة ١٢١٨ هـ

كان في بغداد رجل أفغاني الأصل يدعى (ملا عثمان) عزم على قتل عبد العزيز السعود ، فتوجه الى الدرعية ؛ وصل إليها بصفة درويش .. وقيل إن القاتل من أهل كربلاء .. وكان القتل في العشر الأواخر من رجب سنة ١٢١٨ هـ . (١)

سنة ١٢٢٢ هـ

عشائر الجرباء والظفير والرولة .. عاثت بالقرى والقصبات المجاورة لها ؛ مثل الحلة ، وكربلاء ، والنجف . فضجّ الناس من كل صوب ... وفي هذه الأثناء اتفق ان أربعين ألف زائر من الايرانيين كانوا في قصبة كربلاء علمت بهم العشائر فتوجهت إليهم من كل صوب وصارت تنتظر خروجهم للوقعة بهم . وأحاطت بالمدينة من أطرافها فلم يجد الزوار طريقاً للخروج .

بقي الزوار محصورين ، وكان فيهم حرم الشاه (فتحعليشاه) وفي صحبتها بعض الخانات . وان خدام الحضرة عرضوا الأمر مراراً على الوزير (سعيد باشا) فلم يصنع ولم يتخذ أي تدبير . (٢)

سنة ١٢٣٦ هـ

في أوائل هذه السنة .. ظهر مرض لم يسم ب اسمه (قوليرا) أو الهواء

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ١٦٠ .

(٢) تاريخ المزاقي بين احتلالين ج ٦ ص ٢٢٢ .

١٢٦ حسين علي محفوظ

الأصفر ، أو الهیضة .. سماه ابن سند : (الوباء) .. ثم جاء إلى الخلة وكربلاء
ومكث في هذه الأماكن مدداً تراوح بين عشرة أيام وعشرين يوماً . (١)

سنة ١٢٤٢ هـ



الشيخ أحمد الإحساني
المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ
وهي بريشة منصور فتحملي شاه
القاجاري الخاص

(توفي الشيخ أحمد الإحساني)
وانتشار الشيعة في العراق بين الشيعة
كان بهمة زعيمها السيد محمد كاظم
الرشدي ، وتوفي سنة ١٢٥٩ هـ ولا
يزال عقبه في كربلاء . (٢)

واقعة كربلاء

سنة ١٢٥٨ هـ

كان التغلب في كربلاء قد استمر من
أيام داود باشا ، إلى آخر عهد علي رضا
باشا اللاز . ولما ورد محمد نجيب باشا
وعلم بذلك جهز جيشاً في ذي القعدة
سنة ١٢٥٨ هـ فحاصر البلدة . وفي ١١
ذي الحجة سنة ١٢٥٨ هـ استولى عليها . وجاء تاريخ ذلك (غدير دم) ...
وفي أيام علي باشا حاصرها ، وخرج إليه سادات البلد ، وعلمواهم .

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٧٨ .
(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ ص ٢٩٩ .

وتكفلوا له بزيادة الإيراد ، فارتحل عنهم ، وكان ذلك الوزير لا يبالي بعصيانهم ، ومرامه الدراهم ، وقد ادّوا له سبعين ألف قران ، (المثل اثنين) عما يؤدونه إلى داود باشا ، فرضي وتركهم .



السيد كاظم الرشتي
المتوفى عام ١٢٥٩ هـ

وهذا الوزير محمد نجيب باشا حاصرها ثلاثة وعشرين يوماً ويوم الجمعة التالي في الثاني من عيد الأضحى جاء البشير إلى بغداد بفتحها عنوة (مبيئاً) صورة الفتح . وكان قد تولى أمر العساكر فريق النظام كرد محمد باشا . وبسبب يرمي الأطواب (المدافع) من جهة واحدة . فلم يستقر أحد يقابل الأطواب إلى أن ثلم ثلثة من سور البلد (من محلة باب النجف) ودخل العسكر من تلك الثلثة . فانهزم البرطازية عسكر البلد

وخرجوا منه . وشرذمة قليلة وأكثرها من أهل البلد دخلت حضرة العباس وبدأوا يرامون العساكر السلطانية . فوقف العساكر النظامية أمامهم ، ورموهم دفعات بالتفك (البنادق) فتساقط أكثر الذين في الحضرة من الباغيين من سكنة البلد وفقراء الناس ، ونهب الجيش البلد مقدار أربع ساعات ، ونادى منادي الأمان ، والتجأ أكثر الناس إلى بيت السيد كاظم الرشتي المجتهد العالم المخالف لأصول مذهب الشيعة (١) ولقب مذهبه بـ (الكشفي)

(١) صحيح ان بين الأصولية والشيخية بعض الاختلاف والفروق في الآراء ، ولكن هذا الاختلاف لا يجعل للشيخية غير شيعة كما قد يفهم القارئ من عبارة هذا الكتاب وان اقتصر =

أو (پشت سري) كما ان مذهب الشيعة الذين هم أقدم منهم يسمى ؛ (البالاسرية) وهم الشيعة الأصولية ، وكان بين الفريقين هؤلاء مقلدي السيد كاظم ، والشيعة الذين هم من مقلدي الشيخ محمد حسن البالاسري عداوة شديدة ظاهرة .

والذي قتل من ولاية كربلاء مقدار أربعة آلاف نفس . ومن العسكر مقدار خمسمائة نفر . ومن بعد فتحها أمسكوا السيد ابراهيم الزعفراني ؛ وجاؤوا به إلى بغداد والسيد صالح من كبار البلد وكم واحد .

فالسيد صالح نفوه إلى كركوك ، وترجاه قونصلوص الانكليز . وابن الزعفراني بقي أياماً قلائل في بغداد ، وتمرض بالدق ومات . وبعضهم عفا عنهم الوزير محمد نجيب باشا ، وجعل عليهم والياً واحداً .. » .

ومن هذا يعلم أشخاص الواقعة ، وعواملها ومن أهمها ضعف الحكومة وتسלט المتغلين ..

وذكر هذه الواقعة السيد عبد الغفار الأخرس .. وجاء ذكر (ها) .. في كتاب هداية الطالبين لكریم خان الكرمانی و بین ان الجیوش كانت تحترم بیوت الشیخية . وكل من التجأ إليهم كان آمناً على نفسه وماله . ولم يقتل أحد من أصحاب السيد كاظم الرشدي مع ان الذين التجأوا إلى المشاهد قد قتلوا بلا رحمة . ويقول ان الباشا دخل بجواده في المكان المقدس .

وفي تاريخ نبیل المعروف (نبيلي) من البهائية تفصيل وتعيين لوجهة نظرهم .

= اسم الشيعة على الاصوليين وحدهم دون الفرق الشيعية الأخرى غير صحيح ولم يقل به احد من الاصوليين وغير الاصوليين .

الخليلي

كربلاء في التواريخ ————— ١٢٩

وبين انها جرت في ليلة عرفة من ذي الحجة سنة ١٢٥٨ هـ .. وفيها قتل ٩ آلاف شخص وسلب ما في الجوامع من نفائس .

وجاء ان محمداً شاه كان مريضاً فلم يشأ رجال دولته لإخباره ، فلما علم حقيق ، وعزم على أخذ الثأر إلا أن التدخل السيامي من روسية وبريطانيا هذاه .

وفي كتاب قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق وبين النهرين تأليف محمد رشيد السعدي ان الواقعة جرت في التاريخ المذكور . قال : جاهر أهل كربلاء بالعصيان ، فأرسل والي بغداد محمد نجيب باشا عليهم الجنود المظفرة العثمانية ، فانتصروا على العصاة ، وقتلوا رؤساءهم وعاد الأمن والسكينة » .

وفي تاريخ الشاوي جاء تفصيل أيضاً إلا أنه لم ينسبها للعصيان من الأهليين بل بين ان بنتاً من شهزادات الدولة القجرية قد تعرض لها العصاة : واختطفوها وفعلوا ما فعلوا بها . وفي نتيجة المخابرات السياسية اضطرت الدولة للقضاء على عصيان هؤلاء ، اتخذت هذه الحادثة وسيلة انذرهم الوالي ان يسلموا الاشقياء تنفيذاً للارادة السلطانية فأبوا . ومن ثم ضربهم .. والحال أن ما ذكره كان ايام داود باشا .

وعندي كتاب لأهل كربلاء ذكروا فيه تفاصيل الواقعة ايام داود باشا . وكان مدأ العصيان سنة ١٢٤١ هـ ودام إلى المحرم سنة ١٢٤٢ هـ (اي

موسوعة للعبات المقدمة (٩)

١٣٠ حسين علي محفوظ

(الكتاب) المسمى (نزهة الاخوان في واقعة بلد المقتول العطشان) * .. (١)

سنة ١٢٥٩ هـ

توفي السيد كاظم الرشتي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ . وعقائد الكشفية ؛
هي عقائد الشيخية موسعة في شرح المطالب .. وآل الرشتي معروفون في
كربلاء . وهم من ذرية السيد كاظم .. (٢)

سنة ١٢٦٠ هـ

كان ظهور الباب (علي محمد الشيرازي) في ايران بتاريخ ٥ جمادى
الأولى سنة ١٢٦٠ .. وفي هذه السنة كان مقدمهم في بغداد محمد بن شبل
العجمي .. كتب الوزير (محمد نجيب) بالخبره الى استنبول بأن اهل كربلاء
والنجف وعلماءها لم يقبلوه .. (٣)

سنة ١٢٦٢ هـ

العلامة السيد ابراهيم القزويني في كربلاء . توفي في الوباء في هذه السنة . (٤)

(٥) ستناول موسوعة الثبات المقدسة هذه الواقعة بالتفصيل في أحد أجزاء (قسم كربلاء) المقبل ،
اما هنا فليس المقصود الا عرض بعض ما جاء عن اسم كربلاء في بعض المراجع .

الخليل

- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٦٤ - ٦٨ .
- (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٦٩ .
- (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٧٢ - ٧٣ .
- (٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٧٧ .

١٢١ كربلاء في التاريخ

سنة ١٢٦٨ هـ

غلت الاسعار بالحسين (كربلاء) والمشهد (النجف) والحلة . (١)

سنة ١٢٧٤ هـ

استمر (الوالي ؛ الوزير السردار الأكبر عمر باشا) في أخذ الجندية من الحلة والنجف وكربلاء وما جاورها من انحاء الفراتية .. (٢)

*

وعلى اهل الحسين (كربلاء) جعل خمسين نفساً ، وأخذ منهم بالبدلية . ثم تحركوا بحركات فاسدة وقتلوا اثنين من أهل البلد ؛ واحد من كربلاء وآخر نظام . (٣)

*

فلما عاين أهل النجف ما فعل بأهل الحلة وأهل كربلاء أبانوا وجه الطاعة ، ومسكوا ثلاثين نفساً بدلاً عنهم (٤) .

سنة ١٢٧٨ هـ

نال (محمد نامق باشا) منصب بغداد للمرة الثانية .. ويعرف عندنا بـ (نامق باشا الكبير) . كان قد جاء قبل ذلك في قضية كربلاء لما أن فتحها

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٩٨ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١١٨ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٢١ .

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٢٢ .

١٣٢ _____ حسين علي محفوظ

نجيب باشا .. (١) .

سنة ١٢٨٦ هـ

لم تظهر تشكيلات في (لواء كربلاء) .. أيام مدحت باشا .. (٢)

علم الوالي (مدحت باشا) ان متصرف كربلاء اسماعيل باشا كان سيء الإدارة مرتشياً وكذا بعض الموظفين ممن على شاكلته ، فذهب بنفسه إلى كربلاء ، وأجرى التحقيق فثبت له ما كان قد عزى إلى المتصرف ، فعزله في الحال . وأمر بأخذه للمحاكمة ، ونصب مكانه حافظ أفندي قائمقام كوستنديل سابقاً . (٣)

وفي أثناء مهمته — هناك — رأى أن هذه البلدة صغيرة ومضيقة نظراً للزحام الموجود فيها ، فأمر بلزوم تشكيل محلة جديدة فيها وتنظيم خارطة بذلك ، وترتيبها بالوجه المطلوب على أن تباع العرصات إلى الأهلين لكل من أراد أن يبني داراً أو دكاناً أو أي بناء . وان تصرف المبالغ المستحصلة في سبيل تنظيم طرقها .. وهذه المحلة هي المعروفة قديماً بالمحلة الجديدة ، وتعرف اليوم بـ (العباسية) . التفت الوالي الى هذه المهمة ، ولم يؤخر العمل بها .. وكان قد أقام في كربلاء خمسة أيام أو ستة . (٤)

-
- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٣٤ .
 - (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٧٠ .
 - (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٧٢ .
 - (٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١٧٢ .

كربلاء في التاريخ ١٢٣

عزل الاستاذ سليمان فائق من البصرة ... ونصب مكانه متصرف كربلاء
حافظ باشا ، ومنح رتبة ميرميران أي أمير الأمراء . (١)

سنة ١٢٨٧ هـ

زار (ناصر الدين شاه) العتبات في النجف وكربلاء وسامراء (٢) .

سنة ١٣٠١ هـ

تجول الوالي (نقي الدين باشا آل المدرس) في أنحاء الحلة وكربلاء (٣) .

سنة ١٣٠٢ هـ

بنيت قنطرة على نهر المسعودي الكبير الواقع في جادة الحلة - كربلاء .
ولها أهمية . (٤)

*

ذهب إلى كربلاء محاسب الأوقاف عبد القادر ، ومعه سليمان فائق
الشواف (صهر آل الشواف) وحرروا موجودات الخزانة بمعرفة مجلس
الادارة . فوجدت أشياء نفيسة للغاية خمنت بمبلغ ينوف على ٢٢ ألف ليرة .
ويوجد مصحف شريف بخط زين العابدين (رض) كتابته كوفية على

-
- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٢٣٢ .
 - (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٢٤٤ .
 - (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٧٣ .
 - (٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٧٣ .

[illegible]

ومن جملة ما في الخزانة
شععدانان كبيران معمولان من
الذهب ؛ أحدهما السلطان عبد
المجيد . وكانا بقيمة (٢٥٠٠)
ليرة وتاج بقيمة أربعين ألف
قرش .

ووجدت سجادة نفيسة للغاية
مزيّنة بلؤلؤ وذهب .

وعند ختام تفتيش المملقات وسائر النفائس اتخذ المحاسب دفترأ ختمه السادن ، ثم بوشر بتحرير النفائس التي في مشهد العباس (رض) فوجدت أشياء مهمة ونفيسة . وهي كثيرة فدونت وختم دفترها كليدار العباس . (١)

(۱) تاریخ العراق بین احتلالین ج ۸ ص ۷۴ .

صفحتان من مصحف خطي قديم ثمين مكتوب بالخط الكوفي وهو من مخطوطات الروضة البهية بكتوبا

كربلاء في التاريخ ١٣٥

لواء كربلاء وأقصيته النجف والهندية ، ونواحي مركز القضاء المسيب والرحالية ، وشفائا ، وكان متصورا قلبها إلى قضاء لأهميتها (١) .

سنة ١٣٠٤ هـ

جرى (الحج) في هذه السنة من طريق كربلاء - الجبل (جبل شمر) (٢)

سنة ١٣٠٩ هـ

أجري الاحتفال بشعرات الرسول (ص) وكسوة البيت المحرم في بغداد وكربلاء . وقيلت الأشعار . (٣)

سنة ١٣٢٤ هـ

(عزل الوالي مجيد بك) وكان سبب عزله حركة كربلاء حينما وجه رشيد باشا ابن الاستاذ محمد فيضي الزهاوي وكيل المتصرف فوق قتال بين العجم وبين الجند بسبب أخذ الرسوم . (٤)

سنة ١٣٢٥ هـ

كان حدث في كربلاء قتل أربعين شخصاً من الإيرانيين الأمر الذي

- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٧٥ .
- (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٧٩ .
- (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١١٨ .
- (٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٥٢ .

١٣٦ حسين علي محفوظ

دعا إلى توجيه منصب الولاية إلى (ابو بكر حازم بك والي بغداد) فوردها
براتب ثلاثين ألف قرش . (١)

سنة ١٣٢٦ هـ

افتتح مجلس المبعوثين (النواب) في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ هـ .



الزعيم السياسي والشاعر
عبد المهدي الحافظ
المتوفى سنة ١٣٣٤

وهذه هي الدورة الأولى . وانتخب
فيها عن كربلاء الحاج عبد المهدي
الحافظ . (٢)

سنة ١٣٢٧ هـ

أودع الوالي (نجم الدين منلا)
أعمال الولاية بالوكالة إلى الفريق الأول
محمد فاضل باشا الداغستاني نهار السبت
٢٣ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ هـ .. ثم ان
الوالي السابق توجه في ذلك اليوم إلى
كربلاء للزيارة وعاد يوم الاثنين في
٢٥ منه . (٣)

-
- (١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٥٣ .
 - (٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٦٥ - ١٦٦
 - (٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ١٨٠ .

١٣٧٠ كربلاء في التواريخ

سنة ١٣٢٩ هـ

ذهب الوالي (جمال بك) .. إلى كربلاء . (١)

سنة ١٣٣٠ هـ

المبعوثين (للمرة الثانية) .. عن كربلاء :

١ - فؤاد الدفترى البغدادي ، والد معالي محمود صبحي الدفترى .

٢ - نوري بك البغدادي رئيس تحرير القسم التركي في جريدة الزهور

البغدادية . (٢)

سنة ١٣٣٤ هـ

توفي عبد المهدي آل حافظ الكربلائي في كربلاء .. في ربيع الآخر ..
وكان مبعوث كربلاء الأسبق ، ذكياً تعلم اللسان الافرنسي جيداً فأحسن
القراءة والكتابة فيه . وكان ذا سلطة وجرأة ، وفي مقدمة القيام على مأموري
الحكومة في كربلاء واخراجهم منها بعد نهب أموالهم واهانتهم حتى اعيدوا
إليها بمظاهرة الولاية وسكنت الفتنة في أثناء الحرب العامة الأولى . (٣)

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٢١٩ .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٣) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٨ ص ٢٩٧ .

كربلاء في الجغرافيا

كتاب سمير الليالي

مدينة كربلاء ؛ وهي مدينة على حافة البادية . وتحتوي على نحو ستة آلاف دار ، وبينها وبين بغداد طريق شوسه .

وفيهما ؛ استشهد الحسين (رضي الله عنه) سنة ٦٠ للهجرة . وبها مقام بديع ينسب إليه . توّمه الزوار ؛ سيما الشيعة ، من كل حدب . وأهلها خمسة عشر ألف شخص .

وعلى مقربة منها قلعة متينة من بقايا الأكاسرة ، بناها النعمان بن المنذر ؛ ولها أربع قضوات (١) .

الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية

كربلاء ؛ وتسمى مشهد الحسين ، وهي بلدة إلى جنوب غربي بغداد سكانها ٦٥,٠٠٠ نسمة . اشتهرت بأنها مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب هـ

(١) سمير الليالي - لمحمد امين صوفي السكري الطرابلسي ؛ طبعة طرابلس الشام سنة ١٣٢٧ هـ ؛

كربلاء في التاريخ ١٢٩

وفيهام مقامه . ولذلك تعد من الأماكن المقدسة عند الشيعة ، وفيها جامع على غاية الاتقان ، في داخله مزار للحسين يؤمه كثيرون ؛ ولا سيما في شهر محرم (١) .

جغرافية العراق الثانوية

كربلاء ؛ قصبة كربلاء ؛ مركز اللواء المسمى باسمها . وتقع في طرف البادية . وهي - كالكجف - بعيدة عن شط الهندية ؛ غير أنها تتصل به بجدول الحسينية الذي يستفيد الأهليون من مائه للشرب ، وسقي مزارعهم وبساتينهم . وتحيط البساتين بالقصبة ، وهي - على الغالب - منتشرة على جوانب جدول الحسينية .

وفيهام ، مرقد الامام حسين ، واخيه العباس . وهي في الدرجة الثانية من حيث الخطورة الدينية . فيؤمها الزوار من كل حدب وصوب لزيارة مرقدني الامام واخيه ، والتبرك بهما . ويقم العلماء الأعلام ورجال الدين فيهام .

وتتألف المدينة من قسمين ؛ يزدحم القسم القديم منهما بالدور والمساكن ، وهو ضيق الشوارع والطرق .

أما القسم الحديث - وقد خط في عهد ملحت باشا - فذو شوارع واسعة متوازية .

واشتهرت كربلاء بصنع أواني البرنز والنحاس ، ونسج الحرير . (٢)

(١) الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية - بقلم الشماس اندراوس كرشه ، ويورغاكي أبيض ؛ طبعة طرابلس سنة ١٩١٢ ، ص ١٦٣ .

(٢) جغرافية العراق الثانوية - للعميد طه الهاشمي ؛ طبعة بيروت سنة ١٩٣٩ ، ص ١١٩ - ١٢٠

كربلاء في الرحلات

كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات

كربلا ؛ قرية بها جسد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب - رض -
ورأسه بمصر ؛ عمره ست وخمسون سنة ، ولد بالمدينة . وعنده جماعة
من أهله قتلوا - هناك - معه ؛ مثل :

القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضه) وأبي بكر بن علي بن أبي
طالب (رضه) ، والعباس الأكبر ، وعثمان ، وجعفر ، وعبد الله ، ومحمد
الأصغر ، وعليّ الأكبر ، وعبد الله بن مسلم بن عقيل ، ومحمد بن عبد الله
ابن جعفر (رضهم) . وهناك جماعة من الأشراف (رضهم) . (١)

رحلة ابن بطوطة

وقد ورد ذكرها في قسم المراجع الغربية ، من هذا الجزء فلا حاجة
لذكرها مرة ثانية .

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات - لأبي الحسن علي بن أبي بكر المروزي - طبعة دمشق سنة ١٩٥٣

١٤١ كربلاء في التواريخ .

نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (١)

لما أسفر الصباح عن وجه الهنا والانشراح ، رابع ربيع الأول عام ألف ومائة وأحد وثلاثين ، من هجرة النبي المرسل ؛ توكلنا على الرب العلي ، ورحلنا من مشهد علي ، قاصدين زيارة الشهيد المبتهلى ، المدفون بكربلاء ، الحسين بن علي - ومن معه من الشهداء الصابرين (رضوان الله عليهم أجمعين) .
ففي خامس الشهر المذكور ؛ أتينا على موضع يقال له الخان الأخير ، ومررنا في طريقنا بقبر النبي ذي الكفل (عليه السلام) فزرنا وبلغنا المرام .
وفي سادس الشهر ، دخلنا أرض الحائر ، مشهد الحسين الطاهر (سلام الله عليه ، وعلى أخيه ، وعلى جدّه وأبيه ، وأمه وبنيه ، وسائر مواليه ومحبيه :

لله ايام مضت بكربلاء محروسة من كل كرب وبلاء
بمشهد الطهر الحسين ذي العلا
ونسف خير الخلق من كل الملا
فحقتى بجوده تفضلا
ونلت ما كنت له مؤتملا
من زاره بالصدق فيه والولا يعود مجبوراً بلا شك ولا...
فاسمع لما قد قال ذو الفعل الحسن
محمد الحرّ الأصيل ابن الحسن (٢)

(١) نهني شقيقي الأستاذ ناجي علي محفوظ على اجتماع السيد عباس المكي مؤلف نزهة الجليس بالسيد نصر الله الحسيني الحائري بمكة سنة ١١٣٠ هـ وتخرجه به . تراجع نزهة الجليس ج ١ ص ١٤ - ١٥ .

(٢) هو ؛ محمد بن الحسن بن علي ؛ الحر العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة ، وكتاب أمل الآمل . توفي ٢١ شهر رمضان سنة ١١٠٤ هـ .

قد أرخ المولد في رجبه مفيضة جليسة وجيزه
 فقال في ذكر الحسين بن علي نظماً بديع القول كالصبح الجلي
 وكيف لا وهو الامام الرحله نجل ثقة قادة أجلسه
 خادم شرع المصطفى والمذهب الطيب ابن الطيب ابن الطيب
 من ذكره في العرب سار والعجم
 والشام والروم إلى أقصى لارم
 بالفضل والتقوى مع العفاف
 والبر والاحسان والالطاف
 عليه من رب العباد الرحمة تعمه وجميع الأمة
 فاسمع ؛ فهذا قوله المفيد قد قال - وهو الفاضل المجيد: (١)
 واسمع وقيت صولة الحوادث
 نظمي تاريخ الإمام الثالث
 روجي القداء للحسين بن علي ذي المجد والسؤدد والقدرة العلي
 مولده في عام أربع مضت في شهر شعبان لخمس انقضت
 يوم الخميس سيدي قد ولدا قيل : بل السابع كان المولدا
 وقيل : في عام ثلاث فاعقل آخر يوم من ربيع الأول
 يكنى بعبد الله وهو السبط لم يك مثله كريم قط
 نسبه من أشرف الأنساب
 حسبه من أكرم الأحساب
 نص عليه بالإمامة النبي فياله من فضل مجد عجب
 وبعده 'بوه وأخوه وقال ذاك بعده بنوه

(١) ما يعد هذا البيت من منظومة الحر العاملي المذكور آنفاً .

خير الورى في العلم والزهادة
والفضل والحلم وفي العباده
كرمه وجوده قد بلغا ما لم يحط به مقام البلغا
ولذة الكسرام في الاطعام ولذة اللثام في الطعام
فاق الورى في الجود والسماحة
والمجد والكمال والفصاحه
أولاده ست وقيل عشر
وقيل تسع فانقلوه وادروا
منهم ؛ علي بن الحسين الأكبر
ثم علي بن الحسين الأصغر
فالأول ابن بنت كسرى الملك
ولم يكن في دينه بالمشرك
والثاني من ليلي الفتاة فاعرف
بنت أبي مرة أعني الثقيفي
وجعفر والأُم من قضاعة
كانت على نقل ما الجماعة
سكينة أخت لعبد الله
فاحفظ وفكر لا تكن كاللاهي
من الرباب الحرة الأييه
بنت امرئ القيس الفتي الكلبيّه
وفاطم وأمها في القوم
بنت لطلحة الشهر التيمي
قيل ومن اخوتهم محمد علي الأوسط وهو الأسعد
وذاك زين العابدين الأشهر وزينب بنت الحسين يذكر
وقتل بـكربلاء اشتها مضى شهيداً وبها قد قبرا
أمر يزيد وعبيد الله ابن زياد الخبيث اللاهي

قاتله سنان وابن سعد تعوضوا بنحسهم عن سعد
احدى وستون بها حلّ البلا بقتله مع شهداء كربلا
في عاشر المحرم المنحوس في يوم سبت ما خلا من بوس
او يوم الاثنين وقيل الجمعة حل البلا به بتلك البقعة
وعمره سبع وخمسون سنة وبعدها مضى وحل مدفنه
عشر سنين اختص بالامامة بعد أخيه إذ مضى أمامه
صلى عليه الله ثم سلما وزاده من فضله وكرما
والنص فيه جاء بالامامة كما أتى لمن مضى أمامه
من ربه وجده والوالد ومن أخيه ، ويل كل جاحد .. (١) الخ

ثم قال : فتشرفت - والحمد لله - بالزيارة ، ولاح لي من جنبه الشريف .
اشاره ؛ فإني قصدته لحال ، وما كل ما يعلم يقال .

وقرت عيني بزيارة الشهيد علي الأصغر ، ابن مولانا الحسين الشهيد
الأكبر ، وزيارة سيدي الشهيد العباس بن علي بن أبي طالب (رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين) .

وأما ضريح سيدي الحسين ؛ فيه جملة قناديل من الورق (٢) المرصع
والعين (٣) ، ما يبهت العين . ومن أنواع الجواهر الثمينة ، ما يساوي خراج
مدينة . وأغلب ذلك من ملوك العجم .

وعلى رأسه الشريف ؛ قنديل من الذهب الأحمر ، يبلغ وزنه منين (٤)

(١) هذه المقطوعة من منظومة محمد بن الحسن الحر العاملي المذكور آنفاً .

(٢) الورق - الفضة .

(٣) العين - الذهب .

(٤) هو المن العراقي ظاهراً .

كربلاء في التواريخ ١٤٥

بل أكثر.

وقد عقدت عليه قبة رفيعة السماك ، متصلة بالأفلاك . وبنائها عجيب ،
صنعة حكيم لبيب .

وقد أقمت شهرين ، بمشهد مولاي الحسين ؛ بلدة من كل المكاره جنة (١)
كأنها من رياض الجنة . نخيلها باسقات ، وماؤها عذب زلال من شط الفرات .
وأقمارها مبدره ، وأنوارها مسفرة ، ووجوه قطانها ضاحكة مستبشرة (٢) .
وقصورها كغرف من الجنان مصنوعة ؛ فيها سرر مرفوعة (٣) ،
وأكواب موضوعة (٤) ، وفواكهها مختلفة الألوان (٥) . وأطيافها تسبح
الرحمن على الأغصان . وبساتينها مشرقة بأنوار (٦) الورود والزهور ،
وعرف ترابها كالمسك ولونه كالكاפור (٧) .

وأهلها كرام أمثال ؛ ليس لهم في عصرهم مائل ؛ لم تعلق - فيهم -
غير عزيز جليل ، ورئيس صاحب خلق وخلق جميل ، وعالم فاضل ،
وماجد عادل . يحبون الغريب ، ويصلونه من برهم وبرهم (٨) بأوفر
نصيب .

(١) الجنة - ما يستتر به .

(٢) اقتباس من الآية ٣٩ من سورة عبس .

(٣ و ٤) اقتباس من الآية ١٤ من سورة الفاشية .

(٥) إشارة إلى الآية : « فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » ٢٧ سورة فاطر .

(٦) الأنوار جمع النور ، وهو زهر الثبت . وجمع النور وهو خلاف الظلمة .

(٧) أي ؛ أبيض .

(٨) البر ؛ بالفم القمع ، وبالكسر ؛ الخير والفضل .

موسوعة العتبات المقدسة (١٠)

١٤٦ حسين علي محفوظ

ولا تلتفت إلى قول ابن اياس (١) في نشق الأزهار (٢) ؛ بأنهم من
البخلاء الأشرار ؛ فله خرق العادة ، فانهم فوق ما أصف وزيادة :

هينون لينون أيسار ذوو كرم
سواس مكرمة أبناء أيسار
ان يسألوا الحق يعطوه وان خبروا
في الجهد أدرك منهم طيب أخبار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا
ولا يمارون إن ماروا باكثار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا ولا يعد ثنا خزي ولا عار
من تلق منهم تقل لاقت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

واجتمعت بالرئيس المعظم ، والعظيم المفخم ، ذي الشرف الباذخ والفخر
الوضاح ، مولانا السيد حسين الكلیدار (٣) ؛ يعني « حامل المفتاح » .
وبأخيه الشهم النجيب الكريم ، النبيل العظيم ؛ مولانا السيد مرتضى (حماه
الله تعالى من حوادث القضا) . وبالعالم العلامة ، الحبر التحرير الرحلة
الفهامه ، ذي الوصف الجميل والذكر الحسن ، مولانا الفاضل الملا أبو
الحسن . فجمع بيني وبين الأمير المظفر ، الشجاع الغضنفر ، البحر الغظمم ،
الأسد الغشمشم ، بحر الاحسان ومعدن الكرم ؛ الأمير حسين اوغلي بيك
ايشك اغاسي باشي حرم سلطان العجم . وكان قد استأذن من السلطان في
ذلك العام ، أن يسير إلى العراق لزيارة الأئمة أعلام الهدى ومصاييح الظلام .

(١) هو محمد بن أحمد بن اياس ؛ المؤرخ ، المتوفى سنة ٩٣٠ هـ .

(٢) كتاب نشق الأزهار في عجائب الأمصار ؛ لابن اياس المذكور .

(٣) لفظ فارسي ؛ أصله « كلیددار » ؛ وهو الخازن ورئيس السدنة .

كربلاء في التواريخ - ١٤٧

وهذا الأمير من أكابر امراء أصفهان . وهذا الخطاب الذي هو خطاب لرئيس الحجاب على أبواب حريم السلطان ، فأشار على ذلك الأمير المنصور المعان ، بالمسير صحبته إلى دار السلطنة اصفهان ؛ لكي يجمعني بالشاه حسين السلطان (١) فلما تبسم ثغر الصباح ، وتغنى القمري على الأغصان وصباح ، عن رابع جماد الأول ، عام ألف ومائة وأحد وثلاثين من هجرة النبي المكمل ، رحلنا من كربلاء مشهد الحسين زين العباد ، إلى دار الخلافة بغداد . (٢)

رحلة المنشئ البغدادي

كربلاء :

من قرى بغداد قصبة كربلاء . وفيها نحو خمسة آلاف بيت . وهناك روضة الحسين (عليه السلام) .

ومن بغداد إلى كربلاء ١٥ فرسخاً . وفي الطريق قد بنيت خمسة خانات ، ويبعد فرسخين (خان الكهية) . والثاني يبعد عن بغداد أربعة فراسخ ، وهو (خان زاد) . ويبعد ستة فراسخ عن بغداد خان البير ، أو خان النصف . ويبعد ثمانية فراسخ خان المزارقيبي . وعشرة فراسخ المسيب على جانب من الفرات - وهناك نحو أربعمئة بيت - ومنه يعبر جسر مملود على الفرات ، فيسار إلى كربلاء بمسافة خمسة فراسخ (٣) .

(١) نزهة الجليس - للسيد عباس الموسوي الحسيني المكي - طبعة مصر سنة ١٢٩٣ هـ ج ١ ص ٨٤

- ٨٨ -

(٢) نزهة الجليس ج ١ ص ١١٢ .

(٣) رحلة المنشئ البغدادي - السيد محمد بن أحمد الحسيني المعروف بالمنشئ البغدادي - طبعة

بغداد سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ ، ص ٩٧ .

نهر الحسينية :

ومن الفرات يشتق نهر يذهب إلى كربلاء ؛ يقال له (نهر الحسينية) .
وفي كربلاء ، ولمسافة أربعة فراسخ بساتين ، تمرها مشهور بالجودة . (١)

رحلات عبد الوهاب عزام

أصبحنا يوم الثلاثاء نتجهز للسفر إلى كربلاء — ومعنا الأخ النقيب السيد عزيز سامي المفتش بوزارة المعارف — عبرنا دجلة خارجين من بغداد — والساعة عشر من الصباح — وشرنا إلى الجنوب ؛ فمررنا بقرية اسمها المحمودية ثم أخرى تسمى السكندرية ، ثم ملنا قليلاً إلى الغرب حتى بلغنا المسيب على شاطئ الفرات — والساعة اثنتا عشرة .

وفي المسيب ، قابلنا من بها من رجال التعليم فساروا معنا إلى الهندية ، حيث القناطر ، التي تسمى (سدة الهندية) ؛ قناطر على الفرات لحبس المياه وتوفيرها للري . وهي شاهدة بما يبلغه العراق من الخصب والرفاه حين تقام أمثالها في مواضع الحاجة من دجلة والفرات .

فهناك يتشعب من الفرات أربع شعب عظيمة ، اثنتان في الغرب إحداهما نهر الحلة ، واثنتان في الغرب إحداهما نهر كربلاء .

عبرنا الفرات على قنطرة الهندية ميممين كربلاء . فأنجھنا نحو الشمال الغربي — والساعة واحدة — مؤملين أن نبلغ غايتنا بعد نصف ساعة . وقد تحول الأحوال دون الآمال !

١٤٩ كربلاء في التواريخ

كان بعض الطريق وحلاً ، فارتطمت فيه بعض السيارات مرة بعد أخرى ، ثم استقام لنا الطريق من بعد ؛ فإذا حدثت كربلاء - والساعة اثنتان وربع - وفي كربلاء نخيل وأشجار كثيرة مرت عليها السيارات نصف ساعة ، حتى دخلنا البلد . فسرنا إلى المدرسة المتوسطة ، حيث ألقينا مديرها ومعلميها منتظرين مُعدّين كل وسائل الحفاوة والإكرام .

استرحنا قليلاً ثم يمينا المسجد المبارك - الذي به ضريح الحسين بن علي - (رضي الله عنهما) فرأينا مسجداً عظيماً على نسق مسجد الكاظمية في بنائه وزينته .

ولحنا الباب إلى ساحة واسعة ؛ فإذا إلى اليسار جماعة قد وقفوا صفوفاً يدقون صدورهم دقات موحدة موزونة ، وأمامهم منبر عليه خطيب يتكلم عليهم . وإلى اليمين أبصرنا جماعة من النساء جالسات يولولن في الحين بعد الحين مستمعات إلى محدث آخر . وذلك أن اليوم كان من أيام ذكرى مقتل الإمام علي بن أبي طالب (١) . وقد دخلنا المسجد فإذا هو يلوي بالقارئ والداعين . فزرنّا الضريح المبارك ، ومنعنا جلال الموقف أن نسرح أبصارنا في جمال المكان ، وما يأخذ الأبصار من زينته وحليته وروائه .

وبجانب (٢) المسجد مسجد آخر فيه ضريح العباس بن علي . وفيه (٣) سرداب يهبط فيه نحو عشر درجات إلى مكان مغطى بشبكة من الحديد

(١) مقتل أمير المؤمنين علي - عليه السلام - في شهر رمضان سنة ٤٠ هـ .

(٢) مرقد العباس - عليه السلام - على بعد ٣٠٠ متر تقريباً في الجهة الشمالية الشرقية من الحائر المقدس - تراجع تاريخ كربلاء وحام الحسين عليه السلام ؛ للدكتور عبد الجواد الكلدار ، طبعة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ ، ص ٢٦٨ .

(٣) أي ؛ في مشهد الحسين عليه السلام .

١٥٠ _____ حسين علي محفوظ

يسمونه « المذبح » ، ويقولون إن دم الحسين (رضي الله عنه) سال فيه حينما قتل في فاجعة كربلاء ، وهناك زاوية يقال إنها مولد المسيح عيسى ابن مريم .

ثم هناك حجرة في ناحية من المسجد ، دفن فيها من ملوك القاجاريين ، آخرهم أحمد (١) ، وأبوه محمد علي (٢) ، وجده مظفر الدين . (٣) (٤)

-
- (١) أحمد شاه بن محمد علي شاه بن -ظفر الدين شاه بن ناصر الدين شاه القاجاري المتوفى سنة ١٣٤٨ هـ
 (٢) محمد علي شاه ، المتوفى سنة ١٣٤١ هـ .
 (٣) مظفر الدين شاه ، المتوفى سنة ١٣٢٤ هـ .
 (٤) رحلات عبد الوهاب عزام طبعة مصر سنة ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م ص ٥٨ - ٦٠ .

كربلاء في الأدلة

دليل المملكة العراقية

لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦

من بين الألوية العراقية التي تمتاز بقدسيتهما ، وبتاريخها الوضاء الحافل
بجلائل الأمور ، وعظام الحوادث في تاريخ هذا القطر ، لواء كربلاء ...
فقد أخبرتنا الأسفار التاريخية عن معارك خطيرة دارت رحاها في ربوع
هذا اللواء ؛ تجلت فيها الفضائل والمعجزات كما تجلى النبل والثبات على
المبادئ المقدسة . وأخبرتتنا - أيضاً - عن مدن كبيرة ، وحصون منيعة
أنشئت في أرجائه لم يبق منها غير الأنقاض ولم يعرف عن تاريخها إلاّ النزر
اليسير ...

قاعدة لواء كربلاء - اليوم - مدينة كربلاء المشهورة في التاريخ ؛ التاريخ
القديم ، والتاريخ الحديث . وهي بلدة عرفت بهذا الاسم قبل الاسلام بزمان
بعيد . واستيفاء البحث عن قديمها يكلف كثيراً من متاعب الاستقصاء
والتنقيب ؛ لعدم وجود منابع تاريخية وافية وموثوق بصحتها ، يصح الركون

إليها... (١)

وان اطالة البحث في قدم كربلا ، والتوصل إلى معرفة تاريخها عن طريق التحليل اللفظي يعيبي المؤرخ ، فيجعله يتخبط في ديجور من التوهيمات والاحتمالات الدينية والتاريخية . وقد لا يصل بها إلى نتيجة يقينية . وربما كان في تلك الطلول والخرائب المتفرقة ما يكشف لنا عن تاريخ كربلا القديم الغامض ، ولكن في المستقبل .

ثم جاء في الدليل بعد ذلك قوله :

هذا معظم ما لهذه الأرض من قيمة تاريخية تحفظها لها أسفار التاريخ القديم . وقد حصل كثير من التغيير والتبديل في تبرى الفرات وتقسيمه لمدينة وقراه .

وقد يمكن ضبط تعيين مواقع المدن المشهورة التي أنشأها البابليون ، ومن جاء بعدهم بتتبع الآثار والحفريات التي لها علائم تعرف بالقرينة ، ولكن ذلك يحتاج إلى مجهود كبير ووقت طويل .

(١) وقد ورد في دليل المملكة العراقية بحث عن اسم كربلاء وما قيل فيه ، صرف النظر عن ذكره لوروده في فصل (كربلاء قديماً) من هذا الجزء .
الجليل

كربلاء في التاريخ الحديث

أما كربلا - اليوم - فتبعد عن بغداد ٧٤ ميلاً ، وترتبطها بها سكة حديدية ثابتة .

وهي مدينة واسعة جالسة على ضفة ترعة (الحسينية) اليسرى يحيط بها شجر النخيل الوارف ، وتحفها البساتين المحتوية على أشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف . وهي - الى ذلك - ذات جادات واسعة ، ومؤسسات فخمة ، واسواق منتظمة ، ومبان عامرة ، ورياض وغياض كثيرة .

وتقسم كربلا - من حيث العمران - إلى قسمين . يسمى الأول (كربلا القديمة) وهو الذي أقيم على أنقاض كربلا العريقة في القدم والشهرة في التاريخ ، ويدعى الثاني (كربلا الجديدة) وهو الذي خطط في عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا في عام ١٢٨٥ هـ (١٨٦٧ م) .

وبني - بعد عام ١٣٠٠ للهجرة - على طراز يختلف عن الطراز القديم . الا انه تهدم معظمه - مع الأسف - حيث أقيم على أرض سبخة نزل فيها المياه ، فتأكل أسس الجدران .

١٥٤ _____ حسين علي محفوظ

ولهذا السبب ؛ يحيط بكربلا - إلى اليوم - مستنقع كبير هو علة وجود أمراض مزمنة في هذه المدينة ، تجعل الأهلين صفر الوجوه ، هزيلي الأجسام ، معرضين للأمراض المختلفة .

ومع ان الحكومة لا تزال تبذل همماً محمودة في سبيل دفنه ، فان خطره لا يزال يفعل فعله في الأهلين (١) .

ويوم كربلا - في كل عام - الألوف المؤلفة من الزائرين لضريح سيد الشهداء الحسين بن علي (عليهما السلام) ؛ ولا سيما في أيام الزيارات المخصوصة . فان معدل عدد الزوار لها يبلغ ٢٥٠,٠٠٠ نسمة في كل موسم .

وقد هجم الوهابيون على عهد الدولة العثمانية على هذه المدينة المقدسة في عام ١٢١٦ للهجرة (١٨٠١ م) وهدوا أركان الحضرتين (حضرة الحسين وحضرة العباس) ونهبوا ما في الحضرة الحسينية من نفائس ومجوهرات ثمينة . وتدل التقارير على ان كنوز هذه الحضرة من أثمان الكنوز رغم ما سلب منها .

ولما قتل (ع) في العاشر من محرم الحرام لسنة ٦١ هجرية (٦٨٠ م) دفن في الحائر - الذي أشرنا إليها آنفاً - وضريحه - اليوم - مقام وسط صحن عظيم تتلأأ فيه القبة مع مأذنتيها المغشائين بالذهب الابريز فتشع هبة وجلالا .

وقد أنفق على هذه التغطية السلطان ناصر الدين شاه في عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م كما هو مكتوب على حائط القبة بسطر من ذهب . ويبلغ ارتفاع

(١) لقد زالت اليوم آثار هذا النيز وتحول قسم من موقعه الى دور عامرة الخليلي

كربلاء في التاريخ ١٥٥

القبة من أسفلها إلى أعلاها ١٥ متراً (١) .

ولما كانت حضرة الحسين (ع) وما يحيط بها لا تختلف عن حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إلا من حيث المساحة وعتب الغرض في الصحن ، ولما كنا وصفنا حضرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وصحنه وقتبه وما شاكل ذلك (٢) ؛ فقد اقتصرنا في هذا البحث على وصف ضريح الحسين (ع) فقط .

ضريح الحسين ؛ عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان أحدهما من الفولاذ الثمين - وهو الداخلي - والآخر من الفضة الناصعة البياض - وهو الخارجي - .

وتعلو الضريح الأواني الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة . وفي كل ركن من أركانه رمانة من الذهب الخالص ، يبلغ قطرها قراب النصف متر . ويتصل بهذا المشبك الخارجي مشبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزاياه ، ولا يوجد أي حاجز بينهما إلا أنه يقصر بمتر واحد من كل من جانبيه . وقد رقد تحته علي بن الحسين ؛ الذي استشهد - مع أبيه في يوم واحد - قدفن إلى جنبه (ع) .

وأمام هذا المشبك ساحة مقدسة تضم مراقده الشهداء الذين استشهدوا مع الإمام .

وفي زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط . ويعرف

(١) المعروف أن ارتفاع القبة هو ٣٥ متراً

الخليلي

(٢) دليل المملكة العراقية ص ٩٥٣ . وتراجع موسوعة العتبات المقدسة قسم النجف ج ١ ص

١٥٦ ————— حسين علي محفوظ

— أيضاً — بمراقده الشهداء ، الذين استبسلوا في حومة الرغى معه (ع) .

وفي صحن الحسين مثذنة منفردة ؛ يقال لها (منارة العبد) وهي مغشاة بالقاشاني الملون . ويروى عن سبب انشائها في هذا المحل المنزل ؛ انه زنجياً كان يسكن الصحن ، ويكتسب كسباً ضعيفاً ، فاقتصد على نفسه حتى جمع ثروة مكنته من تشييد هذا الأثر الخالد له (١) .

وعلى مسافة قصيرة من صحن الحسين ؛ يشاهد ضريح العباس بن علي ابن ابي طالب المقتول مع أخيه الحسين في يوم واحد — وهو — أيضاً — وسط صحن كبير ، لا يقل عن بقية صحن الأئمة من حيث هندسة البناء وضخامته ، وكثرة المجوهرات والمرصعات التي اعتاد المسلمون ان يزینوا بها المراقده المقدسة .

وعلى بعد ثلاثة أميال من غربى كربلا ، مرقد الحر بن يزيد الرياحي الزعيم العراقي ، الذي جاهد مع الحسين — ضد جيش يزيد بن معاوية . وقبره بديع ؛ تعلوه قبة من القاشاني الملون . ويزوره أكثر الذين يزورون كربلا . كما يقصده أكثر الأهلين ؛ للزفة والرفاهة لما يحيط به من البساتين والجنان

وعلى باب قبة القبر كتابة نصها : « قد عمر هذا المكان بهمة أفا حسين خان شجاع السلطان في محرم ١٤ سنة ١٣٢٥ هجرية » .

وكان أول من أظهر وشاد هذا القبر الشاه اسماعيل الصفوي ، يوم

(١) المعروف ان هذه المنارة قد بناها مرجان في اثناء احتضانه بكربلا — يراجع بهذا دائرة المعارف الاسلامية ، على ان الروايات عن هذه المنارة كثيرة .
الخطلي

كربلاء في التواريخ ١٥٧

دخل بغداد ، وحكمها .

وعلى مسافة سبعة أميال من شرقي كربلا - بينها وبين المسيب - تشاهد
قبة مزينة بالقاشاني - أيضاً - تلك هي قبة عون بن عبد الله بن جعفر الطيار ؛
وأمه زينب بنت علي ، وقيل الخوصاء . يقصده الزائرون لكربلا . في أكثر
لأوقات الزيارة . (١)

(١) دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥ - ١٩٣٦ المالية ص ٩٤٤ - ٩٤٩ .

الدليل العراقي الرسمي

لسنة ١٩٣٦

مرقد الحسين بن علي (ع) : يقوم ضريح الحسين (عليه السلام) وسط
صحن عظيم في كربلاء ؛ تتلأأ فيه القبة الذهبية ، مع مثذنتيها الابريزيتين .
أما الصحن ؛ فمن أفخم الجوامع في العراق .

مرقد العباس بن علي (ع) : وهو - أيضاً - وسط صحن عظيم في
كربلاء ، لا يقل عن بقية صحنون الأئمة - عليهم السلام - من حيث هندسة
البناء ، وضخامته ، وقبهِ ، ومآذنه ، ومجوهراته ، ومرصعاته .

مرقد الامام عون : يقع على بعد ثمانية أميال ، من شرقي مدينة كربلاء (١) .

الدليل العام لتسجيل النفوس العام

لسنة ١٩٥٧

مدينة كربلاء (مركز لواء كربلاء وناحية الحسينية) .

(١) الدليل العراقي الرسمي ص ٦٨٨ .

كربلاء في التاريخ ١٥٩

الحدود الإدارية :

- شرقاً : نهر بلبيل ، ونهر فرحه ، ومقاطعة ٤٣ الحسينية .
- غرباً : مقاطعة ٢٢ الحسينية ، ومقاطعة ١٥ الحسينية .
- شمالاً : مقاطعة ٧ السلالة ، ومقاطعة ١٩ الحسينية .
- جنوباً : نهاية حدود مقاطعة ٦١ الجزيرة ، وشابات المطار الجنوبية (١) .

الدليل الجغرافي العراقي

مدينة كربلاء (مركز اللواء) نفوسها (٦٠٨٠٤) نسمة . تقع على الضفة اليسرى لحدول الحسينية على مسافة ١٠٤ كيلومترات من بغداد ؛ تقطع بالسيارة على جادة مبلطة . وطريقها يتفرع من طريق بغداد - الحلة العام ، فيتجه إلى المسيب ، حيث يعبر نهر الفرات ، على جسر حديدية . وقبل وصوله المدينة بقليل يدخل منطقة البساتين ، فيسير محاذياً لحدول الحسينية ، حتى يدخل المدينة .

ومدينة كربلاء ؛ مدينة إسلامية ، مقدسة ، عريقة في القدم . تحيط بها البساتين الكثيفة ؛ ذات أشجار الفواكه والنخيل .

كان قد وسعها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) ، ثم خططت من جديد ، في ولاية مدحت باشا عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) . وبعد الحرب العالمية الأولى - أنشئت فيها مباني عصرية ، وشوارع عريضة ،

١٦٠ ————— حسين علي محفوظ

وجففت اراضيها بانشاء مبزل لسحب المياه .

وفي كربلاء ؛ مرقد الحسين (ع) الذي استشهد في اليوم العاشر من المحرم ، عام ٦١ هـ .

والضريح مقام في وسط صحن واسع ، فوقه قبة مغطاة بالذهب ؛ ارتفاعها ٣٥ متراً . وفي ركنيها مئذنتان مطليتان بالذهب — أيضاً — .

وقد جدد السلطان سليمان القانوني القبة مع مئذنتيها أثناء زيارته كربلاء عام ٩٤١ هـ .

والى جانب مرقد الحسين (ع) دفن ابنه علي — الذي قتل معه .

وعلى مسافة قليلة من غربي الصحن الحسيني مرقد أخيه العباس . وفوقه قبة من القاشاني الملون . وفي جانبيها مئذنتان مطليتان بالذهب . وعلى بعد سبعة كيلومترات من كربلاء غرباً — يقع قبر الحر بن يزيد ، وكان قد استشهد مع الحسين (ع) ودفن حيث قتل .

والى الشرق من المدينة — على بعد ١٢ كيلومتراً منها — يقع مرقد عون ابن عبد الله بن جعفر ؛ وامه زينب بنت علي (ع) . وكان عون قد قتل في هذا الموقع فدفن فيه . (١)

(١) الدليل الجغرافي العراقي — لأحمد سومة — طبعة بغداد ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م ص ٦٠ .

أهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - وسائل الشيعة .
- ٣ - كامل الزيارات .
- ٤ - بحار الأنوار .
- ٥ - تاريخ الرسل والملوك .
- ٦ - المنتخب .
- ٧ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم .
- ٨ - الكامل في التاريخ .
- ٩ - الجامع المختصر .
- ١٠ - مختصر أخبار الخلفاء .
- ١١ - الحوادث الجامعة .
- ١٢ - منتخب المختار .
- ١٣ - الفخري لابن الطقطقي .
- ١٤ - تاريخ العراق بين احتلالين .
- ١٥ - فضولي البغدادي .

- ١٦ — سمير اليايلى .
- ١٧ — الثمار الشهية في جغرافية المملكة العثمانية .
- ١٨ — جغرافية العراق الثانوية .
- ١٩ — كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات .
- ٢٠ — رحلة ابن بطوطة .
- ٢١ — نزهة المجلس ومنية الاديب الانيس .
- ٢٢ — كتاب نشق الأزهار في عجائب الأمصار .
- ٢٣ — رحلة المنشيء البغدادي .
- ٢٤ — رحلات عبد الوهاب عزام .
- ٢٥ — دليل المملكة العراقية .
- ٢٦ — الدليل العراقي الرسمي .
- ٢٧ — الدليل العام لتسجيل النفوس .
- ٢٨ — الدليل الجغرافي العراقي .

مقتطفات عبارة

مما ورد في المظان التاريخية
والأدبية العامة عن كربلاء

كتبه

الدكتور صفاء خلوصي

خريج جامعة لندن
والأستاذ بكلية التربية
من جامعة بغداد

كلمة

لم تشتهر مدينة في تاريخ العتبات المقدسة شهرة كربلاء فهي خالدة في تاريخنا السياسي والأدبي ، وهي الركيزة التي تدور حولها طائفة من القصص والقصائد التي تعرف « بأدب الطف » وتبدأ القصة بسنة ٦٠ هـ عندما مات معاوية وتولى ابنه يزيد الحكم فأصبحت الخلافة (الشورية) ملكاً (كسروياً) وهنا ظهرت المعارضة وكان على رأسها الحسين بن علي الذي ابى ان يرضخ لغير الحق ، والعدل ، وشرعة الاسلام ، وشايعة في ذلك فريق من اهل الورع الذين اعتبروا البيعة ليزيد انتهاكاً لحرمات الدين الحنيف (١) ، فلما طوّل الحسين بمبايعة يزيد اخذ سمته الى مكة وكان هذا ايذاناً منه برفض البيعة والبدء بصراع عنيف ضد الجور والخروج على النهج اللائق للاسلام ، وكان معظم أنصار الحسين في الكوفة فكاتبوه وتوسلوا اليه لاقبلهم الى الكوفة لمبايعته واسترداد حق ابيه السليب ففعل ، ولكنه ما كاد يقترب من الكوفة حتى شعر بصلق ما قاله الفرزدق : بأن قلوبهم معه ، ولكن سيوفهم مع بني أمية ، وكانت النتيجة أن بعث عبيد الله بن زياد عامل الامويين على

(١) المسعودي : ٥٠/٢ = زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي (مراجعة الدكتور حسين مؤنس ١٢٣/٤) .

الكوفة يومذاك بجند لمحاربته وانتهى القتال غير المتكافئ بمصرع الحسين في العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ ؛ كما قد يرى القارئ في مكان آخر من هذا الجزء ؛ ومن يومها غدت كربلاء نقطة تحول عظيمة في تاريخ الاسلام والمسلمين ؛ فلنقتطف إذن بعض ما تذكره المصادر والمظان على سبيل النموذج عن هذه المدينة التي يدل جزء اسمها على انها كانت كرباً ، وبلاءً بحق لا مرية فيه .

معجم البلدان

يقول ياقوت الحموي - المتوفى سنة ٦٢٦ في «معجم البلدان» (١) ،
مادة «كربلاء» :

(كربلاء) بالمد وهو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله
عنه في طرف البرية عند الكوفة... (٢)

كربلاء في كتاب

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

للمقدسي المعروف بالبشاري (٣)

ورد ذكر كربلاء في هذا الكتاب وهو من تراث القرن الرابع للهجرة -
العاشر للميلاد (اذ ولد المقدسي سنة ٣٣٥ هـ - ٩٤٦ م (٤) ووضع كتابه

(١) الطبعة الأولى ١٣٢٤ - ١٩٠٦ المجلد ٧ ص ٢٢٩ .

(٢) الى نهاية ما ورد . وقد اثبت كله في محل آخر من هذا الجزء .

(٣) طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٦ م (الطبعة الثانية) طبعة ايم . جي . دي غويه .

(٤) راجع « تاريخ الأدب العباسي » لرينولد نكلسن ، النسخة العربية (بغداد ، ١٩٦٦) ص

١٦٨ صفاء خلوصي

هذا سنة ٣٧٥ هـ (١) وهو حين يذكر المشاهد في العراق يقول « والمشاهد به كثيرة بكوثا ولد ابراهيم، وأوقدت ناره، وبالكوفة بنى نوح سفينته وفار تنوره، وثم آثارات سيدنا عليّ وقبره؛ وقبر سيدنا الحسين (٢) رضي الله تعالى عنهما ب كربلا. خلف قصر ابن هيرة.

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ، ج ٢ ص ٣٧٩ .
(٢) في النص الأصلي « ومقتله » وقد حذفنا اللفظة الأخيرة لتنسجم الجملة مع ما أورده دي هـ ،
الهامش من نسخة خطية أخرى ورد فيها ذكر كربلا .

كربلا في كتب التاريخ العام

المسعودي وكربلاء (١)

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : ابن تريد يا ابن رسول الله ؟ قال : اريد هذا المصير ، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره ، ثم قال : ارجع فاني لم أدع خلفي خيراً ارجوه لك ، فهم بالرجوع فقال له اخوة مسلم : « والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا او نقتل كلنا ، فقال الحسين : لا خير في الحياة بعدكم ، ثم سار حتى لقي خيل عبيد الله بن زياد عليها عمرو بن سعد بن ابي وقاص ، فعدل إلى كربلاء — وهو في مقدار خمسمائة فارس من اهل بيته وأصحابه نحو مائة رجل .

* * *

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء وحمل رأسه ابن زياد إلى يزيد خرجت بنت عقيل بن أبي طالب في نساء من قومها حواسر حائرات لما قد ورد عليهن من قتل السادات ، وهي تقول (من البسيط) :

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر (طبعة دار الأندلس) ج ٣ ص ٦٠ - ٦١ .

ماذا تقولون إن قال النبي لكم : ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم ؟
بعترقي وبأهلي بعد مُفْتَقِدِي نصف أسارى ونصف ضُرَجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي (١)

• • •

وتتبع (المختار) قتلة الحسين فقتلهم : قتل عمرو (٢) بن سعد بن ابي
وقاص الزهري ، وهو الذي تولى حرب الحسين يوم كربلاء وقتله ومن
معه ، فزاد ميل أهل الكوفة إليه ومحبتهم له (٣) .

• • •

وكان جميع من حضر مقتل الحسين من العساكر وحاربه وتولى قتله
من أهل الكوفة خاصة ، لم يحضرهم شامي ، وكان جميع من قتل مع الحسين
في يوم عاشوراء بكربلاء سبعة وثمانين ، منهم ابنه علي بن الحسين الأكبر (٤) .

ووردت «كربلاء» ايضاً في المسعودي باسم «الطف» فكان بما قاله :
وفي قتيل «الطف» يقول سليمان بن قتة يرثيه على ما ذكره الزبير بن بكار
في كتاب «انساب قريش» من ابيات (من الطويل) :

فان قتيل الطف من آل هاشم اذلّ رقاباً من قريش فذلت

وذكر «الطفوف» في حديثه عن الفرات اذ قال :

واما الفرات فمبلوؤه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية ... ثم ينتهي الى

(١) المسعودي : ٦٨/٣ .

(٢) المعروف انه «عمر» وليس «عمرو»

(٣) المسعودي ٧٤/٣ - ٧٥ .

(٤) المسعودي ٦١-٣ .

مقطعات حارة ١٢١

بالس وعمر بصفتين موضع حرب اهل العراق وأهل الشام ... وينتهي الفرات إلى بلاد سوري ، وقصر ابن هُبَيْرَة ، والكوفة ، والجامعين وأحمد آباد ، والفرس ، والطفوف (١) .

ويقول في فصل خاص : « ذكر ملوك الطوائف » : « اول ملوك الدنيا الاسكيا » . وكانوا من ملوك الطوائف ، وكانوا بأرض العراق مما يلي قصر ابن هيرة وسقني الفرات والجامعين وسورا (٢) وأحمد آباد والفرس إلى خبا وتل فحار والطفوف وسائر ذلك الصقع (٣) .

كربلاء في « التنبيه والاشراف » للمسعودي (٤) (ص ٢٦٣)

ودفن (الحسين بن علي) بكربلاء من ارض العراق وله سبع وخمسون سنة ، وقتل معه من ولد ابيه ستة وهم العباس وجعفر وعثمان ومحمد الأصغر وعبد الله وابو بكر .

ابن الاثير والطف

واورد ابن الاثير لفظة « الطف » في بيت من الايات التي نقلها في مجموعة حوادث سنة ٥٦١ التي نقلها بالحرف الواحد من تاريخ الطبري والبيت من الطويل :

(١) المسعودي ١١٨/١ .

(٢) لاحظ ان المسعودي يرسم النقطة تارة بالالف المقصورة : « سوري » وأخرى بالالف المسبوقة : « سورا » .

(٣) المسعودي : ٢٥٧/١ - ٢٥٨ .

(٤) طبعة عبد الله اسماعيل الصاوي القاهرة ، ١٣٥٧ - ١٩٣٨ م .

١٧٢ صفاء غلوصي

لهام يجنب الطفّ ادنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوعل (١)

كربلاء في (الفخري) لابن الطقطقي

ولعل أكثر المؤرخين استفظاعاً لمأساة الحسين هو محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي فقد كتب في كتابه « الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية » (٢) بأسلوب قوي عنيف جوانب من هذه الفاجعة فقال :

« هذه القضية لا احب بسط القول فيها استعظاماً لها واستفظاعاً ، فانها قضية لم يمر في الاسلام اعظم فحشاً منها ؛ ولعمري ان قتل امير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى ؛ ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبي او التمثيل ما تقشعر له الجلود ، واكتفيت ايضاً عن بسط القول فيها بشهرتها فانها اشهر الطامات » ثم يسرد القصة بإيجاز ولم يذكر كربلاء بل اكتفى بالقول : « فلما قرب من الكوفة علم بالحال ولقيه ناس فأخبروه بالخبر (اي مصرع مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة) وحذرّوه فلم يرجع ؛ وصمم على الوصول إلى الكوفة لامر هو اعلم به من الناس » . ١٠٥

ابن عماد الحنبلي وكربلاء

واورد اخبار كربلاء المؤرخ الفقيه ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ في كتابه « شذرات الذهب في اخبار من ذهب » (٣)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢ - ٢٠١ .

(٢) مراجعة وتنقيح محمد عوض ابراهيم وعلي الجارم (القاهرة ، ١٩٢٣) ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) (طبعة مكتبة القدسي ١٣٥٠ هـ) ج ١ ص ٦٦ - ٦٩ .

مقطعات عابرة ١٧٢

في اخبار سنة احدى وستين اذ قال : « استشهد فيها في يوم عاشوراء ابو عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب سبط رسول الله (ص) وريحانته بكربلاء عن ست وخمسين سنة ومن اسباب ذلك انه كان قد ابى من البيعة ليزيد بايع له ابوه الناس رابع اربعة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن ابن ابي بكر فلما مات معاوية جاءت كتب أهل العراق إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم فصار بجميع أهله حتى بلغ كربلاء موضعاً بقرب الكوفة فعرض له عبيد الله بن زياد فقتلوه ... واتفقوا على قتله يوم عاشوراء قيل يوم الجمعة وقيل السبت وقيل الأحد بموضع يقال له الطفّ وقتل معه إثنان وثمانون رجلاً » .

كربلاء في التوفيقات الالهامية

تأليف محمد مختار (١)

جاء في محرم (الاربعاء) ٦١ هـ الموافق لسنة ٣٩٧ قبطية وسنة ٦٨٠ ميلادية (١٠ تشرين الأول) ما يلي :

« في ١٠ منه (اي محرم) كانت واقعة كربلاء قتل فيها سيدنا الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ، قتله الشمر بن ذي الجوشن وقتل معه من اخوته لاييه جعفر وعتيق ومحمد والعباس الأكبر بنو علي وابن الحسين الأكبر المسمى علياً وهو غير علي زين العابدين وغيرهم » .

كربلاء في المراجع العراقية المتأخرة

دوحة الوزراء

للشيخ رسول حاوي الكركوكلي (١)

في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة (١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م) ظهر وباء الطاعون في مدينة بغداد ، وبدأ ينتشر ويسري إلى ضواحيها واطرافها ، مما اضطر الوزير سليمان باشا إلى الهروب نحو مدينة الخالص والمكوث فيها ريثما ينجلي كابوس الطاعون عن بغداد .

وفي هذه الاثناء ورد اليه كتاب من حمود الثامر شيخ عشائر المنتفك يخبره ان (سعود بن عبد العزيز) وجموعاً غفيرة من الوهابيين قد انحدروا نحو العراق . فأصدر امره الى علي باشا بالسفر لصد غاراتهم ، ونزولاً على امر الوزير تحرك الموما اليه الى الليرة ، وانتظر هناك ريثما التحقت به القوات المطلوبة كما التحقت به بعض العشائر .

وبينما كان يزعم مواصلة السفر وردت الأنباء بأن الوهابيين هجموا

(١) نقله عن التركية الاستاذ موسى كاظم نورس ، دار الكاتب العربي ، بيروت .

مقطعات عابرة ١٧٥

على كربلاء واستولوا على مرافقتها ونهبوها وقتلوا منها حوالي الألف نفس (١) ، فأوفد علي باشا محمد بك الشاوي إلى الوزير ليخبره بهذه الحادثة ، ثم سافر مسرعاً نحو كربلاء على أمل أن يظفر بالوهابيين وينتقم منهم ، وينقذ البلدة من قبضتهم .

إلا أن الاخبار وردته وهو حيثثد في الخلة بأن الوهابيين بعد ما نهبوا وقتلوا خرجوا قبيل العصر نحو الاخضر ، فتوقف علي باشا في الخلة لاسباب اضطرته الى هذا التوقف ، ولعدم بقاء ما يدعو للسفر إلى كربلاء بعد هروب الوهابيين منها .

* * *

ومن جهة أخرى وردت الاخبار بأن الطاعون اخذ يفتك بسكان بغداد فتكاً ذريعاً ... وهذه الاخبار المحزنة ، قد اقلقت الحملة واقعدتها عن تنفيذ مهمتها ، فاكتفى علي باشا بارسال بعض القوات إلى كربلاء من باب الاحتياط ، وقد التحق بهذه القوات متصرف بابان ابراهيم باشا واتباعه أيضاً .

هذا وقد نقلوا خزينة النجف الاشرف خوفاً عليها من غارات الوهابيين وضموها إلى خزينة موسى الكاظم رضي الله عنه .

* * *

وبعد مكوث علي باشا في الهندية حوالي الشهرين ونصف الشهر وردته التعليمات بوجوب تقسيم القوات التي تحت ادارته وقيادته الى عدة اقسام ، يقيم قسم منها في ذي الكفل ، وقسم في كربلاء ، وقسم في الخلة وان يتخذوا

(١) هذه الرواية ، تخالف رواية نكلسن الذي ذكر خمسة آلاف شخص بدلا من ألف .

التحصينات في هذه الامكنة ثم يعود إلى بغداد ، وقد فعل ما أمر به . (١)

حديقة الزوراء

السويدي

ويحتل ذكر المراقد الشريفة ، وبينها كربلاء إلى جانب مكانها في الكتب القديمة مكاناً في كتب تاريخ العراق في العصور المتأخرة ومن ذلك ما أورده عبد الرحمن السويدي (١٧٢٢ - ١٨٠٥ م) في كتاب : « حديقة الزوراء في سيرة الوزراء » (٢) اذ قال في فصل بيان زيارات الوالي حسن باشا لمشاهد الصلحاء ومراقد الشهداء الاولياء : « وفي شوال هذه السنة (١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م) رفع اللواء بالمسير إلى كربلاء لزيارة سيد الشهداء ، وإمام الصلحاء ، وقرعة عين اهل السنة ، وسيد شباب اهل الجنة ، ابي عبد الله الحسين ، رضي الله عنه ، والى زيارة الليث الجسور والشجاع الغيور ، قاطع الانفاس ، من كل ضال كالخناس ، أبي الفضل العباس ، فدخل كربلاء وزار أصحاب العباء واطلقت المباخر ، وظهرت المفآخر ، فأجزل على خدامها ، واجمل في فقرائها ، ودعا بحصول المراد ، وزوال الانكاد ، ودُعي له بما يروم ، وأنجح سعيه بالقلوم ، وبقي يوماً واحداً لضيق القصبة باحزابه وأعوانه وأصحابه (٣) ، ثم ارتحل قاصداً ارض الغري والنجف ، هـ .

وفي هذه السنة (١١٥٣ هـ) ارسل نادر شاه .. مع رسول من خافانه

(١) دوحة الوزراء ص ٢١٦ - ٢١٨ .

(٢) بغداد ، ١٩٦٢ ، ج ١ ص ٢٥ من النص .

(٣) ييلو ان ملينة كربلاء في بداية القرن الثامن عشر كانت صغيرة بدليل انها لم تتسع لحاشية حسن باشا وأهوانه اللهم إلا إذا كان معه عدد كبير من الجند ضاقت بهم المدينة وفي مثل هذه الحال لا يدل ما أورده السويدي على صغر كربلاء وانما على كثرة جند الوالي ، وهو الاحتمال الأرجح .

مقطعات عابرة ١٧٧

وسفير من أصحابه واغواته ... الى سياننا امير المؤمنين علي بن ابي طالب وولده الحسين وإلى موسى الكاظم رضي الله عنهم دراهم لاتعد ولا تُحصى (١)

وفي السنة الرابعة والخمسين بعد المائة والالف وعِرتِ المسالك وخوفاً منها السالك وذلك ان رجالاً تغصب من المارة أنقأهم وتأخذ أحماهم ولم يعرفوهم من اي نخيلة فيشكونهم إلى الوزير فيعاملهم بسوء الكيالة ولما كثر هذا الاختلال ودامت الطرق على هذا الحال أخير الوزير بذلك فأرسل عيوناً وفرقهم في البوادي والقرى كي يستخبروا عن أولئك الارجاس فيريح بابادتهم الوري فبعد أيام قلائل جاءت العيون واخبروه بأن هؤلاء الذين يقطعون السبل من عشائر متفرقة وقبائل غير متفقة قد حالفوا اهل القرى على ان يُعطوهم مما ينهبونه ويواسوهم فيما يأخذونه على ان يؤوهم نهراً ولا يذيعوا لهم اسراراً فحين سمع الدستور الغيور الشجاع الجسور بفعل أهل المخاليف والضيايع من ايوائهم اهل الفساد ومشاركتهم لهم في نهب المتاع ارسل سرية سرية وكتيبة عنترية مؤمراً عليها كتخذه سليمان باشا الى أولئك الارجاس على شرط ان يخذلوا منهم الانفاس ويأخذوا الاموال ويتركوهم في اسوأ حال ، ولما خرج العسكر من بغداد فرقه أمير السرية في الاغوار والانجاد وارسل كل فرقة منهم الى قرية واوصى كلا منهم ان يرى في القتل والنهب رأيه فنهبوا جميع القرى التي في الجانب الغربي ما عدا الحلة والغري وكربلاء ، ولكنهم نهبوا ما حولها من أخبية الاعراب (٢) .

(١) ص ٣١١ من مخطوطة « حليقة الزوراء » المحفوظة في المتحف البريطاني .

(٢) ص ٣٢٠ - ٣٢٠ من « حليقة الزوراء في سيرة الوزراء » مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني بلندن .

ويبدو ان عبد الله السويدي والد عبد الرحمن السويدي مؤلف كتاب « حديقة الزوراء » أصبح سنة ١١٤٥ هـ بأمر من الوالي أحمد باشا « مفتياً في قصبيّ المشهدين الشريفين مشهد الامام عليّ بن أبي طالب ومشهد ولده الحسين رضي الله عنهما (١) » ويروي كيف ان حصار نادر شاه لمدينة بغداد لم يُبقَ عندهم غير ثلاث وزنات من الحنطة ويمضي ليقول : « فعملنا من تلك الحنطة متاعاً واعطينا الباقي لبعض أقاربنا وخرجنا إلى المرقدين المذكورين ، ثم إنا لم نزل هناك مسرورين بقرب اولئك الأكابر ، مغبوطين باولي الشرف الظاهر ، فيينا نحن في السرور والفرح ، وزوال الشرور والترح وإذا بالخبر قد جاءنا من بغداد بأن الخارججي الخبيث قد عاد ، فهرب والذي مع عسكر حملة ابن دُبَيْسٍ ومع متولي قصبة الحسين الى الموصل على طريق شفائه واودعني واودع سائر أهلي واقاربني عند بعض السادة ... ولساداتهم شيمة حسنة واخلاق مستحسنة . » (٢)

كربلا

في موجز تاريخ البلدان العراقية (٣)

وخلاصة ما ورد فيه عنها :

ان لواء كربلاء من بين الالوية العراقية التي تمتاز بقلسيتهما وهو منحصر بين الوية الحلة والدليم والديوانية ... وقاعدة لواء كربلا اليوم مدينة كربلاء المشهورة في التاريخين : التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، وهي بلدة عرفت

(١) ص ٢٤٨ .

(٢) ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٣) لعبد الرزاق الحسيني ، مطبعة العرفان بصيدا ، ١٣٥١ هـ ١٩٣٠ م (الطبعة الثانية) ص ٦٠ - ٧٥ .

بهذا الاسم قبل الاسلام بزمن بعيد ، بل الظاهر من الاخبار الدينية المتواترة ان هذا الاسم لهذه البقعة يرتقي إلى زمن آدم ابي البشر كما تؤيد ذلك اخبار الطوفان وغيرها ... ويحتمل ان تكون لفظة كربلا منحوتة من «كوربابل» العربية بمعنى مجموعة قرى بابلية كثيرة : منها نينوى القريبة من أراضي سدة الهندية ومنها الغاضرية المشهورة بأراضي الحسينية او كربلته - بتفخيم اللام - وهي القريبة من مدينة كربلا شرقاً وجنوباً ؛ ثم كربلا او عقر بابل وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية وبأطلالها اثار مهمة ثم النواويس التي كانت مقبرة عامة قبل الفتح الاسلامي ثم الحير ويقال لها الحاير ، وفي الروايات الروحية التخيرية بين القصر والتمام ان الحائر اسم لموضع فيه قبر الحسين (ع) وقد اختلف لسانها في تحديده ، وهي اليوم موضع قبر الحسين (ع) الى رواق بقعته الشريفة او الى حدود الصحن الشريف وغير ذلك من القرى الكثيرة (١) .

ويرى بعضهم ان اسم كربلا مركب من «كرب» اي حرم و (ايل) اي «الله» ومعناها «حرم الله» وهو لفظ آشوري يدل على ان هناك منسكاً يسمى «حرم الله» وهذا وهم ظاهر .

وقرأت في رسالة مخطوطة للسيد، الصلر احتمال كون كلمة «كربلا» مشتقة من الكربة بمعنى الرخاوة ولما كانت ارض هذا الموضع رخوة سميت كربلا او من النقاوة من كربت الحنطة اذا هزيتها ونقيتها ولما كانت هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل سميت كربلا او ان اكربل نبت الحماض كان كثيراً نبتة في هذه الارض فسميت به والاظهر من هذه الوجوه الثاني

والاوسط « هـ .

وقد روي ان الحسين (ع) لما انتهى إلى كربلا واحاطت به خيل عبد الله ابن زياد قال : « ما اسم تلك القرية وأشار الى العقر فقيل له اسمها العقر فقال : نعوذ بالله من العقر ، فما اسم هذه الارض التي نحن فيها قالوا : كربلا فقال (ع) ارض كرب وبلاء واراد الخروج منها فمنع حتى كان ما كان (١) وقد سبق ان نزلها ابوه الامام علي بن ابي طالب (ع) في سفره إلى حرب صفين وشوهد فيها متأملاً في ما بها من أطلال وآثار فستل عن السبب فقال ان لهذه الأرض شأنًا عظيمًا فها هنا محط ركبهم وها هنا مهراق دماهم ، فستل في ذلك فقال : « ثقل لآل محمد ينزلون ههنا » (٢) .

اما كربلا اليوم فتبعد عن بغداد ٧٤ ميلاً وتربطها بها سكة حديد ثابتة وهي مدينة واسعة على ضفة ترعة « الحسينية » اليسرى يحيط بها شجر النخيل الوارف وبساتين أشجار الفواكه الباسقة المختلفة الصنوف .

وتقسم كربلا من حيث العمران إلى قسمين يسمى الاول « كربلا القديمة » وهو الذي اقيم على انقاض كربلا العريقة في القدم والشهرة في التاريخ ويدعى الثاني « كربلا الجديدة » وهو الذي خطط في عهد ولاية المصلح الكبير مدحت باشا في عام ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م وبني بعد عام ١٣٠٠ هـ على طراز يختلف عن الطراز القديم الا انه تهدم معظمه - مع الاسف - حيث اقيم على ارض سبخة تنز فيها المياه فتأكل اسس الجدران ولهذا السبب يحيط بكربلا إلى اليوم مستنقع كبير ... ويبلغ معدل عدد الزوار لها ٢٥٠,٠٠٠

(١) ياقوت الرومي ٦-١٩٥ .

(٢) الدينوري الأخبار الطوال ، ص ٢٥٠ .

نسمة في كل موسم .

وقد هجم الوهابيون على هذه المدينة المقدسة عام ١٢١٦ هـ - ١٨٠١ م وهدموا اركان الحضرتين (حضرة الحسين وحضرة العباس) ونهبوا ما في الحضرة الحسينية من نفائس ومجوهرات ثمينة ، وتدل التقارير على ان كنوز هذه الحضرة من ائمن الكنوز رغم ما سلبه الغزاة منها . .

وضريح الحسين اليوم مقام وسط صحن عظيم تتلأأ فيه القبة مع مثلثيتها المغشأتين بالذهب الابريز فتشع هبة وجلالاً وقد انفتق على هذه التغطية السلطان ناصر الدين شاه في عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٦ م كما هو مكتوب على حائط القبة بسطر من ذهب ويبلغ ارتفاع القبة من أسفلها الى أعلاها ١٥ متراً .

ويرتقي تاريخ تأسيس الحضرة الى ايام قتل الحسين (ع) فقد جاء في كامل الزيارة لابن قولويه - وهو من الكتب الخطية النفيسة - ما نصه : « ان الذين دفنوا الحسين اقاموا رسماً لقبره ونصبوا علماً له وبناء لا يُكسر اثره ؛ ولعل المراد بقوله : ان الذين دفنوه بنو أسد ، وقد خرب هذه البناية هارون الرشيد بدليل ما جاء في كتاب « تسلية الخالس وزينة المجالس » لمحمد بن أبي طالب - وهو من الكتب الخطية - وهذا نصه : « وكان قد بني عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بني امية ، وفي زمن بني العباس ، لإعلى زمن الرشيد ، فانه خربه وقطع السندرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر ثم أعيد على زمن المأمون وغيره الى ان حكم المتوكل فأمر بتخريب قبره الحسين وقبور أصحابه وكرب مواضعها وأجرى الماء عليها إلى ان قتل المتوكل وقام بالامر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل ابي طالب وأحسن اليهم وفرق فيهم الأموال واعاد القبور في ايامه » وقد تهدمت بناية المنتصر هذه في عام ٢٧٣ هـ - ٨٨٦ م كما في آمال الاخطار للسيد ابن طاووس

١٨٢ صفاء خلوصي

فقام صاحب طبرستان محمد بن زيد الراعي وجدد العمارة خلال المدة التي حكم فيها المعتضد وهي من عام ٢٧٩ الى ٢٨٩ هـ كما في (فرحة الغري) ثم جدد البناء عضد الدولة البويهى فاحترقت عمارته في ١٤ ربيع الاول من سنة ٤٠٧ هـ - ١٠١٦ م فقام وزير الدولة الديلمي الحسن بن اسماعيل وجددها اما العمارة الموجودة الآن فقد شيدت في عام ٧٦٧ هـ - ١٣٦٥ م كما هو مسطور فوق المحراب مما يلي الرأس فراجع .

وضريح الحسين عبارة عن مصطبة من الخشب المرصع بالعاج يعلوها مشبكان احدهما من الفولاذ الثمين وهو الداخلي والآخر من الفضة الناصعة البياض وهو الخارجي وتعلو الضريح الاواني الذهبية المرصعة بالاحجار الكريمة وفي كل ركن من اركانه رمانة من الذهب الخالص يبلغ قطرها قرابة النصف متر .

ويتصل بهذا المشبك الخارجي ، مشبك آخر لا يختلف عنه بمزية من مزاياه ولا يوجد أي حاجز بينهما الا انه يقصر بتمر واحد من كل جانبيه . وقد رقد تحته علي بن الحسين الذي استشهد مع ابيه في يوم واحد فدفن الى جنبه (ع) .

وامام هذا المشبك ساحة مقدسة عند الشيعة لا يطأها أحد بقلنميه لانهم يعتقدون بأنها مراقد الشهداء الذين استشهدوا مع الامام وفي زاوية من هذه الساحة مشبك من الفضة يتصل بالحائط ويعرف بمراقد الشهداء الذين استبسلوا في حومة الوغى معه (ع) أيضاً .

وفي صحن الحسين مأذنة منفردة يقال لها منارة العبد وهي مغطاة بالقاشاني الملون ويروى عن سبب لإنشائها في هذا المحل المنزل ان زنجياً كان يسكن

مقتطفات طابرة ١٨٣

الصحن ويكتسب كسباً ضعيفاً فاقتصد على نفسه حتى جمع ثروة مكنته من تشييد هذا الاثر الخالد له .

وعلى مسافة قصيرة من صحن الحسين يشاهد ضريح العباس بن علي بن ابي طالب المقتول مع أخيه الحسين في يوم واحد ، وهو ايضاً وسط صحن كبير لا يقل عن بقية صحن الأئمة من حيث هندسة البناء وضخامته وكثرة المجوهرات والمرصعات التي اعتاد المسلمون ان يزيتوا بها المراقدة المقدسة .

وعلى بعد ثلاثة أميال من غربي كربلا ، مرقد الحر بن يزيد الرياحي الزعيم العراقي الذي جاهد مع الحسين ضد جيش يزيد بن معاوية وقبره بديع تعلوه قبة من القاشاني الملون ويزوره أكثر الذين يزورون كربلا كما يقصده أكثر الأهليين للنزهة والرفاهة لما يحيط به من البساتين والجنان وعلى باب قبة القبر كتابة نصها : (قد عمر هذا المكان بهمة أقا حسين خان شجاع السلطان في محرم ١٤ سنة ١٣٢٥ هـ) وكان اول من اظهر وشيد هذا القبر الشاه اسماعيل الصفوي يوم دخل بغداد وحكمها .

وعلى مسافة سبعة اميال من شرقي كربلا ، بينها وبين المسيب ، تشاهد قبة مزينة بالقاشاني ايضاً تلك هي قبة عون بن عبد الله بن جعفر الطيار وامه زينب بنت علي (ع) وقيل الحفصاء يقصده الزائرون لكربلا في أكثر الاوقات للزيارة والثواب (١) .

(١) عبد الرزاق الحسني : موجز تاريخ البلدان العراقية ، ص ٦٧ .

كربلاء في المحاضرات

من الاحتلال حتى الاستقلال (١)

لعبد الرحمن البزاز

يذكر المؤلف في فصل الثورة العراقية (ص ٢٩) :

« وكان الحكام السياسيون ومعاونوهم في الاقضية يتبعون سياسة العنف ذاتها المتبعة في بغداد ؛ وتجلى ذلك في كربلا (٢) والحلة والديوانية وقبل ذلك اتبعت سياسة القمع في النجف » .

ويستعرض ميادين الثورة وعندما يتحدث عن « ميدان الفرات » يقول :

« كانت مدينتا النجف وكربلا — وهما المركزان الدينيان العظيمان في العراق — قد اصبحتا من المراكز الاساسية للشعور الوطني والحركة القومية في العراق . » (ص ٣٢) .

(١) محاضرات القيت على طلبة قسم الدراسات التاريخية (٩٥٣ - ١٩٥٤) عدة الكتاب ١٦٨ صفحة

(٢) فقد القي القبض على الشيخ محمد رضا نجل المجتهد الامام الخاوري الشيرازي الذي أصبح الرئيس الروحي الأعلى للثورة .

وفي مدينة كربلا كان شعور القلق وروح التحفز بادية ، وخاصة بعد ان نفت السلطات البريطانية اثني عشر شخصاً من بينهم الشيخ محمد رضا نجل المجتهد الكبير الشيرازي وقد نقل أولئك الأشخاص الى الحلة ومنها الى البصرة ثم إلى جزيرة «هنجام» في الخليج ؛ وبعد مراسلات طويلة بين بعض المجتهدين والسلطات البريطانية كان الغرض منها حمل البريطانيين على الرجوع عن سياستهم التعسفية ، والتسليم بحقوق العراقيين ، نجد ان الشيخ الشيرازي قد افق فتواه المشهورة التي نصت على ان «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ، ويجب عليهم ضمن مطالباتهم رعاية السلم والامن» ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية اذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم (١) .

وقد كان لهذه الفتوى اثرها في نفوس أبناء القبائل خاصة ، وكان رسل الثورة قد انتشروا في انحاء الفرات الاوسط واشاغوا مضمونها . (ص ٣٣ — ٣٤) .

ويعود ذكر كربلا مرة اخرى في صدد كلامه عن «الميادين الاخرى» اذ يقول :

«لم تقتصر الثورة على الفرات وان كان الفرات اعظم الميادين كما قلنا فقد استطاع دعاة الثورة في بغداد والكاظمية وكربلا ان يثيروا الحماس ضد البريطانيين فقام نفر من شباب بغداد في الثالث من شهر آب باشعال

(١) لقد صارالمجتهد الميرزا محمد تقي الحائري الشيرازي المرجع الديني الأعلى ، والمجتهد المقلد من اكرية الشيعة في العراق ، وإليه آلت الزعامة الدينية بعد وفاة الشيخ اليزدي وبعد وفاته ، اثناء الثورة ، انتقلت الزعامة الدينية الى شيخ الشريعة الاصبهاني ، ثم لما توفي هذا اصبح الشيخ مهدي الخالصي الرعيم الروحي للثورة وبقي معارضاً للسياسة البريطانية مما اضطر السلطات إلى إخراجه من العراق فيما بعد .

١٨٦ صفاء خلوص

النار في مستودع الآلية فأُتلف جميع الوقود والذخيرة وكاد هذا العمل يشل حركة النقلات البريطانية في جميع أنحاء العراق » (ص ٣٧) .

وفي موضوع « اختيار الملك » والمرشحين للعرش الجليد يقول :

وقد رشح البعض « آغاخان » لعرش العراق ، وهو ترشيح غريب فليس له رابطة دينية او جنسية مع العراق والعراقيين ، وليس له من الاتباع الا افراد ، وربما بعض الاقرباء الذين يسكنون كربلاء وبغداد (ص ٤٩) .

كربلاء في المراجع الاستشراقية تاريخ العرب الأدبي رينولد نكلسن

من المحدثين الذين ذكروا «كربلاء» المستشرق رينولد نكلسن في كتابه «تاريخ العرب الأدبي» (١). ففي الصفحة ١٩٦ يقول ما ترجمته :

ترعرع يزيد بدوياً بكل غرائز واذواق البدو - حب اللذة وكره التقى وعدم اكتراث استهتاري بقوانين الدين وقد نحدد مستهل حكمه بحادث قلما يتحدث عنه المسلمون حتى في الوقت الحاضر دون ان يشعروا بقشعريرة الفظاعة والرعب ، وهذه هي الحقائق باختصار : في خريف سنة ٦٨٠ م غادر الحسين بن علي مكة مع امرته كافة وعدد من اصدقائه المخلصين ، مدعياً بأحقية في الخلافة لانه سبط النبي (ص) ، وقد اخذ سمته قاصداً الكوفة حيث كان يتوقع من اهليها الذين كانوا كلهم شيعة تقريباً ان ينضوا

(١) تجد ذلك في الصفحات ١٩٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٤٢ ، ٤٦٦ من النص الانكليزي .

نحت لوائه مؤيدين قضيته ، غير انها كانت مخاطرة غير مأمونة ؛ وكان الفرزدق الشاعر الذي يعرف طبيعة مواطنيه المتقلبة قد أخبر الحسين (ع) بأن قلوبهم معه وسيوفهم مع بني أمية ؛ غير ان تحذيره كان دون طائل وفي الوقت ذاته بعث عبيد الله بن زياد عامل الكوفة الذي اربعب الثوار في المدينة بقطع رأس زعيمهم مسلم بن عقيل ابن عم الحسين (ع) ، بعث بقوة من الفرسان لايقاف زحف سيد الثائرين وكان مجال التراجع لا يزال مفتوحاً أمامه غير ان اتباعه صرخوا ان لا بد من الثأر لدم مسلم فلم يسع الحسين (ع) ان يتردد فانجحه شمالاً محاذياً الفرات وحط رحاله في كربلاء مع جماعته الصغيرة التي بلغت عدتها ، بما فيها النساء والاطفال ، نحواً من مائتي نسمة ؛ وفي هذا الموقف الذي لا رجاء فيه تقدم بعروض ربما كانت تُقبل لو لم يُقنع شمر بن ذي الجوشن ، وهو اسم ملعون سيء الصيت الى الأبد ، عبيد الله على الإصرار على التسليم بلا قيد أو شرط ؛ فرفضت العروض ووصف الحسين (ع) أصحابه — وهم زمرة صغيرة من الرجال والصبيان — للمعركة ضد الجمع الحاشد الذي أحاط بهم .

ليس بمقلود جميع التفاصيل المرعبة التي انبثقت من الحزن والعاطفة العميقة ان تزيد من مأساة المشهد الأخير ؛ ويبدو أن ضباط بني أمية انفسهم أحجموا من ولوج بشاعة مجزرة عامة ، وكانوا يأملون في أن يأخذوا سبط الرسول (ص) حياً ؛ على ان الشمر لم يكن لديه أي تقييد أو تخرج من هذا النوع إذ غضب من التأخير وحث جنوده على الهجوم وسرعان ما انتهى الصراع غير المتكافئ : صرع الحسين (ع) وقد اخترقه سهم وقتل اشياعه الشجعان حوالياً عن آخرهم .

إن الروايات الاسلامية التي هي باستثناءات نادرة ، معادية باتساق للأسرة

الاموية ، يعتبرون الحسين (ع) شهيداً ويزيد قاتله ... والمسألة بالنسبة للمسلمين تقرره علاقة الامويين بالاسلام ، فلا يمكنهم وقد خرقوا قوانينه وسخروا من مثله العليا ، ان يكونوا غير طغاة وما دامو طغاة فلا يحق لهم قتل المؤمنين الذين يشقون عصا الطاعة في وجه سلطتهم الغاصبة ! وعند التمحيص نجد ان ما يسمى بحكم التاريخ هو حكم الدين ، وقضاء الاسلام الالهي ، وعلى هذا الاساس فان الامويين قد ادينوا بحق (١) .

وكان للامويين بالتأكيد سبب قوي لنمهم على يوم كربلاء ، فقد منح الشيعة صرخة التجمع الا وهي : « الثأر للحسين ! » - تلك الصرخة التي تلقفتها جميع الجهات . (٢)

واصبحت كربلاء بالنسبة للشيعة ما كانت عليه النهروان بالنسبة للخوارج (٣) وقد ذكرها الشاعر كثير عزة المتوفى سنة ١٠٥ هـ - ٧٢٣ م بقوله (من الوافر) :

ألا إن الأئمة من قریش
عليّ والثلاثة من بنيهِ
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط لا تراه العين حتى
تغيّب لا يرى عنهم زماناً
ولا الحق أربعة سواء
هم الأسباط ليس بهم خفاء
وسبط غيبت كربلاء
يقود الخيل يقدمها اللواء
يرضوى عنده غسل وماء (٤)

(١) نكلسن : تاريخ العرب الادبي ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢) نفسه ، ص ١٩٨

(٣) نفسه ، ص ٢٠٨

(٤) نفسه ، ٢١٦ = الاغانى (طبعة دار الكتب) ج ٨ ص ١٤ - ١٥ / ٢٢ / ٨ ص ١٧ وما (طبعة بولاق) والثلاثة من ابناء علي هم الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية .

وخلال بضع سنوات من مصرع الحسين (ع) أصبح ضريحه في كربلاء
مَحَجَّجاً تشد إليه رجال الشيعة وعندما ثار (التوابعون) سنة ٥٠ هـ -
٦٨٤ م قصلوها ورفعوا عقائرهم منتحيين بصوت واحد وبكوا وتضرعوا
إلى الله أن يغفر لهم لتبكرهم لسبط الرسول (ص) في ساعة شدته وضيقه
وصاح زعيمهم : « رب ارحم الحسين ، الشهيد بن الشهيد ، المهدي بن
المهدي ، الصديق بن الصديق ! رب ! اشهد اننا اتباع دينهم وسبيلهم
واننا اعداء قاتليهم واحباء محبيهم » (١) . هنا تكمن نواة « التعازي »
والمشاهد الدينية التي تمثل كل سنة في العاشر من محرم حيثما وجد الشيعة .
غير ان موسى الشيعة ، الرجل الذي أراهم الطريق إلى النصر ولو انه
لم يقدمهم إليه هو دون شك « المختار » (٢) .

ولقد أثر المصير المفجع للحسين في كربلاء على الشاعر الفرزدق تأثيراً
عميقاً فدعا مواطنيه ان يبرؤا ذمتهم كرجال فقال (من) (٣)
فان غضبت العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا انه سيدوم عزها وتبقى
هيبتها وان صبرت عليه ولم تتغير لم يزدها الله إلا ذلاً إلى آخر الدهر وانشد
في ذلك :

فان انتم لم تتأزوا لابن خيركم فالقوا السلاح واغزلوا بالمغازل
وقد تقلبت الأحداث على كربلاء ... ففي سنة ١٨٠١ م نهب الوهابيون

(١) نكلسن : ص ٢١٨ = الطبري : ج ٢ ص ٥٤٦ ، كان هؤلاء التوابعون مربياً أحراراً
من الكوفة ، وهي حقيقة تدل كما لاحظ (فيلهاوزن) ان التعازي ذات أصل سامي .
(٢) نفس المكان .
(٣) الأغاني : ج ١٩ ص ٢٤ ص ١٨ .

مقطعات مابرة ————— ٢٦١

مشهد الامام الحسين (ع) وهو المكان الذي يعرف عادة بكربلاء أو مشهد الحسين ... المدينة القريبة من بغداد ؛ فقتلوا خمسة آلاف شخص وحطموا قبة ضريح الحسين (ع) فتقديس جميع الشيعة لذلك الضريح كما يقول بُركهارت Burckhardt كان سبباً كافياً لاثارة غيظ الوهابيين ضده (١) .

وقد أشار إلى ذلك الشيخ رسول حاوي الكركوكلي في كتابه : « دوحه الوزراء في تاريخ وقائع بغداد والزوراء » (٢) تحت عنوان « ظهور وباء الطاعون وخروج الوزير من بغداد وهجوم الوهابيين على كربلاء » (٣)

كربلاء في « بلاد العرب »

لمؤلفه دي جي هوكارث (٤)

« Arabia » By D. G. Hogarth

وعندما تبعه « الضمير يعود على الامام علي (ع) » ولداه الحسن والحسين في ظرف عشرين عاماً الى القبر بالعنف بالنسبة لاحدهم ان لم يكن بالنسبة لكليهما دون ان يتمتع اي منهما بحقه ، كان عبادة الاسرة كمجموعة ابطال امراً لا مناص منه وقد دلت صفوف الحجاج التي تنحج إلى مشهد علي في النجف ومشهد الحسين في كربلاء والعواطف التي ما تزال تؤججها التشايبه في العاشر من محرم في العالم الاسلامي بأسره — كل هذه المظاهر استمرت لتدل على ان الموت ينفع القديس اكثر من كل ايام حياته مجتمعة (ص ٧٥) .

(١) لكلسن : ص ٤٦٦ .

(٢) نقله عن التركية الأستاذ موسى كاظم نورس ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣) نفسه : ص ٢١٦ - ٢١٨ .

(٤) Oxford, At the Clarendon Press, 1922. p.

١٠٦٣ صفاء علوصي

اما في الصفحة ١٠٢ من الكتاب ذاته فيشير المؤلف إلى هجمات الوهابية على كربلاء.

كربلاء

في كتاب « الاسلام في القرون الوسطى »

MEDIEVAL ISLAM

A Study in Cultural Orientation

لفوستاف فون كرونه باوم (١)

ورد ذكر كربلاء في هذا الكتاب في الصفحتين ١٩١ و ١٩٣.

إذ جاء في الصفحة ١٩١ ان ابن علي وحفيد الرسول (ص) قتل سنة ٦٨٠ م في كربلاء نتيجة ثورة غير موفقة... وقد اقتبس فون كرونه باوم صفحة من كتاب مسرحية الخوارق عن الحسن والحسين *The Miracle Play of Hasan and Husain* (لندن ١٨٧٩) ج ٢ ص ١٠١-١٠٢ تأليف السر ل. پلي *L. Pelly*

حيث يصف الشمر نفسه وانه ما ولدته امه الا لقتل الحسين (ع) ويعلق فون كرونه باوم قائلاً: « بهذه الصورة اعيد تفسير حادث كربلاء كقضية ذات خطورة كونية وكمسرحية تذكرنا بعنف وقوة بموت المسيح (ع) (ص ١٩٣) ».

اما ذكر الحسين (ع) فقد ورد في الصفحات ١٢٣، ١٩١ - ١٩٣ و ١٩٦ و ٢١٩ من الكتاب المذكور.

(١) شيكاغو، ١٩٥٤.

فيليب حتي وكربلاء

وقد اورد الاستاذ فيليب حتي استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة برنستن باميركا ذكر كربلاء في مواضع من كتابه المشهور **History of the Arabs** « تاريخ العرب » (١) في الصفحات ١٨٣ و ١٩٠ - ١٩١ و ٤٤٠ من النسخة الانكليزية .

ففي الصفحة ١٨٣ يقول ما ترجمته :

ان حشود الزوار التي ما تزال تتدفق إلى مشهد علي في النجف ومشهد ولده الحسين سيد القديسين والشهداء عند الشيعة في كربلاء القريبة من النجف والمسرحية الدينية التي تمثل سنوياً في العاشر من محرم في العالم الشيعي باسره ، كل ذلك يشهد على ان الموت قد ينفع القديس اكثر من الحياة .

ويشير في الصفحتين ١٩٠ و ١٩١ الى فاجعة كربلاء ونكتفي هنا بترجمة الجمل التي ورد فيها ذكر المدينة ففي الصفحة ١٩٠ وما يليها يقول ما ترجمته : في العاشر من محرم سنة ٦١ هـ (١٠ تشرين الاول ٦٨٠ م) احاط عمر ابن القائد الشهير سعد بن ابي وقاص على رأس ٤٠٠٠ مقاتل بالحسين وجماعته الصغيرة المؤلفة من مائتي نسمة في كربلاء ، في ما يقرب من خمسة وعشرين ميلاً شمال غربي الكوفة وبما انهم رفضوا الاستسلام فقد اعمل فيهم السيف وقد استشهد الحسين سبط الرسول بعد ان اصيب بعدة جروح وارسل رأسه الى يزيد في دمشق ، واعيد الرأس بعد ذلك الى أخت الحسين وابنه اللذين

(١) الطبعة الرابعة المنقحة ، لندن ، ١٩٤٩ .

ذهبا معه الى دمشق (ابن حجر ، ج ٢ ص ١٧) ودفن مع الجسم في كربلاء .

وقد اوجد المسلمون الشيعة احياءاً لذكرى استشهاد الحسين مراعاة مراسيم الحزن في العشرة الاولى من محرم الحرام سنوياً ووضعوا مسرحية عاطفية دينية تؤكد صراعه « البطولي » وآلامه وهذه المسرحية الدينية السنوية تمثل في فصلين يعرف الاول بـ « عاشوراء » (اليوم العاشر) يمثل في الكاظمية (على مقربة من بغداد) لإحياء ذكرى المعركة والفصل الثاني بعد العاشر من محرم باربعين يوماً في كربلاء وعنوانه : « مرد الرأس » .

لقد برهن دم الحسين اكثر من دم ابيه على انه الاساس الذي تقوم عليه العقيدة الشيعية فقد ولد التشيع في العاشر من محرم ومنذ ذلك الوقت فصاعداً أصبحت الامامة في سلالة عليّ مبدءاً عقائدياً في المذهب الشيعي كرسالة محمد في الاسلام .

وقد منح (يوم كربلاء) الشيعة شعاراً في المعارك يتلخص في الثار من أجل الحسين ، وقد برهنت الايام فيما بعد على انه احد العوامل التي قوضت اسس الدولة الاموية .

اما في الصفحة ٤٤٠ فيشير إلى المتوكل ويقول : « وسرعان ما جاء المتوكل الذي استأنف سنة ٨٥٠ م عادة اضطهاد الشيعة القديمة فقد هدم ضريح عليّ في النجف والضريح الأكثر قداسة في كربلاء وهو ضريح الحسين (١) فأكتسب بذلك كراهية الشيعة الابدية .

كربلاء في المعاجم

لويس معلوف اليسوعي وكربلاء

يقول الاب لويس معلوف اليسوعي في المنجد في اللغة والادب والعلوم
(بيروت ١٩٥٦) في مادة «كربلاء» (ص ٤٥٣) :

«لواء في العراق محصور بين الوية الحلة والدليم والديوانية (٢١,٢٠٠ كم) (١٤٥,٩٥١) فيه قضاء النجف (وناحيته الكوفة) وناحيتان ملحقتان بمركز اللواء وهما الحسينية وعين تمر ؛ وكربلاء مدينة في العراق (لواء كربلاء) (٣٥,٠٠٠) يكرمون فيها مشهد الحسين بن علي وفاطمة ومقام المرزہ شفيع خان رئيس الفرقة الشيعية ، ومقام السيد كاظم الرشتي صاحب الفرقة الكشفية ، ومقام حسين علي شاه رئيس الطريقة الصوفية ومقام مؤمن دوده رئيس الطريقة البكتاشية ؛ ويوم كربلاء وقع في العاشر من محرم ٦١ هـ الموافق للعاشر من تشرين الاول ٦٨٠ م فيه قتل الحسين بن علي .

الخليلي

(١) وقد اصيحت الكوفة اليوم مركز قضاء .

كربلاء في « قاموس الاسلام »

A Dictionary of Islam

لم يزد توماس باتريك هيوز Thomas Patrick Hughes في معجمه الموسوم بـ « قاموس الاسلام » على الكلمات الآتية في مادة كربلاء .

كربلاء او مشهد الحسين : مدينة في العراق اشتهرت بمصرع الحسين وبكونها مثواه الاخير ومستقر ضريحه . تقع على مسافة خمسين ميلاً جنوب غربي بغداد وحوالي ستة أميال غربي الفرات (١) .

كربلاء في معجم « لاروس » الفرنسي

واكتفى « لاروس » في معجمه الفرنسي المشهور ببضع كلمات ، اذ لم يزد على ان قال ما ترجمته :

« مدينة في العراق لا تبعد عن الفرات كثيراً . نفوسها ٦٥,٠٠٠ نسمة وهي مقدسة عند الشيعة » (٢) .

كربلاء في « الموسوعة الاسلامية الموجزة »

Shorter Encyclopaedia of Islam

في الطبعة الاخيرة للموسوعة الاسلامية الموجزة التي طبعت بالانكليزية

(١) ص ٢٦١ من النص الإنكليزي (الطبعة الثانية) و « قاموس الإسلام » عبارة عن Cyclopaedia أي موسوعة صغيرة للعقائد والطقوس والمراسم والمادات ، فضلاً عن المصطلحات الفنية (أي التقنية) والفقهية ، قامت بطبعها شركة آ ل ن بلندن سنة ١٨٨٥ وأعاد طبعها سنة ١٩٣٠ .

(٢) ص ١٤٧٣ من النص الفرنسي (مادة Kerbela) .

بطلب من الاكاديمية الهولندية الملكية تحت اشراف هـ. ا. ر. جب وجي
هـ. كرامرز سنة ١٩٦١ في مادة « مشهد الحسين » (كربلاء) المعلومات
الآتية نترجمها هنا لفائدة القراء :

مشهد الحسين موضع للحج غربى الفرات حوالي ٦٠ ميلاً جنوب غربى
بغداد على مشارف الصحراء (ياقوت ، معجم البلدان ، طبعة وستنفيلد ،
ج ٤ ص ٢٤٩) وتقع بمواجهة قصر ابن هيرة (الاصطخري BGA ج ١
ص ٨٥ ، قارن البلاذري ، فتوح البلدان ، طبعة دي غويه ، ص ٢٨٧ ،
المقدسسي BGA ، ج ٣ ص ١٢١) ومن المحتمل ان اسم كربلاء مرتبط
باللفظة الآرامية « كريبلا » (سفر دانيال ٣ ، ٢١) واللفظة الآشورية
« كربلاتو » (وهى نوع من لباس الرأس ، راجع ج . جاكوب ، « المكتبة
التركية » ج ٩ ص ٣٥ الهامش رقم : ٢) وهى غير مذكورة في تاريخ
ما قبل العرب .

ويقال ان خالد بن الوليد ، بعد ان استولى على الحيرة ، اقام معسكره
في « كربلاء » (ياقوت ، ٤ - ٢٥٠) وفي يوم عاشوراء (١٠ محرم)
٦١ هـ (١٠ تشرين الاول ٦٨٠ م) استشهد الامام الحسين بن علي (ع)
في زحفه من مكة على العراق حيث كان مصمماً على المطالبة بحقوقه في
الخلافة ، في سهل كربلاء في مَنطَقَة نَيْنَوَى (الطبري : ٣ - ٢١٩٠ ؛
ياقوت : ٤ - ٨٧٠ وهى الآن على رأي ماسينيون « خيمة قاعة » وعلى
رأي موسيل Musil : « إشان نَيْنَوَى » في معركة مع جيش عامل الكوفة
ودفن في الخائر (ياقوت : ٢ - ١٨٨ وما يليها ، الطبري : ٣ - ٧٥٢) .
وسرعان ما أصبح الموضع الذي دفن فيه جثمان سبط الرسول (ص)
المفصول عن رأسه (راجع فيما يتعلق بمصير الرأس الذي قطع وارسل الى

١٩٨ صفاء خلوصي

دمشق الى يزيد الأول ، فان يرشيم *Festschrift ED Sachau Gewidm* ،
برلين ١٩١٥ (ص ٢٩٨ - ٣١٠) المعروف بقبر الحسين موضعاً مشهوراً
لحجيج الشيعة (راجع مادة «شيعه»).

وفي فترة مبكرة لا تتجاوز سنة ٦٥هـ - ٦٨٤ - ٦٨٥ م نجد سليمان
ابن صُرْد يذهب مع اتباعه الى ضريح الحسين (ع) حيث يقضي يوماً وليلة
(الطبري ، طبعة دي غوية ، ٢ - ٥٤٥ وما يليها) ويذكر ابن الاثير
(الكامل : طبعة تورنبرغ ج ٥ ص ١٨٤ ؛ ج ٩ ص ٣٥٨) رحلات حج
اخرى في السنتين ١٢٢هـ - ٧٣٩ - ٧٤٠ م و ٤٣٦هـ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ م
واسبغت ام موسى ، والدة الخليفة المهدي في تاريخ مبكر خيراتها على رجال
الدين القائمين على العناية بالضريح (الطبري ٣ - ٧٥٢).

وقد هدم الخليفة المتوكل سنة ٢٣٦هـ - ٨٥٠ - ٨٥١ م الضريح وملحقاته
وامر بتسوية الارض وزراعتها ومنع تحت طائلة العقاب الصارم زيارة
العتبات المقدسة (الطبري : ٣ - ١٤٠٧ ؛ حمد الله المستوفي : «نزهة
القلوب» طبعة لسترانج ، ص ٣٢) على ان ابن حوقل (طبعة دي غوية :
ص ١٦٦) يذكر حوالي سنة ٣٦٧هـ - ٩٧٧ م «مشهداً» عظيماً وغرفة
ذات قبة لها بابان باب من كل جانب وفي داخلها ضريح الحسين (ع) الذي
كان كثيراً ما كان يتوافد عليه الزائرون في زمانه. وقد دمر ضبته بن محمد الاسدي
الذي هو في الاصل من عين تمر وشيخ مشايخ مجموعة من القبائل ، مشهد
الحائر (كربلاء) مع عتبات مقدسة أخرى فأرسلت حملة تأديبية الى عين
التمر سنة ٣٦٩هـ - ٩٧٩ - ٩٨٠ م فلاذ بالهرب الى الصحراء قبل وصولها
(ابن مسكويه ، «تجارب الامم» ، طبعة اميلروز في كتاب «كسوف
الخلافة العباسية» . (بالانكليزية) ج ٢ ص ٣٣٨ ، ٤١٤) وفي السنة ذاتها

مقتطفات مارة ١٩٩

وضع عضد الدولة البويهى الشيعي العتبتين المقدستين : مشهد علي (ع) (في النجف) ومشهد الحسين (ع) (في الحائر) تحت حمايته الخاصة (ابن الاثير : ٨-٥١٨ ؛ حمد الله المستوفي ، نفس المصدر) .

وقد اقام الحسن بن فضل المتوفى سنة ٤١٤هـ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م سوراً حول الضريح المبارك في مشهد الحسين (ابن تغريدي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، طبعة بوبر Popper ٢-١٢٣ ، ١٤١ على نحو ما صنع في مشهد علي (بالنجف) (ابن الاثير : ٩-١٥٤) .

وفي ربيع الاول سنة ٤٠٧هـ - آب - ايلول ١٠١٦ م نشب حريق هائل (بسبب سقوط شمعتين عن موضعهما) احال القبة (او البناء الرئيسي) والاروقة (او القاعات المفتوحة) الى رماد (ابن الاثير : ٩-٢٠٩) .

ولم يغفل السلطان السلجوقي ملكشاه زيارة مشهدي علي والحسين (ع) بعد دخوله بغداد (ابن الاثير : ٩-١٠٣) وكانت هاتان العتبتان المقدستان يطلق عليهما في هذا الوقت «المشهدان» (البُنْدَارِي الاصفهاني «تواريخ آل سلجوق» طبعة هوتسما ، في مجموعة «منتجات من النصوص» ج ٢ ص ٧٧) على غرار المثنيات المعروفة وهي : العراقان ، البصرتان ، الحيرتان ، الميصران الخ ...

وقد زار غازان الایلخاني سنة ٧٠٣هـ - ١٣٠٣ م كربلاء وقدم هدايا سخية الى هذه العتبة المقدسة ويعود الفضل له او لأبيه «أرغون» في جلب الماء الى المنطقة بواسطة قنال يمتد الى الفرات (وهو نهر الحسينية الحديث) (١) . نولذكه : 'Das Heiligtum Al-Hussains Zu Kerbela' برلين ، ١٩٠٩ ، ص ٤٠) .

٢٠٠ صفاء خلوصي

وقد زار ابن بطوطة (طبعة دفرميري وسانكوينيتي ، ج ٢ ص ٩٩)
كربلاء سنة ٧٢٧هـ - ١٣٢٦م - ١٣٢٧م قادماً إليها من الحلة ويصفها
بأنها مدينة صغيرة تقع بين بساتين النخيل وتستمد ماءها من الفرات وفي
وسطها الضريح المبارك وإلى جنبه مدرسة كبيرة و « الزاوية » (١) الشهيرة
حيث يقيم الزوّار ولا يمكن الدخول إلى المرقد الشريف إلا بإسماح القيم
والزوّار يقبلون السياج الفضي المحيط به وفوقه المصابيح الذهبية
والفضية وعلى الأبواب ستائر حرير وسكان المدينة منقسمون إلى أولاد رنخياك
وأولاد فايز وكانت منازعتهم المستمرة تلحق الضرر بالمدينة رغم أنهم كانوا
جميعاً من الشيعة .

ويقدر حوالي الوقت ذاته حمد الله المستوفي محيط المدينة بـ ٢٤٠٠ خطوة
ويذكر هناك كذلك قبر الحرّ بن يزيد الذي كان أول من استشهد مقاتلاً
في سبيل الحسين بكربلاء .

وقد قام الشاه الصفوي اسماعيل الأوّل (المتوفى سنة ٩٣٠هـ - ١٥٢٤م)
بزيارة إلى النجف ومشهد الحسين (ع) .

وزار السلطان سليمان القانوني الضريحين سنة ٩٤١هـ - ١٩٣٤م -
١٥٣٥م وأصلح قنال مشهد الحسين (الحسينية) وأحال الحقول التي كانت
مطمورة في الرمال إلى جنائن كرة أخرى ؛ وقد بنيت « منارة العبد »
(انظر في ادناه) والتي كانت تسمى سابقاً « أنكوشتي يار » سنة ٩٨٢هـ -
١٥٧٤ - ١٥٧٥م ، وأمر مراد الثالث والي بغداد علي باشا بن الوند سنة

(١) الزاوية فتلح خصوصي للعلماء والشراب والسكن وهو ما يعرف عند الغربيين بلفظة :
« Hostel » .

مقتطفات مابرة ٢٠١

١٩٩١ هـ - ١٥٨٣ م ان يئني او بالاحرى ان يرمم ضريح الحسين (ع) وبُعِيد احتلال بغداد سنة ١٦٢٣ م احرز عباس الكبير المشهدين واطافهما الى الامبراطورية الايرانية وزار نادرشاه كربلاء سنة ١٧٤٣ م وعلى حين انه يُعزى اليه تذهيب قبة مشهد الامام علي (ع) فقد قيل عنه كذلك انه صادر أوقافاً مخصصة لأئمة كربلاء.

ويزداد الرخاء العظيم في موضع الزيارة والعدد الضخم من القاطنين فيه بمناسبة زيارة عبد الكريم وهو احد المقربين الاثريين عند نادر شاه ؛ وقد قدمت رَضِيَّة سلطان بيكوم ابنة الشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢ م) ٢٠,٠٠٠ نادرية لاصلاح مسجد الحسين .

وقدّم مؤسس الاسرة القاجارية ، أغا محمد خان ، حوالي نهاية القرن الثامن عشر الغطاء الذهب للقبّة والمنارة في مشهد الحسين (جاكوب في كتاب ١ . نولدكه ، سبق ذكره ، ص ٦٥ ، هـ ٤) .

وفي نيسان (ابريل) ١٨٠٢ وفي غياب الزوار الذين ذهبوا الى النجف دخل ١٢,٠٠٠ من الوهايين بقيادة الشيخ سعود كربلاء فذبجوا ما ينوف على الثلاثة آلاف من سكانها هناك ونهبوا البيوت والاسواق وحملوا معهم بصورة خاصة الصفائح النحاسية المذهبة وكنوزاً أخرى من المشهد وحطموا الضريح غير ان التبرعات تدفقت بعد هذه الكارثة الى المشهد من العالم الشيعي بأسره .

وقد افلح نجيب باشا سنة ١٨٤٣ م ، بعد احتلال الفرس الموقت لكربلاء ، في فرض السيطرة العثمانية على المدينة بقوة السلاح ، وقد هدمت الآن اسوار المدينة القديمة الحاضرة الى حد كبير وشرع الوالي ملحت باشا سنة ١٨٧١

٢٠٢ صفاء خلوصي

ببناء دوائر الحكومة التي بقيت غير كاملة ووسع السوق المجاور (مصادر تاريخ مشهد الحسين عند «١. نولدكه» وقد سبق ذكره).

وكربلاء في الوقت الحاضر بسكانها الذين يربو عددهم على الخمسين ألف نسمة - ثاني مدينة من حيث السعة (١) ولعلها أغنى مدينة في العراق ، وهي ليست مدينة برخاتها الى العدد الهائل من الزوار الذين يزورون ضريح الحسين (ع) فحسب بل كذلك لحقيقة انها اهم نقطة انطلاق لقوافل الزوار الفرس الذاهبة الى النجف ومكة وبموقعها على حافة السهل الغربي فهي «ميناء صحراوي» مهم للتجارة مع القسم الداخلي لبلاد العرب .

والمدينة القديمة بشوارعها المتلوية محوطة بضواح عصرية ؛ وحوالي نصف الى ثلاثة أرباع السكان من الايرانيين وما تبقى من الشيعة العرب واهم قبائلهم هم بنو سَعْد والسلاطه والوزوم والطهايزة ، والناصرية ؛ وآل الدّوّه أغناها : فقد كوفئت لشقتها نهر الحسينية بمقاطعات واسعة من قبل السلطان سليم .

ولا يُطلق اسم «كربلاء» بصورة دقيقة الا على الجزء الشرقي من بساتين النخيل التي تحيط بالمدينة بنصف دائرة في جهتها الشرقية (مُوسل : «الفرات الأوسط» ، ص ٤١) وتعرف المدينة نفسها «بالمشهد» او «مشهد الحسين» .

ويقع ضريح الإمام الثالث في صحن مساحته ٣٥٤ - ٢٧٠ قدماً يحوطه عدد من الأواوين والغرف وقد زينت اسواره بشريط زخرفي أزرق مستمر يقال انه يضم القرآن كله مكتوباً بحروف بيض على صفحة زرقاء ، ومساحة البناية نفسها ١٥٦ - ١٣٨ قدماً والبناية الرئيسية المستطيلة التي يُدخل اليها

مقطعات مارة . ٢٠٣

بطريق « القاعة الذهبية الخارجية » (الصورة عند كرونة ، صور تشخيصية جغرافية ، اللوحة ٧٨ ، الصورة : ١٣٦) محاطة بممر مسقف (تسمى الآن بـ « الجامع » ، ١. نولدكه ، سبق ذكره ، ص ٢٠) حيث يقوم الزوار بالطواف حول الضريح (فيها وزن ' Reste Arab, Heidentums' ص ١٠٩ - ١١٢) وفي وسط الصالة المركزية المقبية هو الضريح او (صندوق) الحسين (ع) وهو حوالي ٦ اقدام ارتفاعاً و ١٢ قدماً طويلاً ومحاط بمشربية فضية يقف بازائها ضريح ثان اصغر منه وهو ضريح ابنه ورفيقه في السلاح : علي الأكبر (المسعودي ، التنبية والإشراف ، طبعة دي غوية في BGA ، المكتبة الجغرافية العربية ، ٨ - ٣٠٣) .

« ان الانطباع العام الذي يحصل عليه الانسان داخل المشهد لا يماثل الا ما يروى في الأساطير ، وذلك عند الشفق او حتى أثناء النهار فهو معتم في الداخل دوماً - فضوء العديد من المصابيح والشموع حول المشربية الفضية ينعكس ألف مرة ، والف مرة أخرى من سطوحات بلورية صغيرة لا عد لها ولا حصر فتحدث تأثيراً سحرياً خارج نطاق احلام المخيلة ثم يفقد الضوء قوته في سقف القبة فلا نجد الا بضع سطوحات بلورية متألقة هنا وهناك كنجوم في السماء » (١. نولدكه ، سبق ذكره) .

« ئي . هونيكممان E. Honigmann »

ويزدان المشهد في الواجهة القبليّة يزخرف فخم وثمين وعلى جناحي المدخل منارتان وتشمخ - المنارة الثالثة وهي « منارة العبد » امام المباني في الجهة الشرقية من الصحن ؛ وتراجع واجهة المباني المحيطة بالصحن جنوباً حوالي ٥٠ قدماً وفي هذه البقعة مسجد سُنيّ وتلاصق الصحن من الجهة الشمالية مدرسة كبيرة مساحة فناها حوالي ٨٥ قدماً مربعاً مع مسجد خاص

٢٠٤ صفاء خلوصي

بها وعدة محارب (عن الوضع الحاضر للمشهد قارن ا. نولدكه ، سبق ذكره ، ص ٥-٢٦ وعن تاريخه : ص ٣٥-٥٠ وعن تاريخ هندسته المعمارية : ص ٥١-٦٦) .

وعلى مبعدة نحو ٦٠٠ ياردة شمال شرقي مشهد الحسين (ع) ضريح شقيقه (اخيه لاييه) العباس وفي الطريق المفضي غرباً خارج المدينة بقعة خيمة الحسين (ع) (خيمكاه) وللبنية المشادة هناك (المخطط عند نولدكه ، ص ٧ ، والصوره الفوتوغرافية عند غروته Grothe ، رقم اللوحة ٨٤ الصوره : ١٤٥) مخطط خيمة وعلى جانبي المدخل نسختان حجريتان لهودجين للجمال .

وتمتد في الهضبة الصحراوية (حمّاد) غربي المدينة أضرحة من المخلصين الشيعة وتقع في شمالي بساتين كربلاء الضواحي وجنائن وحقول «البقيرة» ، شمال غربي القُرة ، جنوبي الغديرية (ياقوت : ٣-٧٦٨) ويذكر ياقوت بين الأماكن المجاورة «العقر» (٣-٦٩٥) والنوايح (٤-٨١٦) .

ويربط خط حديدي فرعي يتفرع شمالي الحلة كربلاء بسكة حديد بغداد-البصرة ، وتفضي طرق القوافل الى الحلة والنجف ولا يزال لمشهد الحسين سمعة احراز الدخول الى الجنة لأولئك الذين دفنوا فيه ؛ لذلك فان الكثير من الزوار المسنين والذين يعانون من سوء الصحة يذهبون الى هناك ليموتوا في البقعة المقدسة .

كربلاء في الأدب

هذا باب يضيق به افخم المجلدات واوسعها لكثرة ما طرقة فحول الشعراء نظماً ، وكثرة ما تناوله كبار العلماء نثراً في الادعية والابتهالات ، ويجد القارئ في محل آخر من هذا الجزء نماذج لبعض ما ورد عن كربلاء في الشعر مما دعانا الى الوقوف هنا والاكتفاء بذكر جزء من قصيدة ابي فراس الحمداني على سبيل الاستشهاد .

ابو فراس الحمداني وكربلاء

وقد أوماً أبو فراس الحمداني الى كربلاء في ميميته التي مطلعها (من البسيط) :

الدين مخترمٌ والحق مهتضمٌ وفيءُ آلِ رسولِ الله مقتسمٌ

الى ان يقول :

يا للرجال ! اما الله منتصفٌ من الطغاة ؟ اما للدين منتقمٌ !
« بنو علي » رعايا في ديارهم والامر تملكه النسوان والخدم
لا يُطغين « بنو العباس » ملكهموا « بنو علي » مواليهم وان زعموا

قام النبي بها «يوم الغدير» لهم والله يشهد والاملاك والامم
ثم ادعاها «بنو العباس» ارثهم وما لهم قدم فيها ولا قدم
أأنتمو آله فيما ترون وفي اظفاركم من بينه الطاهرين دم؟
يا عصبه شقيت، من بعد ما ساعدت، ومعشراً هلكوا من بعدما سلحوا
لبئس ما لقيت منهم وان بليت بجانب «الطف» تلك الاعظم الرمم

والبيتان الاخيران يشيران الى حادثة امر المتوكل عام ٢٣٦ هـ بهدم قبر الحسين كما في الطبري، ومروج الذهب، والفخري- والطف في ياقوت: ٣- ٥٣٩ واقع غربي الكوفة حيث كربلاء.

والذي دفع ابا فراس الى نظم هذه القصيدة ان محمد بن سكرة الهاشمي كان عمل قصيدة يفاخر فيها ولده ابي طالب ويتقص ولد علي ويذكر فيها التحامل عليهم واولها:

بي علي! دعوا مقاتلكم لا ينقيض الدر وضع من وضعه

فلم يحبه ابو فراس تنزهاً عن مناقضته، لسفاهة شعره، وقال في أهل البيت - عليهم السلام - القصيدة التي اوردنا ابياتاً منها في اعلاه (١).

(١) سامي الدهان: ديوان ابي فراس الحمداني، الجزء الثاني، القسم الثالث، بيروت،

أهم المصادر العربية والغربية

لذكر الإمام الحسين ومدينة كربلاء

الطبري : طبعة دي غويه ، الفهارس ، ابن الاثير : الكامل ؛ طبعة
تورنبرغ ، الفهارس ،

الاصطخري BGA « المكتبة الجغرافية العربية » ١-٨٥ ،

ابن حوقل BGA ٢-١٦٦ ، المقدسي : BGA ٣ - ١٣٠ ؛
الادريسي : « نزهة المشتاق » ٤-٦ ، ترجمة جويبرت Jaubert
٢-١٥٨ ؛ ياقوت : معجم البلدان ، طبعة وستنفيلد ٢ - ١٨٩ ؛ ٣ -
٦٩٥ ؛ ٤ - ٢٤٩ وما بعدها ؛ المسعودي : « كتاب التنبيه » BGA
٨ - ٣٠٣ ؛ البكري ، معجم ، طبعة وستنفيلد ، ص ١٦٢ ، ٤٥٦ ، ٤٧١ ،
الزنجشيري ، المعجم الجغرافي ، طبعة دي كريف Do Grave ، ص

٢٠٨ _____ صفاء خلوصي

١٣٩ ؛ حمد الله المستوفي القزويني : « نزهة القلوب » طبعة لسترانج . ،
ص ٣٢ ، الترجمة : ص ٣٩ ؛ ابن بطوطة ، تحفة ، طبعة ديفريميري
سانكوينيتي : ٢ - ٩٩ وما يليها ؛

او . دپار . O. Dapper Eigentliche
Beschreibung Von Asia

نورمبرغ ، ١٦٨١ ص ١٣٧ ، كارستن نيور :
Reisebeschreibung
Nach Arabien U. A. Umliegenden Landern, ii.

كوبنهاغن ، ١٧٧٨ ، ص ٢٥٤ وما يليها ؛ جي . ب . ل . جي
روسو : « وصف لپاشوية بغداد » (بالفرنسية) باريس ١٨٠٩ ،
ص ٧١ وما يليها ؛ C. J. Rich سي . جي . ج :
Fundgruben Des Orients, iii

فيتا ١٨١٣ ، ص ٢٠٠ ؛ J. L. Burkhardt جي . ل .
. Bemerkungen Uber Die Beduinen Und Wahaby

فايمار ، ١٨٣١ ؛ ايم . فيي . ثيلمان :
M. V. Streifzug Im Kaukasus, :
Thielmann In Persien Und In Der Asiatischen Turkei

لايبزغ ، ١٨٧٥ ، ص ٣٩٨ - ٤٠١ ؛ ونولده Nolde :
Reise Nach Innerarabien « رحلة في بلاد العرب »

براونشفايك ، ١٨٩٥ ، ص ١١٣ وما يليها ، ايم . في .

مقطعات حابرة ٢٠٩

اوبنهايم : Vom Mittelmeer Zum Persischen Golf, II برلين
١٩٠٠.

ج. لسترانج : « بلاد الخلافة الشرقية » كمبرج ١٩٠٥ (اعادة طبع ،
١٩٣٠) ص ٧٨ وما يليها ؛ ا. نولدكه : Das Heiligtum Al-Husains
ZuKerbelâ

برلين ١٩٠٩ (= المكتبة التركية ، طبعة : ج. جاكوب ١١ ، ص
٣٠-٣٤ ، مصادر اخرى) ؛

٨. كروثه Geographische Cha-rakter Bilder Aus Der Asiatische
Turkei, I.

لايبنغ ، ١٩٠٩ ، لويس ماسينيون ، « بعثة في بلاد ما بين النهرين »
(بالفرنسية) (١٩٠٧-١٩٠٨) القاهرة ، ١٩١٠ ص ٤٨ وما يليها
(= Mifao « مذكرات مطبوعة لاعضاء المؤسسة الفرنسية للحفريات
الشرقية في القاهرة » ٢٧٠) لامبيرتو فانوتيلي *Anastasia Meridionale E*
Mesopotamia

روما ١٩١١ ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ ؛ كيرترود بيل :
G. L. Bell Amurath To Amurath من آموراث الى آموراث لندن
١٩١١ ص ١١٦ - ١٥٩ ،

موسوعة البحاث المقدسة (١٥)

الشيخ ابراهيم الكفعمي (*)

٨٤٠ - ٩٠٠

فاني به جار الشهيد بكر بلا
سليل رسول الله خير مجير

*

اتيت الامام الحلي سيدي
الى (الخائر) الجار للمستجير (١)

ابن هانيء الأندلسي

٦٤ - عجباً لمنصلك المقلّد كيف لم تسلّ النفوسُ عليك منه مسيلاً

(*) هذه أمثال لعدد من الشعراء في مختلف العصور من ورد ذكر كربلاء في شعرهم لمناسبة
ب : وقد عني الكاتب مجملها وتنسيقها كنماذج مختلفة للشعر العربي في الأغراض المختلفة عن
كربلاء ، وليس للاختيار ، ولا للاقتفاء ، ولا للإحصاء أي شأن في هذا الجمع والتنسيق
الاستخلاص ، ولما كنا قد اتبعنا عرض أسماء الشعراء في الجزء الأول من (قسم النجف) حسب
الحروف الهجائية فقد اتبع الكاتب هنا نفس الطريقة وتقديم المقدار الكافي من الشعر الذي يفسن
تكوين فكرة كاملة عن - ألوان النهج المعين في ذكر كربلاء وذكر الإمام الحسين (ع) -
الخليلي

(١) مجموعة خطية للكفعمي .

فمضى شبل حيدر لا تمام غير كاب - كلاً - ولا مراتب
أم في ركبته الى ارض كربلاء وبلاء من (كربلاء) يباب (١)

*

وقال رحمه الله - حين افتتح جناب عماد الدولة باباً لحرم الحسين - ع -
باب فضل قد بناها للعباد ماجد للدولة العليا عماد
صاغها للحضرة القدس التي قد سمت رفعتها السبع الشداد
افرغت من نور قدس خالص لم يزل باقي (٢) سناه باثقاد
فحسبنا انه من فضة شابهت في صفوها منه الفؤاد

ومنها :

حضرة قد حوت السبط الذي ضاق في انعمه وسع المهاد
وحوت اصحابه الغر الألى ملكوا الفضل جميعاً والرشاد
ان ترم تاريخ باب اهليت (٣)
قل أيا (عبد الحسين) افخر فقد صرت تدعى (عبده) دون العباد
لا رأيت السوء دع أقصى العنا ابدأ عنا تنل أقصى المراد
او ترم رشداً كما أرختها (فاعتمد باب عماد للرشاد) ... (٤)

١٢٨٠ - ١ - ١٢٧٩ هـ

الحسين بن علي أبو القاسم المغربي الوزير

إذا كنت مشتاقاً إلى الطف تائقاً إلى كربلاء فانظر عراص المقطم

(١) ديوان جابر الكاظمي ص : ٩٧ .

(٢) كذا ورد في الاصل الذي نقل عنه فؤاد عباس (الخليلي) .

(٣) لباب مذكر ولا يجوز تأنيثه (الخليلي)

(٤) ديوانه ص : ١٨٠ - ١٨١ .

كربلاء في الشعر ٢١٧

توى من رجال المغربي عصابة مضرجة الأوساط والصدور بالدم (١)

السيد حيدر الحلبي

يا تربةَ الطُفِّ المقدَّسةِ التي هالوا على ابن محمدٍ بَوَّغاءِها
حيَّتْ ثرائكِ فلاطفته سحابةٌ من كوثر الفردوس تحمل ماءها (٢)
ومنها :

ولتقد خاتمةُ الرجاء طريدةً لأغرَّ ينقع برده احشاهها
فحشى ابن فاطمةٍ بعرضة كربلاء بردت غليلاً وهو كان رواءها (٣)
ومنها :

إذ ألقح ابنُ طريدةٍ أحمدَ فتنةً ولدت قلوبهم بها شخاءها
حشدت كتائبها على ابن محمدٍ بالطفِّ حيث تذكَّرت آباءها (٤)

سل بهمم أماً تسلَّ كربلاء اذ واجهوا فيها البلا المكربا
يا بأبي بالطفِّ اشلاؤها تنسج في الترب عليها الصبا ... (٥)

ولا مثل يوم الطفِّ لوعةً واجداً وحرقة حمران وحرّة مكمد (٦)

بني الغالبيين الأئى لست عالماً أسمع في طعنٍ أكفك أم قيرى!!

(١) معجم البلدان (المقطم) .

(٢) ديوان السيد حيدر الحلبي (طبعة حبر) ص : ٥٠ .

(٣ و ٤) ديوان السيد حيدر الحلبي : ٥١ .

(٥) ديوان السيد حيدر : ٩١ .

(٦) السيد حيدر ص : ١٥٤ .

٢٢٠ فؤاد عباس

وزوراء العراق وارض طوس سقاها الغيث من بلد قصي
فحيا الله من وارته تلك الـ قباب البيض من حبر نقي (١)

سلمان هادي طعمه

يا كربلاء وأنت فخر قداسة يستوجب التعظيم والتبجيلا
يا موطن الاحرار منه تألفت



سلمان هادي طعمه

سور الجهاد وفصلت تفصيلا
وبثورة العشرين دوت صرخة
قد طيرت لب الدخيل ذهولا
اذ أصدر الليث (النتي) (٢) نداءه
(فتوى) تحاكي الصارم المصقولا

*

هي صرخة الشوار كانت رعدة تركت صروح الاجني طلولا
هذي مآثر كربلاء وانها سفر يخلد في الزمان طويلا (٢)

سليمان بن قتة (قتبة؟)

مررت على ايات آل محمد فلم ارها عهدي بها يوم حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وان اصبحت من اهلها قد تحلت
وكانوا رجاء ثم صاروا رزية ألا عظمت تلك الرزايا وجلت

(١) ديوان سبط ابن التماويني ص ٤٦٠ .

(٢) اشارة الى الفتوى التي اصدرها الزعيم الروحاني الكبير الميرزا محمد تقي الشيرازي فقامت بمقتضاها ثورة العراق الكبرى سنة ١٩٢٠ التي استقل بها العراق .

كربلاء في الشعر: ٢٢١

وان قتل الطف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلّت (١)

شبرمة بن الطفيل

كان إباريق المدام عليهم لَوْزٌ بأعلى الطف عوج الحناجر (٢)

الشريف الرضي

كربلاء لا زلت كرباً وبلاء ما لقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لما صرعوا من دم سال ومن دمع جرى (٣)

* * *

سقى الله المدينة من علّ لباب المزن والنطف العذاب
وجاد على البقيع وساكنيه رخي الدبل ملآن الوطاب
مواعلام الغريّ وما استباحث معالمها من الحسب اللباب
وقبرٍ بالطفوف يضمّ شلواً قضى ظمأ إلى برد الشراب
وبغداد وسامراً وطوسٍ مطول الودق منخرق العباب (٤)

* * *

قد قلت للركب الطلاع كأنهم ربد النسور على ذرى أطواها
قف بي ولو لوث الأزار فأنما هي مهجة علق الهوى بفؤادها
بالطف حيث غدا مراق دماؤها ومناخ أينقها ليوم جلادها
القفر من أوراقها والطير من طرافها والوحش من عوادها

(١) زهر الآداب ١ / ٩٤ ومجمع البلدان (الطف) .

(٢) لسان العرب (طف) .

(٣) ديوان الشريف الرضي طبع نخبة الأخبار ١٣٠٦ هـ ص : ١٨ .

(٤) ديوان الرضي ص : ٥٢ .

لهفي على عصبٍ بالطفّ ظاميةٍ نالت من القتل فيهم أعظم المحن (١)

يا راكباً قطع القرينا بالعيس اذ تشكو البرينا
بلغ رسالة مؤمن تُسعدُ بها دنيا ودينا
في كربلاء ثوى ابن بنت رسول رب العالمينا
قف بالضريح وناده يا غاية المتوسلينا... (٢)

يا بقعةً بالطفّ حشو تراها دنيا ودين
اضحت كأصدافٍ يصادف عندها الدرّ الثمين... (٣)

وقال هذه القصيدة عندما أمر في وزارته ان يستعمل في طرازٍ خاص
برسم كسوة المشهدين الشريفين العلوي والحسيني من الستور الديبقي (٤)
لابواب الحرمين وعرضها هناك وقد أرصد من أمواله مبالغ طائلة لهذا الغرض
وتجرى فيها أن تكون الستور في غاية الحياكة والابداع مع تطريز آيات قرآنية
حولها ، فلمّا تمّ عملها أرسلها مع نفر من خدمه وعبيده وجعل فيها قصيدة
ذكر فيها عمله الذي تفرّد بشرفه وفخره وفاز دون ملوك الاسلام بجزيل
ذخره وجميل ذكره :

هل الوجد إلا زفرة وأنين أم الشوق إلا صبوةٌ وحنين ؟
ومنها :

إذا عنّ لي تذكار سكان كربلا فما لفؤادي في الضلوع سكون

(١) ديوان طلائع بن رزيك ص ١٤٧ .

(٢) ديوان طلائع ص : ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) ديوان طلائع ص : ١٥٩ .

(٤) وردت خطأ (الديبقي) .

كربلاء في الشعر ٢٢٥

ومنها :

ألا كلّ رزءٍ بعد يومٍ بكربلا ويعد مصاب ابن النبيّ يهون ... (١)

(عائكة بنت زيد زوجة الحسين - ع -)

وحسيناً فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الاعضاء
غادره بكربلاء صريعاً لا سقى الغيث جانبي كربلاء (٢)

عبد الباقي العمري

هذا الكتاب المتقى والمجتبى من نعت اهل البيت اصحاب العبا
في كل شعب من شعاب طيبة ولا بتيها طيه تشعبا
وفي بقيع الغرقد استراحت الأرواح اذ ذرّ عليها زربا
نسائم هاتيك ام لطائم طيب شذاها ملأ المحصبها
تلطم وجه (الطف) بالكف على ما قد جرى فيه وما تسربا

ومنها :

حتى جرى بكربلاء ما جرى وسال حتى بلغ السيل الزبي
دم كسا خدّ الطفوف رونقاً يلوح في توريده مشرباً
شئوا بنو حربٍ على ابن سلمهم للحرب يوم الطف خيلاً شرباً

تبّت يدا من فضّ في خيزوره ثغراً أعار الدين ثغراً اشبها

(١) ديوان ملائح ص : ١٥٩ - ١٦١ .

(٢) معجم البلدان (كربلاء) .

٢٢٦ نوات مباس

قد عزلوا عن الوجود رأس من لا يرتضي سوى المعالي منصبيا
ابدت سما وجوده أهلة وانجنا من وقع سمر وظبا
ورأسه الشريف شمسها النبي تحيرت من كربلاء مغربا

*

فان ذكرت بالطفوف ما جرى على السحاب ذيل دمعي انسجا (١)

• • •

قضى نجبه في كربلاء ابن حاشر ولن ينقضي نجبي عليه الى الحشر
قضى نجبه في نينوى وبها ثوى فعتس منها الكائنات ثرى القبر
قضى نجبه في الطف من فوقه طفا نجيع كسا الآفاق بالخلل الحمر .. (٢)

*

ليت المحرم ليلة استهلاله سلخت عشيته بنصل هلاله
شهر به شهر البلاء بكربلا عضباً تأتق قينه بصقاله
قد حرمته الجاهلية واجتوت عدوا بنو حرب على استحلالة... (٣)

وقال خمساً والاصل لغيره :

على فقد من تبكي عليهم تهامة وتندبهم للحشر والنشر رامة
ومن بهم أم القرى مستهامة لقد هتفت في جنح ليل حمامة
صبيحته بالطف قامت مآتم

(١) الترياق الفاروقي (طبعة مصر ١٢١٦ هـ) ص : ٩٠ - ٩٧ .

(٢) الترياق الفاروقي ص ١١٢ .

(٣) الترياق الفاروقي : ١١٦ .

كربلاء في الشعر ٢٢٧

وناحت بوادي كربلاء وعددت عليهم وفي نادي الغرين غردت
وفي نعيمهم كم رجعت ثم رددت وقد ايقظت كل الهواجع إذ بدت
على فني تنعى وانتي نائم

وكنت اراني في الموالاة سابقاً بزعمي وفيها لم أجد لي لاحقاً
أزعم انتي في ولا الآل صادقاً كذبتُ وايم الله لو كنت عاشقاً
لبيتُ وطرفي بالمجرة عائم

واجريت دمعاً لا يزال مسلسل على ما دهمي آل النبي بكربلا
لقد سبقت مني الحماسة بلبلوا ولو كنت ممن يدعي السبق في الولا
لما سبقتني بالبكاء الحمام .. (١)

*

إذا رامت الاقلام تحرير ما جرى على آل طه في قرارة حائر
تمنت عيون العين لو بسوادها امدت بلا جزر مداد المخابر... (٢)

وقال في وصف هلال قبة الحسين (ع) :

على قبة السبط الحسين اذ انبرى هلال "حكى الكف الخضيب ولا بدعا
على عقيقه الليل ادبر ناكصاً واعطى قفاه بات يشبعه صفعا (٣)
وقال مهتأ ومؤرخاً لما أنشأ جناب احمد شكري بك افندي سليل حضرة
المشير (محمد نجيب باشا) في قصبة كربلاء في صحن حضرة سيد الشهداء
الحوض والسلسيل وكان اتمام ذلك في يوم عاشوراء وطرح فيه قناطير من

(١) الترياق الفاروقي ص : ١٢١ .

(٢) الترياق الفاروقي ص : ١٤٥ .

(٣) الترياق الفاروقي ص : ١٤٥ .

السكّر فشرب الزوّار وكانوا ألوفاً مؤلفة وقد امر بتحرير هذه الايات فوق ذلك الحوض بالكاشي فتحررت بالخط الحسن :

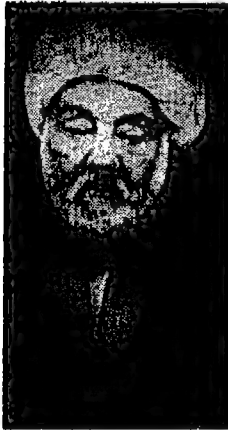
احمد من انشأ هذا السبيل وروق المنهل لابن السبيل
ما هو الاّ ذو العلى (احمد شكري) له يستقصي (؟) جيلاً فجيل (١)
نجل محمد النجيب الذي في الوزراء ما له من عدل
محافظ الزوراء في حكمه بالعدل عن طرق الهدى لا يميل
مشير بغداد بآرائه معظم القلر الخطير الجليل
وفي مساعيه الحسان اقتدى بخدومه هذا النبيه النبيل
ويوم عاشورا غدا زائراً سليل ساقى الحوض نعم السليل
من أمّه بضعة طه التي في العالمين ما لها من مثل
وجده روح الوجود الذي تشرف الروح به جبرئيل
فشاهد الزوّار تأوي الى مشهده الاعلى القليل القليل
فاترع الحوض لهم سكراً مزاجه الكافور والزنجبيل
حوض هو الكوثر في عينه على حسين مثل دمعي يسيل
عذب فرات ذاك لكنّ ذا ملح اجاج ماؤه مستحيل
صعده حزني ووجدني وقد صوبه مني البكا والعويل
كأنه عين الحياة التي لاحظت الخضر بعمر طويل
مسلسلاً يروي حديث الشفا عنه وقد صحّ شفاء العليل

(١) الراجح ان كلمة (يستقصي) قد صحفت سهواً من كلمة (يقتصر) اي تتج اغباره ويقتصر .
اثره جيلاً بعد جيل وان كلمة (شكري) تورية اراد بها الشاعر اسم الملوّح ، ومعنى الشكر منه
(الخليلي)

كم صادرٍ عنه وكم وارد منه لقد برّد فيه الغليل
كالشهد في الصحن حلا ذوقه فرائه بلّ الصدى منه نيل
في كل ثغرٍ ساغ سلساله فشاع في الري وفي اردبيل
اجرى له وقفاً وفي ما جرى قد نال اجراً وثواباً جزيل
ورق لما راق تاريخه : لاحمد الحوض مع السلسيل... (١)
سنة ١٢٦٤ هـ .

عبد الحسين الحوزي

ايها السائل عن افق السما كيف ابدت حمرةً بالشفق ؟؟
وصحيح القول عندي انها حمرةٌ من دمعها المنطلق
لم تزل تبكي دماً اعينها
لدم منه ثرى (الطف) سُمّي... (٢)



الشيخ عبد الحسين الحوزي

وقال واصفاً المصابيح المعلقة في منارة سيد
الشهداء الحسين (ع) :

شاهدت ليلاً مصابيحاً معلقةً
في الجو مملوءة الاجواء بالعلق
قد احدثت بمقام السبط باكيةً
حمرٌ مدامعها لكن بلا حلق . (٣)

(١) الترياق الفاروقي ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٢) ديوان الحوزي (بيروت سنة ١٩٦٤ ص ١٦٥

(٣) ديوان الحوزي ص ١٦٦ .

٢٣٠ ————— فؤاد عباس

وقال في تشييد منارة الامام الحسين (ع) :

منارة السبط بأنوار الهدى ساطعة والافق منها منجلي
وكيف لا تسمو على الشهب عللاً وقد أعدت للحسين بن علي
بفصل الأول كان بدوها ارخ (مناط ختمها بفصل)
سنة ١٣٤٨ هـ (١)

* * *

شباك أبي الفضل (ع)

«عليّ» للعلی أوفی مواعيد بلا مطل
بنی احسن شباك حديد جلّ عن مثل
بايوان أبي الفضل على قاعدة العدل
نعم أرخ (شباك بايوان أبي الفضل)
سنة ١٣٤٧ هـ ... (٢)

عبد الغفار الأخرس

وقال مؤرخاً عام تسخير كربلا وذلك بأيام الوالي نجيب باشا سنة ١٢٥٨ هـ (٣)

(١) ديوان الحوزي : ٢١٥ .

(٢) ديوان الحوزي : ٢١٦ .

(٣) هذه واقعة تشبه في كثير من الأحوال واقعة غزو الوهابيين لمدينة كربلا في سنة ١٢١٦ هـ إن لم تزد عليها بطشاً وقسوة ، ولم يكن قد مر على غزو الوهابيين غير اثنتين وأربعين سنة حتى هاجم (نجيب باشا) الوالي التركي مدينة كربلا لقمع تمرد المتمردين فيها ، وهؤلاء المتمردين على الحكومة والتركية مهما بالغنا في عددهم فانهم لا يزيدون على شرذمة قليلة ونسبة جد ضئيلة من نفوس السكان الذين يملفون عشرات الألوف وكلهم من المجاورين ، أو اللاتنين بقبر الحسين ، أو المتصوفين ، وطلاب العلم ، والروحانيين ، والباعة والمحترفين ، وقد فتك بهم (نجيب باشا) فتكاً ذريعاً ، واستباح

كربلاء في الشعر ٢٢١

لقد خفقت في النحر ألوية النصر
وفتح عظيم يعلم الله انه
علت كلمات الله وهي عليه
تبلج دين الله بعد تقطع
عما البغي صمصام الوزير كما
وكرّ البلا في (كربلاء) فأصبحت
غداة أبادت مفلسي اهل كربلاء
فدانت وما دانت لمن كان قبله
وما ادركوا منها مراماً ولا منى
وحذرهم من قبل ذلك بطشه
وعاملهم هذا الوزير بعدله !!

وكان انحقاق الشر في ذلك النحر (١)
ليستصغر الاخطار من نوب الدهر
بحد العوالي والمهندة البتر !!
ولاحت اسارير العناية والبشر !!
دجى الليل في اضوائه مطاي الفجر
مواقف للبلوى ووقفاً على الضر
وكرت مواضيه بها أيما كراً
من الوزراء السابقين الى الفخر
ولا ظفروا منها بلب ولا قشر
وأمهلهم شهراً وزاد على الشهر
وحاشاه من ظلم وحاشاه من جور !!

— المدينة مدة ثلاث اواربع ساعات استباحة كاملة للنفوس، والاعراض، والاموال، فنهبت البيوت والدكاكين، وهتكت أعراض النساء، ولم يمنعه بلوى المستضعفين والخائفين بفزع الحسين (ع) والاحتماء به من ان يقتحم الفريخ ويدع دماء الضحايا تجري كالسيل في الحرم الشريف على ما وصف المؤرخون من شهود هذه الواقعة، وقد أجرى من بشاعة القتل والتهك ما تقشعر له الأبدان بما قد يلمس القارئ بمضه في واقعة (نجيب باشا) في فصل (كربلاء في المراجع العربية) ويلمس البعض الآخر في كربلاء في المراجع العربية) من هذا الجزء من الموسوعة، وعلى رغم ما لقيت هذه الوحشية الرهناء التي قل وقوع نظيرها في تاريخ الفتك من استنكار العالم الانساني، والعالم الإسلامي، فان عيد الغفار الأخرس لا يمتنع من ان يمجّد (نجيب باشا) في بطشه، ويهنيه بفتكه، ويفخر به لأنه ضحى بهذه النفوس في عيد الأضحى، ونحراها كما تنحر الشاة في عيد النحر، ويدرك القارئ عظم هذه الوحشية، ومبلغ هذا الفتك بما يقرأ في هذه القصيدة، وما ورد فيها من قول الأخرس كقوله: (رمتهم بشهب الموت) وقوله: (سيول دم القتل) وقوله (رأوا هول يوم الحشر) وقوله (فدمرهم تدمير عاد) وقوله: (ألم ترهم صرعى) وقوله (تلاطم فيها الموج والموج من دم) ثم يفخر بتهجأ بتاريخه إذ يقول: (فقد جاء يوم العيد بالفتح والنصر) الى غير ذلك من أبشع الوان التشفي الوارد في هذه القصيدة لهذا الشاعر الموتور

— الخليلي —

(١) مشيراً إلى واقعة كربلاء التي حدثت في عيد الأضحى من سنة ١٢٥٨ هـ على ما يظهر من ديوان

ف. ح. ع.

الأخرس ١٦٨ - ١٦٩

وأنذرهم بطشاً شديداً وسطوة
ولو يصبر القرم الوزير عليهم
وصال عليهم عند ذلك صولة
وسار بجيش والحميس عرمرم
من الترك لم ترك على الأرض مفسداً
وقد افسدوا شر الفساد بأرضهم
رمتهم بشهب الموت منه مدافع
رأوا هول يوم الحشر في موقف الردى
فدمرهم تدمير عاد لبغيهم
ألم تروهم صرعى كأن دماءهم
وكم فئة قد خامر البغي قلبها
فراحت بها الاجساد وهي طريحة
فان مراد الله جار على الورى
تجول المنايا بينهم يجنسوها
تلاطم فيها الموج والموج من دم
فلاخوا بقبر ابن النبي محمد
فان تركوا لا يترك السيف قتلهم
سيول دم القتلى غداة أبادهم
ولا برحت ايامه الغر غرة

وبالغ بالرسل الكرام وبالندر
لقليل به عجز وما قيل عن صبر
ولا صولة الضرغام بالبيض والسمر
فكا لليل اذ يسري وكالسيل اذ يجري
يعود بها نظم المفاصد في نثر (١)
الى ان أتاها منه بالفتكة البكر
لها شرر في ظلمة الليل كالقصر
وهل تنكر الاحوال في موقف الحشر
بصاعقة لم تبق للقوم من أثر
تسيل كما سالت معتقة الخمر
على انها صيدت باحولة الحصر
تداس على ذنب جنته لدى الوزر
ولا بدان يُجرى ولا بدان يجري
بحيث مجال الحرب اضيق من شبر
تلاطم موج البحر في بلجة البحر
فهل (٢) سرّ في تدميرهم صاحب القبر
وان ظهروا باءوا بقاصمة الظهر
تسيل بهاتيك الازقة والجدر (٣)
تضيء ضياء الشمس في طلعة الظهر

(١) هذا البيت من الاصل المخطوط للقصيد و ليس في المطبوعة ، واصل القصيدة هو : يتأطع
منها ٢٩ بيتاً وهي مليئة بالتعصب والتشفي . ف . ع .

(٢) في المخطوطة : وقد

(٣) هذا البيت في المخطوطة ولا يوجد في المطبوعة .

كربلاء في الشعر ٢٣٣ .

ولا زال في عيد جديد مؤرخاً : « فقد جاء يوم العيد بالفتح والتصر » (١)

هـ ١٢٥٨

* * *

وقال مخمّساً آيات عبد الباقي العمري (٢) : يشير إلى سفينة الماء :
وكانت تحلى قبل هذا نجماً وقد غُدِيَتْ فيما أمر وما حلا
اظن على فقد الشهيد (بكربلا) (كساها الاسمى ثوب الحداد ومن حلى)
(تجملها بالصبر لاعجها أعرى)

الشيخ عبد الله العلايلي

فيا كربلا كهف الابهاء مجسماً ويا كربلا كهف البطولة والعلا
ويا كربلا قد حزت نفساً نبيلة وصبرت بعد اليوم رمزاً الى السما
ويا كربلا قد حزت مجداً مؤثلاً وحزت فخاراً ينقضي دونه المدى
فخار لعمري سطرته ضحية فكان لمعنى المجد اعظم مجتلى
فللمسلم الاسمى شعار مقدس هما قبلتان للصلاة وللأب (٣)

الشيخ فليح حسون الكربلائي

المتوفى ١٢٩٦

زهت كربلا لما حلت بأرضها فكل بلاد لست من اهلها فقر

*

(١) التأريخ من المخطوطة ، وارقام التأريخ من المخطوطة .

(٢) ديوان الاخرس : ٤٦٨ .

(٣) سمو المعنى في سمو الذات ص ١٢٦ .

٢٣٤ ————— فؤاد عباس

تباً لساكن كربلا يا ليتها انقلبت او اصطلم الردى سكانها (١)

كاظم الآزري

افدي القروم الاولى سارت ركايهم والموت خلفهم يسري على الأثر
لله من في مغاني كربلاء ثوى وعنده علم ما يأتي من القلندر

*

سل كربلا كم حوت منهم هلال دجى كأنها فلك للانجم الزهر .. (٢)

*

واصفقة الدين لم تنفق بضاعته في كربلاء ولم يربح سوى الضرر (٣)

*

لله صخرة وادي الطف ما صدعت الا جواهر كانت حلية الزمن
يهنيك يا كربلا وشي ظفرت به من صنعة اليُسمن لامن صنعة اليمن (٤)

*

لم تدر اي رزايا الطف تندبها ضرباً على الهام ام سبياً على البدن (٥)

كثير عزة

الا ان الأئمة من قريش ولادة الحق اربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه هم الاسباط ليس بهم خفاء

(١) مجموعة خطية .

(٢) ديوان شيخ كاظم الآزري (بومبي سنة ١٣٢٠ هـ) ص : ١٠٢ .

(٣) ديوان كاظم الآزري ص : ١٠٤

(٤) ديوان كاظم الآزري : ١٧٧ .

(٥) ديوان كاظم الآزري : ١٧٨ .

فسبط سبط ايمان وبرّ وسبط غيبتّه كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء... (١)

الكميت بن زيد الأسديّ

وقتل بالطف غودر منهم بين غوغاء امّة وطغام (٢)



الشيخ محسن أبو الحب

الشيخ محسن أبو الحب

ما كنت إلا واحداً في كربلاء
أضحى لأعين أهلها انساناً

(الطف) فيك تباشرت ورحابها
أضحت بمقدمك الكريم ترحب (٣)



أبو الحسن
وزير المعارف العراقية الأسبق

الحاج محمد حسن أبو المحاسن

نعلل النفس بالوعد الذي وعدوا
أنّي وقد طال في انجازه الامد
ان كان غير بُعد العهد ودّهم
فودّنا لهم باق كما عهدوا
ما انصفونا سهرنا ليلنا لهم
صباية وهم عن ليلنا رقلوا

(١) الأغاني (دار الكتب) ١٤/٩ .

(٢) مروج الذهب (دار الاندلس) : ٢٢٩/٣ .

(٣) مجموعة خطية .

٢٣٦ _____ فؤاد عباس

تبكيهم مقلتي العبرى ولو سعدت بكت مصاب الألى في كربلا فقلدوا
مصالت كسيوف الهند مرهفة فرندها كرم الاحساب والصيد
وافى بها الاسد الغضبان يقدمها اسداً فرائسها يوم الوغى أسد (١)

*

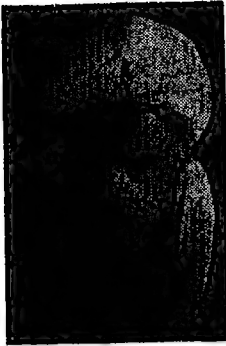
وقال يشكر متصرف كربلاء (عبد اللطيف باشا) على إجرائه الماء في
جدول (الحسينية) سنة ١٣١٦ هـ ويؤرخ ذلك العام :

هذا حمى الرمل وذاك معهده فعج بنا نبته ما نبجده
يا ناعس الاجفان سهدت فتي كان لنيل العز قدما سهده
لولا الهوى لاقيت مني أغلبا مستبلاً صعباً يكون مقوده
أيدت بالحسن وسطان الورى (عبد الحميد) ربه مؤتده (٢)
ولى علينا عادلاً متصفاً لكل مظلوم أتى يستنجد
(عبد اللطيف) ذلك الشهم الذي يسترفد التيار من يسترفده
يا ملركاً شأو علا وسودد يفوت سبق الطالين أمسه
طوبى لاهل كربلا فانهم فازوا ببحجج كرم محتده
جلوت اذ أجريت ماء نهرهم همومهم فليشكرن من يرده
وكيف يعصيك القرات بعلمنا اصبح من فيض نذاك مدده
أجرى لنا عبد اللطيف منهلاً كجوده أرّخت (ساغ مورده) (٣)

(١) ديوان ابي المحاسن (التجف ١٣٨٣ هـ) ص : ٣٩ .

(٢) هو السلطان العثماني عبد الحميد الثاني .

(٣) ديوان ابي المحاسن ص : ٦٥ - ٦٧ .



الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

اين الذين يبشرهم وينشرهم
يحيا الرجاء وتأرج الارجاء
ضربوا بعرضه كربلاء خيامهم
فأطل كرب فوقها وبلاء
لله اي رزية في كربلاء
عظمت فهانت دونها الارزاء

الامام الشيخ محمد الحسين
كاشف الغطاء

* * *

يا هل ترى مضرأ درت ماذا لقت في كربلاء ابناؤها وبناتها
خفرت لها ابناء حرب ذمة هتكت لهسم ما بينها خفراتها
جارت على تلك المنيعات التي تهوى النجوم لو انها جاراتها

* * *

الى ان دبت تسري بسم نفاقهم الى كربلاء رقص الافاعي النواث
فأخنت على آل النبي بوقعة بها عاث في شمل الهدى كل عايب (١)

الشيخ محمد علي كمونه

فواحزني اذ لم اكن يوم كربلاء قتيلا ولم ابلغ هناك مآربي
فان غبت عن يوم الحسين فلم تغب ينو أسد أسد الهياج أقاربي (٢)

* * *

(١) مقتل الحسين - للامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء (النجف) ط - ١ .

(٢) ديوان ابن كمونه ص ١٢ .

لله طائفة بعريصة كربلا بفنائها طاف البقا بصفائها
فئة اباة الضيم تلري انها ورثت اباة الضيم من آباها ... (١)
عن كربلا وبلائها سل كربلا سل كربلا عن كربها وبلائها ... (٢)

* *

بكر الغمام فجاء عريصة كربلا ارضاً بها نور الهداية يغرب ... (٣)

* * *

وقال في بناء مرقده ابي الفضل العباس (ع) مؤرخاً عناية السلطان عبد
المجيد خان بينائه :

مأوى، ابو الفضل عباس مؤى فيه مأوى تود الثريا ان تدانيه
قصر مشيد وبیت عزّ جانبه من ان يساويه بيت او يضاهيه
عبد المجيد علا سلطانه شرفاً وزاده بسطة في الحكم باريه
ارسى على الشرف الاعلى قواعده فجازت الفلك الاعلى اعاليه
أنى يضاهى علا قل يا مؤرخه (مأوى ابي الفضل والسلطان بانيه)

سنة ١٢٦٦ هـ (٤)

مرسي شاکر الطنطاوي

في كربلاء ماتم لا تنتهي
حتى يداهمنا الحمام صوولا (٥)

- (١) ديوان ابن كمونة ص : ١ .
- (٢) ديوان ابن كمونة ص : ٣ .
- (٣) ديوان ابن كمونة ص : ٩ .
- (٤) ديوان ابن كمونة ص : ١٠٣ .
- (٥) مسرح العين ص ٢٦

مصعب بن الزبير (متمثلاً)

وان الألى بالطف من آل هاشم تأسوا قسنتوا للكرام التأسيّا (١)

معن بن أوس المزني

إذا هي حلت كربلاء فلعلماً فجوز العذيب دونها فالتوايح
فبانت نواها من نواك وطاوعت مع الشائين الشائات الكواشحا (٢)



مهدي الجواهري

مهدي الجواهري

ابت سورة الاعراب الا وقية
بها انتكص الاسلام رجعا الى الورا
ونكس يوم الطف تاريخ امة
مشى قبلها ذا صولة متبخرا

• •

واحسب لولا أن بُعد مسافة زوت عندما لاقى الحسين وما جرى
ولولا ذخول قدمت في معاشر تقاضوا بها في الطف ديناً موثقرا
لزعزع يوم الطف عن مستقره وغير من تاريخه فتطورا... (٣)

*

وفي اشارته إلى المؤتمر العراقي الشهير الذي انعقد في كربلاء في
شعبان سنة ١٣٤٠ هـ وضم سائر طبقات العراقيين على اختلافهم

(١) انساب الاشراف (اورشليم سنة ١٩٣٦) : ٥ - ٢٣٩ .

(٢) معجم البلدان : (مبهر) و(النوايح) .

(٣) ديران الجواهري مطبعة الغري سنة ١٩٣٥ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ .

٢٤٠ نقّاد عباس

للاجتماع والمداولة مع فيصل بن الحسين ، قال الجواهري يذكر جهود علماء النجف وكربلاء وزعماء العشائر :

تذكرُ لعل اذكّار العهود يراح به نفس رازح
غداة استضمتك في كربلاء واياهم المجلس الفاسح
هم القحوا الامر حتى اذا تمخّض لم يمنه اللاقح
فيا جبر الله ذاك الكسير ويا خسر الصفقة الرابع ... (١)

* *

فداء لثواك عن مضجع تنور بالابلج الاروع
باعتق من نفحات الجنان روحاً ومن مسكها اضوع
ورعياً ليومك يوم الطفوف وسقياً لأرضك من مصرع (٢)

* *

مهيار الديلمي

ابا حسن ان انكروا الحق واضحاً على أنه والله انكار عارف
سلام على الاسلام بعدك انهم يسومونه بالخور خطّة خاسف
وجدها بالطف بابنك عصبه اباحوا لذك القرف حكمة قارف (٣)

* * *

بآل علي صروف الزمان بسطن لساني لدم الصروف
وليس صديقي غير الحزين ليوم الحسين وغير الأسوف

(١) ديوان الجواهري مطبعة القري سنة ١٩٣٥ ص ١٩٢ .

(٢) ديوان الجواهري (بغداد سنة ١٩٤٩) ١/١٩٣ .

(٣) ديوان مهيار الديلمي (دار الكتب المصرية) ج : ٢/٢٦١ .

كربلاء في الشعر ٢٤١

هو الغصن كان كميناً فهبّ لدى كربلاء بريح عصفوف... (١)

* * *

حمد الجمر ووجدي بيني الزهراء ذاكي
يا ابنة الطاهر كم تُقَشِّرُ بالظلم عصاك
غضب الله نخطب ليلة الطف عراك
يا قبوراً بالغرين الى الطف سقاك
كل مخلول عرى المرزم مخلوب السماك
حامل من صلوات الله ما يرضي ثراك... (٢)

* *

وشهيد بالطف ابكى السماوا ت وكادت له تزول الجبال
يا غليلي له وقد حرم الما ء عليه وهو الشراب الحلال
قطعت وصلة النبي بأن تُقطع من آل يته الاوصال (٣)

* *

اضاليل ساقط مصاب الحسين وما قبل ذاك وما قد تلا
اعية لابسة عارها وان خفي الثأر او حصّلا
فيوم السقيفة يا ابن النبي طرّق يومك في كربلاء (٤)

* *

(١) ديوان مهيار : ج ٢/٢٦٢ - ٢٦٣ - (النصن) في البيت لعلها تصحيف (البغض) أو (الغصن).

(٢) ديوان مهيار ج ٢/٢٦٩ - ٣٧٠.

(٣) ديوان مهيار ج ٣/١٧.

(٤) ديوان مهيار ج ٣/٥٠.

موسوعة العتبات المقدسة (١٦)

السيد موسى الطالقاني

يا نازلين بكربلا كم مهجة فيكم بفادحة الخطوب تصاب (١)

هل نسيت السبط يا بن المصطفى يوم الطفوف
يشتكى حرّ الظما ما بين هاتيك الصفوف

جرّعه عن لذيذ الماء كاسات الخوف
ثم داروا بينات المصطفى كل بلاد (٢)

*

لست انساه طريحاً في محاني كربلا في الثرى يبقى ثلاثاً عارياً منجدلاً (٣)

*

واصرعاً بين اجراع الطفوف وزعت اعضاؤه بين السيوف
قد كسا شمس الضحى برد الكسوف وارتدى البلر عليه بالسواد (٤)

*

كل وادٍ ارى لهم فيه قبراً لشهيد بالسم او لقتيل
قد حوت طيبة من الطيّبين الغرّ ازكى قوم وخير قبيل
وبوادي الغريّ أيّ امام هو دون الانام نفس الرسول
وبأرض الطفوف ايّ قتيل عافر من دم الوريد غسل (٥)

*

(١) ديوانه (النجف سنة ١٩٥٧) ص ٤٨ .

(٢) ديوانه ص : ٥١ .

(٣) ديوانه ص : ٥٣ .

(٤) ديوانه ص : ٥٥ .

(٥) ديوانه ص : ٥٧ .

مير علي أبو طيخ

يا ابن النبي لآنت ارفع جانباً
عن ان يلمّ بوصف كنهكم فمي... (١)
هلا شهدت الطف حين توازرت
زمر الضلال على ابن فاطم ترنمي
من بعد ما صرعت اخاه سيوفهم
فقضى ظما بضفاف نهر العلقم (ي)

نزعت تخطّ بكل نفنف
فلها اديم الأرض مصحف
تأبى مسامرة النسيم
ومن خفوق البرق تأنف
يا خطفة الخف اقصري
ان صافحتك معالم الطف
فيه ابن فاطم زاجراً
اطياره وبه تعبف
ليث اذا شام الظبا
يضاً تغطرس أو تغطرف (٢)

تطوي اللميل على الرسم
وتفلّ ناصية الأديم
تدع البروق وراءها
وتجرّ ارسنة النسيم
فالغرب شرق عندها
والشرق غرب حين نومي
قد شاقها وادي الطفوف
فنكّبت وادي الغميم
تهفو لمعهد فنية
هم نجدة الحي المضميم
غرّ بها ليل الوجوه
قوارع الصيد القروم (٣)

(١) الانواء (النجف) سنة ١٩٤٣ ص : ١٧٠ .

(٢) الانواء ص : ١٧٣ - ١٧٤ .

(٣) الانواء ص : ١٧٨ - ١٧٩ .

للحاج هاشم الكعبي

المتوفى سنة ١٢٣١ هـ

ومطر حون تكاد من انوارهم
نفست بهم ارض الطفوف فأصبحت
لولا السقيفة والذين تبرموا
فنفوا مقام نبيهم عن ربه
لم يلف سبط محمد في كربلا
تطأ الخيول جبينه وضلوعه
كلا ولا راحت بنات محمد
حسرى تقاذفها السهول الى الربي

* *

ان تكن كربلا فحيوا رباها
والثموا جوها الأنيق على ما
واغمروها بأحمر الدمع سقيا
بالله ان جئت الطفوف
من بعد أن قبلت تربته
وشفيت داءك اذ مسحت
ومعارج الأفلاك حيث
وسمعت اصوات الدعاء
فاذكر له الشوق الملح

واطمثنوا بنا نشم ثراها
كان في القلب من حريق جواها
فكرام الوري سقتها دماها (٢)
مبلغاً عني سلامه
واكثرت الشامه
بوجهك العالي رغامه
قيامها يتلو قيامه
وقولهم : لهم الكرامه
وكيف هيّمه (هيامه)

(١) ديوان الكعبي ص : ١٣ .

(٢) ديوان الكعبي ص : ١٥ .

٢٤٥ كربلاء في الشعر

واخبره ان الصب بعد لقاك لم يعرف منامه
ما لذ برد العيش من ذكراه بعدك (وانصرامه)
يشتاق برقاً كلما استعلى عراقياً فشامه
أنفاسه قيد الزفير وسجعه سجع الحمامه (١)

*

تريد من الليالي طيب عيش وهل بعد الطفوف رجاء طيب؟
منقى الله الطفوف وان تناءت سجال السحب مترعة الذئوب
فكم لي عندها من فرط وجد وحر جوى لاحشائي مديب (٢)

(١) ديوان الكمبي ص : ٨٧ ط ٢ .

(٢) ديوان الكمبي ص ١١٤ ط ٢ .

اهم المصادر التي اعتمدها الكاتب

- ١ - تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني
- ٢ - ديوان ابي تمام .
- ٣ - معجم البلدان .
- ٤ - ديوان ابي فراس .
- ٥ - فتوح البلدان (البلاذري) .
- ٦ - ديوان الشيخ جابر الكاظمي .
- ٧ - ديوان السيد حيدر الحلبي .
- ٨ - ديوان دعبل الخزاعي .
- ٩ - ديوان رشيد الهاشمي .
- ١٠ - ديوان سبط ابن التعاويذي .
- ١١ - زهر الآداب .
- ١٢ - لسان العرب .

- ١٣- ديوان الشريف الرضي .
- ١٤ - ديوان الصاحب بن عباد .
- ١٥ - ديوان طلائع بن رزيك .
- ١٦ - الترياق الفاروقي .
- ١٧ - ديوان الحويزي .
- ١٨ - ديوان الاخرس .
- ١٩ - سمو المعنى في سمو الذات .
- ٢٠ - ديوان الشيخ كاظم الازري .
- ٢١ - الاغاني .
- ٢٢ - مروج الذهب .
- ٢٣ - ديوان ابي المحاسن .
- ٢٤ - مقتل الحسين للشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء .
- ٢٥ - ديوان ابن كمونه .
- ٢٦ - مسرح العين .
- ٢٧ - انساب الاشراف .
- ٢٨ - ديوان الجواهري .

٢٤٨ ————— نواد عباس

٢٩- ديوان مهيار الديلمي .

٣٠- ديوان السيد موسى الطالقاني .

٣١- ديوان (الانواء) للسيد مير علي ابي طيبح .

٣٢- ديوان الكعبي .

كسر بلاء في المراجع الغربية

كتبه وترجمه

جعفر الخياط

الحائز على درجة استاذ علوم M.S.C. من جامعة كاليفورنيا
ومدير التعليم الثانوي والمفتش الاختصاصي في وزارة التربية سابقاً
ومدير التعليم المهني العام حالياً

كربلاء في المراجع الغربية^(١)

لأن كانت النجف أول عتبة دينية يقبلها العالم الإسلامي ، بعد مكة والمدينة ، وبقيتها الزوار من جميع أنحاء ، فقد كانت كربلاء ولم تزل تضاهي النجف في ذلك وتعتبر في مقدمة العتبات الإسلامية المقدسة التي يؤمها الزوار من كل حدب وصوب . ولا غرو ، فهي البقعة التي قبرت فيها رفات الإمام الشهيد الطاهرة ، وأهل بيته وصحبه المنضحين الخالدين ، وشهدت أروع معركة في التاريخ جال فيها الباطل على الحق وسقط في حومتها الشهداء من أجل المبدأ القويم .

ولم يقتصر زوار هذا البلد الأمين على المسلمين من ملوك وأمراء ، وعلماء ورحالين ، أو فقراء ومتعبدين ، وإنما كان بينهم عدد من الباحثين والمستشرقين والسياح والرحالين الذين جاءوا إليه من الغرب وقد استهوتهم قدسيته وبهرتهم

(١) هذا جانب آخر من ذكر كربلاء في التأريخ وهو الجانب الذي تناولته المراجع الغربية في كتبها ، ورحلاتها ، وتقاريرها ، وبمعي أن المقصود من ليس غزيلة المراجع الغربية واللاتيان بكل ما هو مذكور في تلك المراجع عن كربلاء ، ولو فعلنا ذلك لما كان حظنا بأقل من حظنا ونحن نستعرض المراجع العربية ولزنا عشرات المجلدات الضخمة ، عشرات الكتاب في مختلف اللغات ، وإنما سمينا لتصور هذا الجانب بمختلف ألوانه لنعطي القارئ صورة تكفي لتضمن له إلمامة بتاريخ هذا البلد في مختلف عصوره في أقوال الغرب بعد أن توفرت له هذه الإلمامة مما استعرضه في أقوال العرب ، وبعد هذه الإلمامة ستأتي التفاصيل للحوادث في مواقعها وفي الأجزاء المختصة لها .
الخليج

روحانيته ، فاجتذبتهم أهميته الفريدة في بابها . وقد كان لابد لهذا البلد الفقد في وضعه وماهيته من ان تخلده الكتب الغربية والشرقية على السواء ، ويستقصي أخباره مشاهير العلماء والمؤلفين . ولذلك سأحاول في بحثي هذا أن أجمع أهم ما كتب من هذا القليل ، مما ينطوي على الطرافة والأهمية التاريخية في الوقت نفسه ، ويدل على ان واقعة الطف التي نشأت عنها كربلاء في وضعها هذا لم تكن في الحقيقة سوى مأساة انسانية عامة لا يقتصر الاهتمام بها على المسلمين والعرب وحدهم .

كربلاء في بداية عهدها

ان أول ما تجب الإشارة اليه في هذا الشأن هو ما ورد عن كربلاء في (دائرة المعارف الإسلامية) (١) التي تلخص الخلاصة الواردة فيها أهم ما يختص بها وبالحير الحسيني المقدس في مختلف العصور والأدوار . ولا شك ان ما جاء في هذه الخلاصة يستند على المراجع العربية في الدرجة الأولى ، مثل كتابات البلاذري ، والمقدسي ، والاصطخري ، والطبري ، وياقوت ، والمستوفي ، وغيرهم . لكنه يستند إضافة الى ذلك ، على ما كتبه الغربيون انفسهم من تحقيق خاص بهم كالمستشرق الالماني المعروف نولدكه في كتابه (٢) بالألمانية عن كربلاء ومشهد الحسين عليه السلام ، والمستشرق البحاثة لسترانج صاحب (بلدان الخلافة الشرقية) (٣) وغيرهما .

وتبدأ هذه الخلاصة بالإشارة الى ان كربلاء تقع في جنوب غربي بغداد على حافة البادية ، في موقع يقابل قصر ابن هبيرة . ثم تشير الى ان اسم كربلاء

- Gible, H. A.R. d Kramers, g. H.— Shorter Encyclopedía of Islam, (١)
Lelden of London, '1961.
Noldeke, A — Das Heiligtum A Husains Zu Kerbala, Berlin '1909(٢)
Le Strange, G.—The Lands of Eastern Khaliphate, London 1930 . (٣)

كربلاء في المراجع الغربية ٢٥٣

نفسه قد تكون له صلة بالاسم الآرامي «كاربيلا» الوارد في (سفر دانيال ٢١,٣) أو بالاسم الآشوري «كاربلاتو» الذي يدل على اسم لباس من ألبة الرأس. غير ان هذا الاسم لم يرد له ذكر قبل الفتح الإسلامي على كل حال. ومن المعتقد ان خالد بن الوليد كان قد خيم في موقع كربلاء نفسه بعد ان احتل الحيرة في أيام الفتح الإسلامي. وفي يوم عاشوراء (١٠ محرم سنة ٦١ هـ) او (١٠ تشرين الأول ٦٨٠ م)، بينما كان الحسين بن علي في طريقه من مكة إلى العراق، الذي كان يعتزم إظهار حقّه فيه، أُجبر على النزول في سهل كربلاء الكائن في منطقة «نينوى»، وهناك اضطر للاشتباك مع قوات الحاكم الأموي في الكوفة فقتل ودفن في الحير. وسرعان ما أصبح المكان الذي دفن فيه جسم سبط الرسول الكريم، بعد ان قطع رأسه، مزاراً مهماً من مزارات الشيعة.

وبالنظر لاختصار ما كان من أمر الحسين الشهيد ومقتله في هذه الرواية، لا بد من ايراد ما يأتي على الموضوع بشيء من التفصيل. وخير ما يمكن الاستشهاد به في هذا الشأن ما كتبه المؤرخ الهندي المسلم الشهير السيد أمير علي بالانكليزية في كتابه (مختصر تاريخ العرب) (١). وكان السيد أمير علي هذا عضواً في مجلس شورى الملك بانكلترة، ومؤلفاً لكتب عدة أخرى كتبها بالانكليزية عن الإسلام وتاريخه منها (روح الاسلام) و(القانون الاسلامي) وغير ذلك. فهو يقول عن موقعة كربلاء وتحليلها ما يأتي :

«... وقد كان الصلح المعقود بين الحسن ومعاوية ينص على الاعتراف

A meer A li — A short History of The Saracens. (١)

وقد ترجمه السيد رياض رأفت في العراق، ونشرته في معرض لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة

. ١٩٣٨

بحق الحسين في الخلافة ، لكن معاوية نقض العهد وأخذ البيعة لابنه فحقن الحسين ، وزاد في حنقه فساد يزيد . وعندما طلب اليه أهل الكوفة ان يعاونهم على رفع نير بني أمية وينقذهم من استبدادهم لبى طلبهم في الحال ، وباستثناء عبد الله بن الزبير الذي شجعه على المسير ليزيحه عن طريقه ويخلو له الجو من بعده فقد حاول جميع أصدقائه ان يثنوه عن عزمه ونصحوه الاً يأخذ بمواعيد العراقيين الذين وان كانوا متصفين بالحماسة وشدة البأس الا أنهم قوم قلوب يعوزهم الثبات والحزم ... غير ان التأكيدات التي وردت اليه من أهل العراق قد حملته على الشخوص الى الكوفة ، فاجتاز الصحراء دون ان يلقي أية مقاومة . وكان يصحبه جماعة من أهل بيته وأصحابه وأتباعه المخلصين وأطفاله ونسائه ، فلما اقترب من حدود العراق لم ير أثرا لجيش الكوفة الذي وعده بالموت دونه . فروّع لتلك المفاجأة ودخلت على قلبه الوحشة من مظهر البلد العدائي ، وشمّ في الجو رائحة الغدر والخيانة فخيّم مع جماعته الصغيرة في الموقع المسمى الآن (كربلا) على مقربة من شاطئ الفرات الغربي . ولم يلبث أن تكشف له الغدر ، وحسرت له الخديعة لثامها عن جيش يزيد بامرة عبيد الله بن زياد بن أبيه . فحاصرت هذه القوة خيام الحسين عدة أيام ، وسدت عليهم منافذ النجاة ، كما حالت بين جماعته وبين الماء .

« لكن جنود عبيد الله لم يجرؤوا بالرغم من كل ذلك على الدنو من الحسين الذي كان قد اقترح على رئيسهم عمر بن سعد ثلاث خصال ، وهي : ١ - اما أن يتركه يرجع الى المدينة . ٢ - أو أن يسيّره إلى حدود الترك يقاتلهم حتى يموت . ٣ - أو يسيره إلى يزيد . غير أن أوامر الطاغية ابن زياد كانت لا تقبل التأويل ، وهي ان يحملوهم إلى الخليفة ليرى رأيهم كمجرمين . ثم عاد الحسين فعرض عليهم أن يبقوا على حياة الأطفال الإبرياء والنساء

كربلاء في المراجع العربية. ٢٥٥

الضعيفات ويقتلوه وحده فيضعوا حداً لهذا القتال غير المتكافئ ، بيد أن الرحمة لم تتسع لها قلوبهم . وعندئذ ألح على أصحابه ان يتركوه وحده ، فرفضوا ان يتخلوا عنه قائلين : « لا خير في الحياة بعدك » . وقد أحجم عن القتال رئيس من رؤساء جيش يزيد حينما تبين ان الدائرة ستلور بلا ريب على ابن بنت الرسول ، وترك الجيش في ثلاثين من أتباعه .

« وكان الحسين في كل التحام يقع يعقد له النصر على أعدائه ، غير أن النبال كانت تحصد أصحابه من بعيد فيسقط الواحد تلو الآخر حتى قتلوا جميعاً الا ابن بنت الرسول الذي تحامل على نفسه ويم وجهه شطر النهر ليطفىء ظمأه ، ، فسددوا اليه السهام ورموه بالنبل ليحولوا بينه وبين الماء . فعاد أدراجه إلى خيمته وأخذ بين يديه ابنه الرضيع فرشقه أحدهم بسهم قضى عليه في الحال . وعلى هذا النحو فتكوا بأولاده واولاد أخيه وهم في أحضانهم ، ولما أرهقه الجزع وألقى نفسه وحيداً خائر القوى حيال أعدائه خرج من خيمته فناولته إحدى النساء بعض الماء لكنه ما كاد يرفع الوعاء إلى شفثيه حتى سددوا اليه سهماً ملأ فمه دماً . فرفع يده إلى السماء يستمطر الرحمة على الأحياء والأموات من جماعته ، ثم هض واقفاً صادق البأس ، ثابت الجنان ، وحمل عليهم حملة مستميتة ففروا من أمامه . لكن الضعف كان قد بلغ منه منتهاه لكثرة ما نزف من دمه فسقط على الأرض ، وفي الحال هجموا عليه واحتزوا رأسه ، ثم حملوه إلى قلعة الكوفة » (١)

ثم يستشهد السيد أمير علي بقول المؤرخ الانكليزي الأشهر غيبون Gibbon الذي يقول عن هذه الفاجعة : « .. إن مأساة الحسين المروعة

بالرغم من تقادم عهدها وتباين موطنها لا بد ان تثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً وأقسامهم قلباً ، ويعلق على ذلك بقوله إن مذبحه كربلا قد هزت العالم الاسلامي هزاً عنيفاً وخلقت في فارس شعوراً ساعد أحفاد العباس فيما بعد على استغلاله لمصلحتهم الشخصية وتقويض دعائم الدولة الأموية . وكان السخط قد بلغ منتهاه في المدينة ، حتى اضطر يزيد الى ان يولي عليها عاملاً خاصاً لتهدة خواطرهم .

ويقول السير برسي سايكس (١) في كتابه (تاريخ ايران) ، عند استعراضه الموجز لموقعة كربلا ، ان الامام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزم على الكفاح حتى الموت وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى أعجابنا واكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا . ويذكر في معرض وصفه «للتشابه» التي تخرج في ايران مع مواكب العزاء الحسيني في يوم عاشوراء ، أنه رأى بعينه ان شخصاً كان يقوم بدور الشمر انقض عليه المشاهدون المتجمعون فأوسعوه ضرباً ولكماً ولم ينتج الا حين استطاع ان يفلت منهم وهو يرتجف خوفاً واهلاً ، ويلتجئ الى الحاكم العام طالباً حمايته ونخباً اياه أنه طباخه الخاص . ثم يذكر انه سمع حوادث متعددة قد وقعت من هذا القبيل وقتل فيها من كان يقوم بدور الشمر .

أول من زار الضريح

ولقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية كذلك انه يلاحظ في أخبار سنة ٦٥ للهجرة (٦٨٤ - ٨٥ م) بعد ذلك ان سليمان بن صرد الخزاعي قد قصد المكان مع أتباعه لزيارة القبر المطهر ، وأقام بالقرب منه نهراً وليلة ،

كربلاء في المراجع الغربية ٢٥٧

كما يلاحظ في أخبار سنتي ١٢٢ هـ (٧٣٩ - ٤٠ م) و ٤٣٦ هـ (١٠٤٤ - ٤٥) ان الزوار كانوا يتقاطرون على الضريح المقدس ويتبركون به . ويذكر نقلاً عن الطبري كذلك ، ان خدام المشهد الحسيني كانوا يتسلمون الهبات الخيرية من أم موسى والدة المهدي الخليفة العباسي .

على ان الدكتور جون هولستر (١) يروي في كتابه (شيعه الهند) خبراً مفاده ان أول من زار قبر الحسين ، بعد مرور أربعين يوماً على دفنه كان الصباحي المعروف جابر بن عبد الله . ويقول كذلك ان إحدى الروايات الشيعية تنص على ان بعض المؤمنين المحيين لآل البيت كان قد أشر على مكان القبر المطهر بزرع شجرة (عنجاص) بالقرب منه . لكن هذه الشجرة قد اجتثت فيما بعد بأمر من الخليفة هارون الرشيد ، وحرثت الأرض المحيطة بها . غير ان بعض النازلين على مقربة من الموقع بادروا الى وضع علامة غير ظاهرة فيه . ثم يذكر ان الضريح المقدس تعرض الى الكثير من التقلبات منذ ان أعاد عضد الدولة البويهى تشييد القبة فوقه ، وخصه بخزينة خاصة ، وان الجدل الموجود في كربلاء كان قد حفر في ٩٥٧ للهجرة .

ويذكر (٢) الدكتور هولستر في مكان آخر ايضاً ، أي في معرض البحث عن شهاب الدين أحمد شاه ولي ملك الدكن (١٤٢٩ م) ، ان سيداً بارزاً من سادات كربلاء يدعى ناصر الدين ، زار هذا الملك في الهند وتسلم منه مبلغاً كبيراً من المال لإنشاء قناة في كربلاء . ويورد في هذه الاثناء قصة طريقة مفادها ان رجلاً من أشرف الدكن تجاوز على هذا السيد وأنزله من

(١) Hollister, John Norman - The Shi A of India, London 1953. المص ٦٤

(٢) المص ١٠٨ ، المرجع الأخير .

فوق فرسه بالقوة ، لأنه شعر بأنه لم يقدر تقديرًا كافياً عند زيارة السيد المشار إليها . فشكا السيد هذا الرجل الى الملك ، فلم يكن منه الا ان يبعث عليه فيزجه بين أرجل الفيلة لتسحقه حتى يموت . ثم خاطب من كان حوله من الرجال بقوله ان الاهانة التي توجه لرجل من سلالة النبي الكريم لا بد من ان يقتض لها من فاعلها على هذه الشاكلة ، وان حماية الاسلام ورجاله لفرض على الجميع .

هدم المتوكل لقبر الحسين

ومما جاء في دائرة المعارف الإسلامية أيضاً ان المتوكل العباسي كان قد عمد في ٢٣٦ هـ (٨٥٠ - ٨٥١) الى هدم الضريح المطهر في كربلا وملحقاته ، وزرعه بعد تسوية أرضه . ثم منع زيارة المكان وغيره من البقاع الشيعية المقدسة ، وهدد الزوار بفرض عقوبات صارمة عليهم . على ان المعروف في المراجع العربية ان الخليفة المتوكل هذا قد أمر بهدم قبر الحسين ونحوه وحرثه أربع (١) مرات متتاليات خلال مدة حكمه البالغ حوالي خمس عشرة سنة (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) ، بعد ان كان الخليفة المأمون على ما يعتقد قد أمر بتعمير القبة وتوسيع الخير الذي كان قد هدم بايعاز من أبيه هارون الرشيد قبل ذلك .

وكانت أول مرة هدم فيها المتوكل قبر الحسين الشهيد على أثر ذهاب إحدى جواريه المغنيات الى زيارة شعبان في كربلا سنة ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) . والمرّة الثانية سنة ٢٣٦ هـ (٨٥٠ م) وهي المرّة التي تشير إليها دائرة المعارف الإسلامية لإشارتها هذه . أما المرّة الثالثة ففي سنة ٢٣٧ هـ ، اي في السنة التالية :

كربلاء في المراجع العربية . ٢٥٩

بينما كانت المرة الرابعة في سنة ٢٤٧ ، فقتل على أثرها بتدبير من ابنه الخليفة المنتصر لأنه كان تقياً ورعاً يميل الى أهل البيت . ويقول السيد امير علي في كتابه (١) المكتوب بالانكليزية المار ذكره ان المتوكل بلغ به كرهه لعلي بن ابي طالب وآل بيته ان هدم قبر الحسين في كربلا وأمر بزرعه وسقيه ، كما منع الناس من زيارته مهدداً من يخالف أمره بأقصى العقوبات . ويلاحظ ان السيد أمير علي يسمي المتوكل من أجل هذا ، وغيره من الاعمال المنكرة ، بنيرون العرب .

هذا والمعروف في المراجع العربية ان المتوكل كان يعهد بمهمة الهدم الى وجل من أصل يهودي اسمه ابراهيم الديزج ، والديزج كلمة فارسية تعني الحمار الأدغم وقد ورد اسمه في عدة مناسبات أخصها القصيدة العصماء التي نظمها الشاعر المعروف ابن الرومي في رثاء العلويين الشهداء وهجاء العباسيين الذي تناول فيه المتوكل وهدمه للقبر المطهر ، كما يلاحظ من الأبيات التالية :

أفي الحق ان يمساو خماصاً وانتم يكاد اخوكم بطنه يتنعج
وتمشون مغتالين في حجراتكم ثقال الخطى أكفالكم تترجرج
وليدهم بادي الطوى . ووليدكم من الريف ريان العظام خدلج
تلدونهم عن حوضهم بسلاحهم ويشرع فيه أرتييل وأبلج
وقد الجمتهم خيفة القتل منكم وفي القوم حاج في الحيازيم حوج
ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابكم منها تهيم (وديزج)
وان دلت أعمال الهدم المتكررة هذه ، وما كان يتبعها من تعمير سريع

(١) الص ٢٤٧ و ٢٤٨ من الترجمة العربية .

٢٦٠ ————— جعفر الحياط

للقبر ، على شيء فانما تدل على انحراف ظاهر في عقلية المتوكل من جهة ، ومدى القوة في عقيدة الرأي العام المسلم الذي كان يأبى يومذاك الا أن يخلد الحسين الشهيد بتعمير ضريحه وتقديس تربته برغم جميع ما كان بريده الغاشمون من اضطهاد وتنكيل .

ولذلك تقول دائرة المعارف الإسلامية انه يلاحظ من اخبار سنة ٣٦٧ (٩٧٧ م) ان مشهداً كبيراً ذا قبة عالية كان موجوداً يومذاك حول قبر الحسين ، وان الزوار كانوا يقصدونه بأعداد كبيرة فيدخلون اليه من الأبواب المختلفة التي كان يوجد واحد منها في كل جانب من جوانبه .

كربلاء في ٣٦٩ - ٧٢٧ هـ

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية بعد هذا ان حملة تآديبية خاصة سيقّت في ٣٦٩ (٩٧٩ - ٩٨٠ م) الى عين التمر (شفانة) للاقتصاص من ضبة بن محمد الأسدي لأنه كان قد أغار مع بعض العشائر على مشهد الحسين في كربلا وغيره من الأماكن المقدسة الأخرى فنهبها وهدمها ، فولى هارباً أمامها الى البادية . وجاء فيها كذلك ان عضد الدولة البويهى قد وضع المشهدين المقدسين في كربلا والنجف خلال السنة نفسها تحت حمايته . وضبة ابن محمد هذا كان يتزعم عصابة من اللصوص وقطاع الطرق في أيام الطائع لله العباسي . ويتخذ عين التمر مقراً له ، فاستطاع ان ينهب خزائن الخاثر ونقائسه تلك السنة ويحدث بعض التخريبات فيه . وفيما يلي نص الخبر الذي أورده ابن الأثير في هذا الشأن : « .. وفي هذه السنة أرسل عضد الدولة سرية الى عين التمر وبها ضبة بن محمد الأسدي ، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق ، فلم يشعر الا والعساكر معه فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريداً ، وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر . وكان قبل ذلك

كربلاء في المراجع العربية ٢٦١

قد نهب مشهد الحسين صلوات الله عليه فعوقب بهذا .. (١) ويبدو ان عضد الدولة قد أمر بعد هذه الحملة بتجديد الخائر وتعميره ، حيث ان ابن الأثير يورد كذلك قوله ان عضد الدولة أصلح في هذه السنة الطريق من بغداد الى مكة ، وأطلق الصلوات لأهل البيوتات والشرف والضعفاء المجاورين بمكة والمدينة ، وفعل مثل ذلك في مشهدي علي والحسين عليهما السلام (٢) . ومما ورد في دائرة المعارف المذكورة كذلك ان الحسن بن الفضل المتوفى سنة ٤١٤ (١٠٢٣) شيد سوراً حول الضريح المقدس في مشهد الحسين . وان حريقاً هائلاً حدث سنة ٤٠٧ (آب - أيلول ١٠١٦ م) على أثر انقلاب شمعتين كبيرتين بالقرب من القبر المقدس ، فتقوضت بذلك القبة والأروقة واستحالت الى رماد . ويلاحظ في المراجع العربية ان هذا الحريق قد وقع في منتصف الليل قضاءً وقدرًا (ربيع الأول ٤٠٧) في عهد القادر بالله العباسي . غير ان الدكتور عبد الجواد الكلیدار (٣) يميل الى الاعتقاد بأن هذا الحادث قد لا يكون وقع عفواً نظراً لما عرف عنه من نزعات وميول متطرفة وبث روح البغضاء بين الطوائف الإسلامية الدينية التي كان يستحصلها من الفقهاء . هذا بالإضافة الى الحوادث المريبة التي وقعت قبيل الحريق بين الطوائف الإسلامية في أفريقية فذهب ضحيتها عدد كبير من الشيعة ، والفتن الداخلية من النمط نفسه التي أعقبت حلوث الحريق . ويستند الدكتور الكلیدار على روايات ابن الجوزي وابن الأثير في رأيه هذا . وتورد دائرة المعارف الإسلامية خبر زيارة السلطان ملكشاه السلجوقي

(١) الص ٢٣٦ ، ج ٨ ، حوادث ٣٦٩ .

(٢) الص ٢٣٤ ، ج ٨ .

(٣) تاريخ كربلاء الص ٢١١ - ٢١٤ .

الى كربلا والنجف سنة ٤٧٩ (١٠٨٦ م) ، وزيارة الأيلخان غازان للضريح المقدس في كربلا سنة ٧٠٣ (١٣٠٣ م) وتقديمه هدايا كثيرة له . ويرى كاتب البحث في هذا المرجع ان غازان خان أو أباه أرغون يعزى الى أحدهما سحب الماء الى منطقة كربلا بشق قناة من الفرات اليها . ولا شك انه يقصد بذلك شق جدول الحسينية الحالي . وتستند هذه الرواية على ما أورده المستشرق الألماني نولدكه في كتابه المشار اليه في صدر هذا المبحث .

وتشير أيضاً الى زيارة الرحالة المغربي المعروف ابن بطوطة الى كربلا في ٧٢٧ (١٣٢٦ - ١٣٢٧ م) وتورد مضمون وصفه لها . ولزيادة التوضيح ندرج فيما يأتي نص الوصف الوارد في رحلة (١) ابن بطوطة نفسها : « ... ثم سافرنا الى مدينة كربلا مشهد الحسين بن علي عليهما السلام ، وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخل ، ويسقيها ماء الفرات ، والروضة المقدسة داخلها وعليها مدرسة عظيمة وزاوية كريمة فيها الطعام للوارد والصادر . وعلى باب الروضة الحجاب والقومة لا يدخل أحد الا عن اذنهم فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة . وعلى الضريح قناديل الذهب والفضة ، وعلى الأبواب أستار الحرير . وأهل هذه المدينة طائفتان : أولاد زحيك ، وأولاد فائر وبينهما القتال أبداً . وهم جميعاً لإمامية يرجعون الى أبي واحد ، ولأجل فتنتهم تخربت هذه المدينة . »

ومما جاء في دائرة المعارف الاسلامية علاوةً على ذلك ان حمد الله المتوفى يذكر في حوالى التاريخ نفسه ان محيط كربلا كله كان يبلغ حوالى (٢٤٠٠) خطوة ، وان قبر الحر بن يزيد الرياحي الذي كان أول من سقط من الشهداء في معركة كربلا دفاعاً عن الحسين كان موجوداً في تلك الفترة .

الشاه اسماعيل في كربلاء

وجاء كذلك ان الشاه اسماعيل الصفوي زار كربلاء والنجف في ٩٣٠ هـ (١٥٤٢ م) ، لكن الملحوظ ان زيارته للعتبتين المقدستين في الفرات الأوسط قد وقعت في أثر سقوط بغداد بيد قائده المعروف لالا حسين في ٩١٤ (١٥٠٨) وليس في سنة ٩٣٠. اذ يقول المستر لونكريك في (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث) (١) ان الشاه اسماعيل الذي كان يعجل بنصر بعد آخر بعث لالا حسين لفتحها فكان له ما أراد بسهولة. وبذا خضعت بغداد في أواخر سنة ١٥٠٨ وطويت صفحة أخرى من صفحاتها. ثم يقول (٢) بعد ذلك ان دخول العراق في حوزة العرش الشيعي الجديد جاء بالشاه مسرعاً لزيارة العتبات المقدسة... وحينما زار العتبات المقدسة في الفرات أصالح نهراً من الأنهر فسماه باسمه «نهر الشاه» ، وشيّد بناية فخمة على قبر موسى الكاظم.

ويلاحظ من جهة أخرى ان بعض المراجع (٣) العربية تشير الى ان الشاه اسماعيل الصفوي هذا حينما فتح بغداد في ٩١٤ هـ ذهب في اليوم الثاني لزيارة المشهد الحسيني ، وأمر بتذهيب حواشي الضريح ، ثم أهلى اثني عشر قنديلاً من الذهب. وهذا أول عهد لدخول الذهب على العمارة. ثم جاء الشاه اسماعيل الصفوي الثاني في ٩٣٢ هـ. فأهلى شبكة بديعة الصنع من الفضة لتوضع على القبر. ولعل اشارة دائرة المعارف الإسلامية إلى مجيء

(١). Longrigg, S. H. — Four Centuries of Modern Iraq, London 1925.

الصف ١٧ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

(٢) الصف ١٨ من المرجع الأخير .

(٣) تاريخ الروضة الحسينية المصور — عبد الحميد الخياط ، بيروت ١٩٥٧ ، الصف ١٠ .

الشاہ اسماعیل فی سنة (٩٣٠) یقصد بها هذا الخبر .

على انه لا بد من ان يذكر قبل هذه النبذة شيء عن كربلا في عهد التيموريين إتماماً لتسلسل البحث الزمني التاريخي . فقد جاء في كتاب دونالدسن (١) (عقيدة الشيعة) ، نقلاً عن كتاب (٢) هوارث في تاريخ المغول ، ان التيموريين لم يمنعوا الناس من زيارة مراقد الأئمة القريبة من بغداد ، وان أمراء المغول المتأخرين كان بينهم من سُمي باسم حسن أو حسين ، الأمر الذي كان يدل على تسامحهم تجاه العتبات الشيعية وعطفهم عليها . ثم يذكر ان تيمورلنك حينما وصل إلى بغداد في يوم ١٣ آب ١٣٩٣ فتح الناس أبواب بغداد له ، بعد ان كان السلطان احمد الجلائري قد هرب إلى الحلة . فاضطر جنوده إلى تمشيط البلاد المجاورة للتفتيش عنه حتى عثروا عليه في النهاية ، واصطدموا به في سهل كربلا ، وكان ذلك في يومٍ قاتظ شديد الحرارة ، فلم يؤد الاشتباك إلى نتيجة حاسمة فيما عدا تمكن السلطان من الفرار . وقد خشي الرؤساء التيموريون من الهلاك عطشاً ، ففتشوا عن الماء حتى وصلوا إلى ساحل الفرات في محل يقال له « مشهد » كان الحسين بن علي قد قتل فيه . وهنا قبّل كلٌ منهم عتبة المكان المقدس ، وأدى المراسيم المعتادة التي كان من المألوف ان يؤديها الزوار . وهذا يدل على ان الفاتحين التيموريين لم يكونوا يضمرون أي عداوة تجاه الشيعة ، وغير مبالغين إلى التعرض بأماكنهم المقدسة . وحتى حينما احتلت بغداد ونهبت للمرة الثانية ، بعد ثماني سنوات ، من قبل التيموريين وجرت مذابح خالية من الرحمة بين سكانها لم يرد أي ذكر

Donaldson, Dwight M. The Shi ite Religion, London 1933 . (١)

المص ٦٠ .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية وطبعه ببغداد أمير اللواء المتقاعد عبد المطلب الامين .

Howarth - History of The Mongols III, London 1927. (٢)

كربلاء في المراجع القرآنية . ٢١٥

لتخريب أو هدم أية عتبة من العتبات البعيدة عنها .

السلطان سليمان في كربلاء

وتشير دائرة المعارف الإسلامية أيضاً الى زيارة السلطان سليمان القانوني للمشاهدين المقدسين في كربلاء والنجف سنة ٩٤١ للهجرة (١٥٣٤ م) ، وقيامه بإصلاح جدول الحسينية بحيث استحالت الحقول المدفونة بالرمال إلى جنائن وبساتين من جديد . ويقول المستر لونكريك (١) في كتابه (أربعة قرون ..) ان السلطان سليمان كانت عنايته الثانية أن يزور العتبات المقدسة في الفرات الأوسط ، ويفعل هناك أكثر مما فعله الزائر الصفوي في العهد الأخير . فوجد مدينة كربلاء المقدسة حائرة " في حائرها بين المحل والطفغان . إذ كان الفرات الفاض في الربيع يغمر الوهاد التي حول البلدة بأجمعها من دون ان تسلم منه العتبات نفسها . وعند هبوط النهر كانت عشرات الألوف من الزوار يعتمدون على الاستقاء من آبار شحيحة قلدة . فرفع مستوى « روف السليمانية » - وهي سدة ما تزال تقوم بعملها حتى اليوم - لوقاية البلدة من الفيضان . ثم وسع التربة المعروفة بالحسينية وزاد في عمقها لكي تأتي بالماء المستمر ، ولتجعل الأراضي الخالية المغبرة حولها بساتين وحقولاً يانعة للقمح . وصارت هذه التربة تساق في أرض كان الجميع يظنونها أعلى من النهر الأصلي . فاستبشر الجميع بالمعجزة واقتسم الحسين الشهيد والسلطان القانوني جميع الثناء والأعجاب . وبعد أن زار سليمان قبر الأمام علي في النجف رجع الى بغداد .

(١) المص ٢٠ - ٢٥ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

منارة العبد

وتتطرق دائرة المعارف الإسلامية في بحثها الموجز عن كربلا الى ذكر « منارة العبد » فتقول انها شيدت في ٩٨٢ (١٥٧٤ - ١٥٧٥) ، وانها كانت تسمى « انكوشي يار » (١) ، وان السلطان مراد الثالث أمر والي بغداد علي باشا ونلزاده في ٩٩١ (١٥٨٣) بترميم الحائر وإعادة تعميره . ومنارة العبد هذه هي مأذنة مرجان (مشيد جامع مرجان في بغداد) عبد السلطان أويس الجلثري الذي تعين والياً على العراق فرفع راية العُضيان ضده واستبد ببغداد حتى اضطر السلطان أويس أن يسير اليه من تبريز فيقضي على حركته . وحينما فشلت الحركة التجأ الى كربلا مستجيراً بحرم الإمام الشهيد عليه السلام . فعلم أويس بذلك وصفح عنه ثم استدعاه اليه فأكرمه وأعادته إلى وظيفته والياً على العراق من جديد . وكان حينما استجار بالحرم المطهر قد نذر ان يبني مثدنة خاصة في الصحن الحسيني الشريف اذا خرج ناجياً من الغمة ، ففعل ذلك وبني حولها مسجداً خاصاً ، ثم أجرى لهما من أملاكه في كربلا وبغداد وعين التمر والرحالية أوقافاً يصرف واردها على المسجد والمأذنة ، وأصبحت تلك الأملاك الموقوفة أوقافاً حسينية منذ ذلك الوقت (٢) .

وقد تم ذلك كله في سنة ٧٦٧ للهجرة ، غير ان الشاه طهماسب بن الشاه اسماعيل الصفوي أمر بترميمها وتحسينها في سنة ٩٨٢ ، ولا شك ان هذا التاريخ هو الذي توهم به كاتب الخلاصة الواردة في دائرة المعارف الإسلامية المنقوله أعلاه فاعتبره تاريخاً لبداية تشييد المثدنة . وقد رأى أحد الفضلاء

(١) والصواب انها (انكشت يار) اي اصبح التابع المحب ، والمقصود بذلك هو : ان هذا اثر صغير لا يزيد على اصبع يشير الى ولاء احد الموالين والمحبين . الخليلي
(٢) تاريخ كربلا ، الص ٢٣٣ .

كربلاء في المراجع الغربية . ٢٦٤

ان يؤرخ هذا العمل الخيري بالأبيات التالية :

ثم تداعى ظاهر المنارة للعبء واستدعى له العمارة
فمد كفه لها طهاسب وعُمرت بما لها يناسب
وأرخت ما بين عجم وعرب «أنكشت يار» تعني «خنصر الأحب»
والكلمتان الأخيرتان تنطويان على تاريخ التعمير . وهذا ما يشير اليه
صاحب البحث الوارد في أعلاه ، ويعتبر خطأً انه الأسم الثاني للمنارة .
وقد ظلت هذه المثلثة قائمة في مؤخرة الحائر المقدس ، وسط الجانب
الشرقي من الصحن ، حتى هدمت عن جهل وضلال في عام ١٩٣٧ بحجة
ميلانها الى الانهدام . وكانت مأذنة متينة البنيان يبلغ قطر قاعدتها حوالي عشرين
متراً ، وترتفع إلى ما يناهز الأربعين ، كما كانت مزينة بالفسيفساء النادر
والقاشاني البديع (١) .

كربلاء في القرنين السابع والثامن عشر

ان أهم ما يرد في المراجع الغربية عن كربلاء في هذه الحقبة الطويلة ما
يشير الى النزاع المحتدم بين العثمانيين ، المستولين على العراق ، والإيرانيين
الذين كانوا ينافسونهم فيه . ومن أهم مظاهر هذا التنافس والتناحر مطالبة
الإيرانيين بالعبات المقدسة في مختلف الفرص والمناسبات ، واحتلال الشاه

(١) ومن الخطأ الشائع ان زنجياً قد ألقى بنفسه من أعلى المنارة منتحراً فسميت هذه المنارة باسمه ،
وانه من الجائز أن يكون هنالك من ألقى بنفسه منة هذه المنارة منتحراً او ان زنجياً شجاعاً جمع
المال من الشحاذة وبنى به المنارة ، أما سبب التسمية فهو من الأخطاء الشائعة بين العوام ، والأبيات
الواردة عن تأريخ هذه المنارة مأخوذة من (مجالي اللطف بأرض اللطف) وهو الجزء الثاني من ارجوزة
الشيخ محمد السماوي المتضمنة تأريخ العتبات الأربع بالشعر وقد وضع لكل حادثة تأريخاً بحساب
الجمال ، كما هو الحال في كلمة (خنصر الأحب) البالغ مجموعها ٩٨٢ سنة الخليل

عباس الصفوي لبغداد ، ومحاصرتها من قبل نادر شاه ثلاث مرات ، واستئثار القبائل العربية بالسيطرة على المناطق المحيطة بكربلا والنجف ، وغير ذلك .

فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الشاه عباس الصفوي ما ان تم له احتلال بغداد في ١٦٢٣ حتى سارع في الاستحواذ على المشهدين المقدسين في كربلا والنجف والفوز بهما للدولة الإيرانية على حد تعبيرا . وتتطرق إلى ذكر نادر شاه بعد ذلك فتقول انه زار كربلا في ١٧٤٣ ، وبينما نجد ان هذا الشاه يعزى اليه الفضل في تدمير قبعة الإمام علي في النجف فانه تعزى اليه من جهة أخرى مصادرة الأوقاف والهبات الخيرية العائدة للامامين الشهيدين في كربلا . على ان ازدهار كربلا ورفاهية سكانها الكثيرين كانا موضع رعاية عبد الكريم خان ، أحد الشخصيات المقربة اليه . وتذكر هذه الخلاصة كذلك أن رضية سلطان بكم (زوجة نادر شاه) وابنة الشاه حسين (١٦٩٤ - ١٧٢٢) أهدت مبلغ عشرين ألف نادرني لترميم العتبة في كربلا وترميم مسجدها . وان آغا محمد خان مؤسس الدولة القاجارية في إيران هو الذي صرف على تغليف قبعة الإمام الحسين ومنازتيه بالذهب ، في أواخر القرن الثامن عشر .

وتشير المراجع العربية الى أن الشاه عباس الصفوي كان قد أدخل تحسينات كثيرة على الحائر المقدس وترتيبه ، كما يلاحظ من الأبيات (١) التالية التي تورخ سنة فتحه لبغداد (١٠٣٢ هـ) على أثر حادثة الصوباشي المشهورة :

ثم أتى العباس في الأملاك فصير الصنلوق في شباك
وزين القبة بالكاشاني والبهو في شأن يغبط الشاني

كربلا. في المواجه الغربية ٢٦٩

وروق الرواق والصحن نظم واستجلب الفراش من صنع العجم
وأطلق الكف بفضل وافر لسان الروضة والمجاور
للاثنين والثلاثين قفا ألف فأرخوه (بالحسن صفا) (١)

ومما يمكن ان يذكر بمناسبة استيلاء الشاه عباس على بغداد الخبر التالي الذي قد تكون له علاقة ولو غير مباشرة بكربلا. إذ يشير المستر لونكريك في (أربعة قرون ..) الى ان كليدار كربلا (السيد دراج) استطاع ان ينقذ حياة الكثيرين من سكان بغداد الذين تعرضوا للقتل في أثناء الفتح. فيقول «.. وقد صرفت فكره — عن نياته الوحشية بعدم إبقاء أي سني حياً — التماسات كليدار كربلا. فقد فاز السيد من دون صعوبة بحفظ حياة الشيعة في بغداد، وعند تقديم قائمة بهم أدخل في عدادهم كثيراً من السنة ..» (٢) ومما عثرنا عليه في المراجع الانكليزية بالنسبة لكربلا في أواخر القرن السابع عشر ما أورده المستر لونكريك عن زيارة والي بغداد قبلان مصطفى باشا لها تيمناً وتبركاً، وهو منشئ جامع القبلاية في بغداد. وهو يذكر (٣) كذلك ان فتنة كبيرة نشبت بين الجند الحكومي في حامية كربلا فنهب على أثرها المدينة المقدسة نهباً فظيعاً، على عهد والي بغداد اسماعيل باشا (١٦٩٨) الذي كان حاكماً سابقاً في مصر. فأدى ذلك الى احتجاج الشاه لدى الباب العالي في استانبول، وتحويل الباشا المذكور الى وال بعد شهرين من حكمه فقط.

(١) وهذه الابيات هي الأخرى مأخوذة من (مجالى اللطف بأرض اللطف) للشيخ السماوي الخليلي

(٢) الص ٥٤ و ٥٥ من الترجمة العربية ط ٢.

(٣) الص ٩٠ المرجع الأخير.

ويرد ذكر كربلا فيما كتبه لونكريك (١) عن محاصرة نادر شاه لبغداد عدة مرات ، ومفاوضاته حول العتبات المقدسة في كربلا والنجف ومطالبته بهما (١٧٤٦) مما هو مذكور بشيء من التفصيل في الجزء الأول من (قسم النجف) من هذه الموسوعة . ومما يورده (٢) من الأخبار أيضاً ان الفوضى ظلت ضاربة أطنابها في ضواحي كربلا والحلة مدة من الزمن في أواخر القرن الثامن عشر حتى استطاع والي بغداد سليمان باشا ابو ليلة من إعادة الأمن إلى نصابه فيها .

اما بالنسبة لآغا محمد خان القاجاري فان المراجع العربية تؤيد ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية من أنه صرف على تذهيب القبة والمآذن لأول مرة ، بعد ان كانت مكسوة بالقاشاني الممتاز ، وتزيد على ذلك بأنه صرف أيضاً على توسيع الجانب الغربي من الصحن وجعله بالسعة التي هو عليه اليوم . وكان ذلك في أواخر أيام حياته ، أي قبل الغارة الوهابية الكبيرة على كربلا بعشر سنوات .

هجوم الوهابيين

وكانت الغارات الوهابية التي شنت على كربلا ، والحدود العراقية بوجه عام ، في نهاية القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر قد ذكرت في كثير من المراجع الغربية والشرقية . على ان أهم من أشار إليها ، او تطرق لها بالتفصيل ، دائرة المعارف الإسلامية والمستر لونكريك في كتابه المعروف عن تاريخ العراق الحديث . فقد جاء في المرجع الأول قوله « .. وفي نيسان

(١) الص ١٤٣ و ١٤٤ .

(٢) الص ١٤٨ .

كربلا في المراجع النرية ٢٧١

١٨٠٢ هاجم كربلا ، حينما كان معظم سكانها قد ذهبوا إلى الزيارة في النجف ، اثنا عشر ألف وهاجي برئاسة الأمير سعود فذبجوا فيها ما يزيد على ثلاثة آلاف من السكان ونهبوا البيوت والأسواق ونفائس الضريح المقدس . وقد أخذوا على الأنحص صفائح الذهب بعد أن اقتلعوها من مكانها ، ثم هدموا الضريح المطهر . غير ان التبرعات قد انهالت بعد هذه النكبة الأليمة على العتبة المقدسة من جميع انحاء العالم الإسلامي . »

غير ان المستر لونكريك يسهب في ذكر هذه النكبة ووصفها ويجعل وقوعها في ١٨٠١ . وإظهاراً للحقيقة على وجهها الأكمل لا بد من ايراد روايته بنصها في هذا المجال . فهو يقول :

على أن الفاجعة الكبرى كانت على قاب قوسين أو أدنى ، تلك الفاجعة التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع الأشعبي ، واستعملت باسم الدين . فقد حدث في أوائل سنة ١٨٠١ ان تفشى الطاعون في بغداد ، فاضطر الباشا (سليمان باشا الكبير) وحاشيته للالتجاء الى الخالص حيث ابتعد عن منطقة المرض . وما استتب حاله هناك حتى فوجيء بنبأ من المتفك علم به أن القوات الوهاية تحركت للغزو الربيعي المعتاد . فأرسل الكهية إلى الهندية ، الا أنه ما كاد يغادر بغداد حتى وافت أنخبار هجوم الوهابيين على كربلا ونهبهم إياها ، وهي أقدس المدن الشيعية وأغناها .

إذ انتشر خبر اقتراب الوهابيين من كربلا في عشية اليوم الثاني من نيسان عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بأداء الزيارة ، فسارع من كان في المدينة لاغلاق الأبواب . غير أن الوهابيين وقد قلروا بست مائة هجآن وأربع مئة فارس نزلوا وقسموا قوتهم الى ثلاثة أقسام . ومن ظل أحد الخانات هاجموا أقرب باب من أبواب البلدة فتمكنوا من فتحه عنوةً ودخلوا . فدهش السكان واصبحوا يفرون على غير هدى بل

كيف ما شاء خوفهم . اما الوهايون الحشن فقد شقوا طريقهم الى الأضرحة المقدسة وأخذوا يخربونها . فاقتلعت القضب المعدنية والسياح ثم المرايا الجسيمة . ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات وملوك الفرس والأمراء ، وكذلك سلبت زخارف الجدران وقلع ذهب السقوف وأخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والأبواب المرصعة ، وجميع ما وجد من هذا الضرب فسحبت إلى الخارج . وقتل زيادةً على هذه الأفاعيل قراب خمسين شخصاً بالقرب من الضريح في الصحن . أما البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فساداً وتخريباً ، وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه كما سرقوا كل دار . ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل ، ولم يحترموا النساء ولا الرجال ، فلم يسلم الكل من وحشيتهم ولا من أسرهم . ولقد قتل بعضهم عدد القتلى بألف نسمة ، وقدر الآخرون خمسة أضعاف ذلك . ولم يجد وصول الكهية إلى كربلا نفعاً . فقد جمع جيشه فيها وفي الحلة والكفل ونقل خزائن النجف الأشرف إلى بغداد ، ثم حصّن كربلا نفسها بسورٍ خاص . وعلى هذا لم يقم بأي إنتقام للفعلة الشنيعة الأخيرة التي قام بها العدو الذي لا يدرك . وقد كان ذلك الحادث الأليم للباشا الشيخ في عمره هذا صدمةً مميتة . وانتشر الرعب والفرع في جميع أنحاء تركيا وإيران . وبذلك رجع وحوش نجد الكواسر إلى مواطنهم ثقلاً على أبلهم التي حُمِلت بنفائس لا تثنى .

ويقول لونكريك كذلك في إحدى الحواشي (١) ان مرزا أبا طالب

(١) الص ٢٠٥ ، المرجع الأخير . ان المرزا ابا طالب هذا رحالة هندي مسلم كتب عن رحلاته في آسية وأوربة وإفريقية في ١٧٩٩ باللغة الفارسية ، فترجمت إلى الانكليزية وطبعت في لندن سنة ١٨١٠ ، ثم ترجمت إلى الفرنسية كذلك . وكانت كتابته عن العراق في وصف ماردن فالوصل فكر كوك في بغداد فالعجات المقدسة فالبصرة .

كربلاء في المراجع العربية ٢٧٢

صاحب الرحلة المشهورة يلوم في هذا الحادث عمر آغا الذي لم يعمل شيئاً لحماية البلدة ، وقد قتله سليمان باشا في الأخير . لكن الملاحظ في الرحلة المذكورة نفسها ان عمر آغا هرب إلى قرية قريبة من كربلاء أول ما علم بالخطر فلم يدافع قط ، مع ان الناس كانوا يتهمونه بمخابرة الوهابيين والتواطؤ معهم . ومن طريف ما يرويهِ المرزا أبو طالب في هذا الشأن أيضاً (الص ٣٩٩ من الترجمة الفرنسية) أنه لقي بكربلاء عمته المسماة « كربلائي بكم » ونسوة من حاشيتها ، وكان الوهابيون قد سلبوهن كل ما يملكن فأعانهن هو نفسه بكل ما استطاع من المعونة . ويروي فيها كذلك ان الوهابيين قتلوا في هذا الحادث خمسة آلاف إنسان وجرحوا عشرة آلاف .

هذا ويذهب المستر ريتشارد كوك مؤلف كتاب (بغداد مدينة السلام) الى تأييد هذا الوصف عند ذكره للحادث بصورة موجزة لكنه يضيف اليه قوله ان الحادث الأليم قد أحدث رعباً وقلقاً في بغداد كلها ، وسرعان ما انعكس ذلك في استانبول وإيران . ثم يقول : ان الإيرانيين في الحقيقة قد اشتد هياجهم بحيث ان فتح علي شاه لم يمنعه عن التدخل السافر وسوق الجيوش الى العراق لهذا السبب ، الا لإرسال مبالغ طائلة من بغداد إليه في الوقت المناسب لإرضاء بلجشعه (١) المسنون .

وهناك روايات كثيرة في المراجع العربية تؤيد هذا الوصف وتزيد عليه ، لكن أهم ما نجد ضرورة لايراده من هذه الروايات ما جاء في (تاريخ كربلاء المعلى الص ٢٠) من وصف للحادث ، وإشارة تفصيلية إلى النفائس التي

Coke, Richard — Baghdad The City of Peace, London 1935 (١)

لص ٢٣٦ .

موسوعة التبعات المقدسة (١٨)

نهبها الوهابيون فيه . إذ تقول الرواية « .. حتى إذا جاءت سنة ١٢١٦ للهجرة جهز الأمير سعود الوهابي جيشاً عرمرماً يتألف من عشرين ألف مقاتل وهجم بهم على مدينة كربلاء ... فدخل المدينة بعد أن ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالاً شديداً ، وكان سور المدينة مركباً من أفلاك نخيل مرصوبة خلف حائط من طين . وقد ارتكب فيها من الفظائع ما لا يوصف حتى قيل انه قتل في ليلة واحدة عشرين ألف نسمة . وبعد أن أتم الأمير سعود مهمته التفت نحو خزائن القبر وكانت مشحونة بالأموال الوفيرة وكل شيء نفيس ، فأخذ كل ما وجد فيها ، وقيل انه فتح كنزاً كان فيه جمعة جمعت من الزوار . وكان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفاً محلاة جميعاً بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة ، وأوان ذهبية وفضية وفيروز وألماس . »

« وقيل من جملة ما نهبه سعود أثاث الروضة وفرشها ، منها أربعة آلاف شال كشمير وألفا سيف فضة وكثير من البنادق والأسلحة . وقد صارت كربلاء بعد هذه الواقعة في حال يرثى لها ، وقد عاد إليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعض خرابها وأعاد إليها العمران وريداً رويداً . وقد زارها في أوائل القرن التاسع عشر أحد ملوك الهند فأشفق على حالتها ، وبني فيها أسواقاً حسنة وبيوتاً قوراء أسكنها بعض من نكبوا . وبني للبلدة سوراً حصيناً لصده هجمات الأعداء ، وأقام حولها الأبراج والمعقل ، ونصب له آلات الدفاع على الطراز القديم . »

ولقد أرخ هذا الحادث المروع بالآيات الآتية ، المنقولة عن (بجلي اللطف الص ٤٢) (١) :

(١) وهو الجزء الثاني من أرجوزة الشيخ محمد السماوي الذي سجل جميع الوقائع بتاريخ (المجلد) من حساب ايجد كما هو .
الخليلي

كربلاء في المراجع الغربية ٢٧٥

فشد لا يثني هواه الثاني ومزق الكتاب والمشاني
وهدم الشباك والرواقا واستلب الحلي والأعلاقا
وقتل النساء والأطفالا إذ لم يجد في كربلاء رجلا
لأنهم زاروا الغدير قصدا فأرخوه (بغدير) عدا
ومما يذكره لونكريك عن وفاة الوالي ^١ ان باشا الكبير الذي وقع
هجوم الوهابيين على كربلاء في آخر أيامه قوله ان آخر الضربات التي ركس
بعدها انزعاجه من الطاعون الذي كان قد أخرجه من بغداد ، والرعب الذي
أصابه من فاجعة كربلاء .

في اوائل القرن التاسع عشر

ويذكر لونكريك (١) عن أيام الوالي سليمان باشا الصغير (١٨٠٨ -
١٨١١) ان أخباراً وردت تنبئ بظهور قوة كبيرة من الوهابيين حوالي
كربلاء ، فسببت هذه الأخبار المبالغ فيها هلعاً ورعباً في بغداد نفسها فتسلح
أصحاب الدكاكين والتجار بأجمعهم . الا أن الوهابيين لم يعبروا الفرات ،
وكانت الحقيقة ان قسماً منهم استولوا على شقاعة وغزوا القرى والمرزات
الممتدة إلى الحلة في عبر فرع الهندية لكنهم رجعوا بمجرد وصول الباشا إلى
الحلة . ثم يشير في معرض تهديدات الوهابيين المتكررة للعراق إلى ان عصابة
وهاية سالبة يقودها عبد الله بن سعود ، وصلت إلى ما يقرب من بغداد
في ١٨١٠ . وكان الوكلاء الوهابيون يجيئون « الخوة » (٢) من الرعايا العراقيين

(١) الص ٢١٨ من الترجمة العربية ، ط ٢ .

(٢) والخوة هذه مصطلح للاتاوة كانت شائعة في تلك العصور حتى لقد كان يتعذر استطراد
لمستطرين بين المدن والعشائر دون ان يدفموا هذه الخوة ، وقد يطلقون عليها اسم (السيارة) ايضاً
الخليل

في مستنقعات كربلا عدة سنين خلت من هذا العهد .

وحينما نأتي إلى عهد الوالي سعيد باشا (ابن سليمان الكبير) الذي تولى الحكم في بغداد سنة ١٨١٣ نجد المسترلونكريك يذكر في (أربعة قرون ..) (١) ان داود أفندي (الذي أصبح أشهر ولاية المماليك في العراق بعد سعيد) تولى وظيفة الكهية واضطلع في سنتي ١٨١٣ و ١٨١٤ بسلسلة من الحملات التأديبية على عشائر دجلة والفرات ، فأعاد بذلك الشيخ شفلح الشلال الى راسة زبيد ومر بالخرزل فأرهبهم ، ثم أزال الحصار القبائلي الذي كان يفرض على كربلا في موسم الزيارات على حد قوله .

واقعة نجيب باشا

وأهم ما يرد عن كربلا في المراجع الغربية بعد عهدي داود باشا وعلي رضا باشا الطويلين ، الإشارة الى وقعة الوالي محمد نجيب باشا في كربلا الذي تولى الحكم في بغداد سنة ١٨٤٢ . فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية التي أشرف على تحريرها وإعدادها المستشرقان الشهيران غيب Gibb وكريمز Kramers ، قولهما « .. وبعد إحتلال إيراني موقت لكربلا توفى الوالي نجيب باشا في ١٨٤٣ الى فرض التابعة التركية على البلدة والاعتراف بها بقوة السلاح . وكانت قد تهدمت معظم أجزاء السور في هذه الحادثة . » ثم يعقب بشارة عن كربلا في عهد الوالي المصلح مدحت باشا فيقول إنه بدأ في ١٨٧١ بتشيد الدوائر الحكومية فيها ، لكنها بقيت غير تامة البناء ، ثم وسع السوق في البلدة .

على اننا لا بد من أن نصح ما ورد في هذه النبذة فنقول إن كربلا لم تكن

خاضعة لاحتلال إيراني مؤقت حينما زحف عليها نجيب باشا لفرض سيطرة الحكومة فيها . فان المراجع العربية والغربية الأخرى تجمع كلها على أن كربلاء في ذلك العهد ظلت تتحكم فيها ، وتنحدر حكومتها وحكومة الولاية في بغداد ، عصابات « البرماز » التي سار لتأديبها قبل نجيب باشا الواليان داود باشا وعلي رضا باشا كذلك . لكن المعروف في هذه المرة أن أهالي كربلاء حينما حاصرتهم الجيوش التركية ووقفوا يدافعون عن البلدة انضمت اليهم قوات « البرطاسية » الإيرانية بعددها المحدود . وكانت هذه القوة موكلة بحراسة القنصلية الإيرانية في كربلاء ، وقد جيء بها باتفاق خاص بين حكومة بغداد ومحمد شاه القاجاري لحماية الرعايا الإيرانيين ومصالحهم من قبل . ولعل وجود هذه القوة الأجنبية في كربلاء كان شبيهاً بوجود الزورق البريطاني المسلح في دجلة وحرس السباه الهندي الذي كان موكلاً بحراسة القنصلية البريطانية العامة في بغداد منذ أواخر القرن الثامن عشر .

وخير من يوجز حادثة نجيب باشا هذه من المؤلفين الغربيين المستر لونكريك في (أربعة قرون ..) (١) . فهو يقول « .. وفي ١٨٤٣ وقعت حادثة العقاب الشديد الذي أنزل بكربلاء . ولو تطلعنا ببحثنا الى كربلاء في هذا العهد لرأينا أنها كانت منذ عدة سنوات ملجأً للهاربين الخيلاء من (ماردين) إلى (المحمرة) فكانت بذلك بعيدة » عن حكم الحكومة التركية تقريباً . فلم يتسن الداود باشا ولا علي رضا الدخول إليها . وآلت في سنة ١٨٤٢ حكومتها الداخلية الى رؤساء العصابات من « البرماز » الذين كان يخضع لسوء تصرفهم العالم لمجتهد والحاكم الموجود على حدٍ سواء . وقد ألزم نجيب باشا في أواخر ١٨٤١ البلدة بقبول الحماية التركية وبقائها فيها ، فرفضت وتبع ذلك الرفض

الحركات العسكرية ، فدفع عن البلدة بكل حماسة ، وأعقب العراك في البساتين المجاورة حصار منتظم كانت نتيجه ان دخل الجند الأتراك البلدة ، فارتكبوا فيها شناعات كثيرة سرعان ما بولغ بها . ففرع من ذلك الايرانيون والديبلوماسيون في استانبول .. »

اما خلاصة ما جاء في كثير من المراجع العربية عن هذا الحادث ، ومنها كتاب (العراق بين احتلالين) ، فهو ان كربلا بمقتضى كونها بلدة مقدسة ذات مركز مرموق في العالم الإسلامي ، وحرمة يقتلها الناس في شتى الظروف والمناسبات ، كثيراً ما كانت تصبح ملاذاً للشقاة والهاربين وملجأً للعصاة والخارجين على القوانين ، لأنها كانت حرماً آمناً يعصمهم من الأذى ويجعلهم في منأى عن طائلة العقاب . وقد أدى ضعف الحكومة تجاهها خلال العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر الى ان تتحكم بها عصابات الأشرار الأهلية الذين كان يسميهم الأتراك « يرماز » ، وقد بلغ الأمر بهذه العصابات أنها صارت تعتدي على الزوار وسائر طبقات الناس ، وتتحدى الحكومة الضعيفة . وأخذت تبتز الأموال وتصادر الأملاك وتنتهك الحرمات ، حتى أنها تجرأت في يومٍ من الأيام على أحد المجتهدين (السيد ابراهيم القزويني) وهاجمت داره في حلقة الليل فاخطفته ولم تطلق سراحه الا بعد أن أدى لها مبلغاً من المال يناهز الأربعة آلاف قران ايراني من سكة محمد شاه . كما اختطفت في أيام داود باشا قبل ذلك بنتاً من بنات شاهزادات الأسرة القاجارية المالكة في إيران ، فأدى ذلك الى توتر العلاقات بين الدولتين الايرانية والعثمانية .

وبدلاً من ان يستعين محمد نجيب باشا بالروية والعقل في معالجة المشكل بادر الى استعمال القوة . فقد جرد على البلدة المقدسة قوة كبيرة مجهز بالأسلحة الحديثة ، وحاصرها لمدة خمسة وعشرين يوماً . فاتفقت فئات

كربلاء في المراجع الغربية ٢٧٩

الكربلايين جميعها على الدفاع عن النفس بكل عزم وقوة ، ولذلك لم يجد القائد التركي سعد الله باشا ، أو كرد محمد باشا في رواية أخرى ، بدأ من تسليط نيران مدافعه على السور من جهة باب النجف فحدثت ثغرة واسعة فيه . وعند ذلك تدفقت منها جموع المدافعين الى الخارج ، والتحمت مع الجيش التركي في معركة حامية الوطيس اشتركت فيها الى جانب الكربلايين قوة منجدة من عشائر الفتلة (١) واليسار والمعدان . لكن الجيش التركي تغلب في النهاية ودخلت قواته الى البلدة في اليوم الثاني من أيام عيد الأضحى المبارك .

وحيثما التجأ قسم من الناس والقوة المدافعة الى صحن الامام العباس وحضرته المطهرة تتبعتهم اليهما القوات التركية ، ولم تتورع عن قتل المئات من اللائذين بهذا المرقد المقدس . هذا مع أنها كانت قد أمنت من لجأ الى بيوت الشيعة وبيت السيد كاظم الرشتي ، رئيس الكشفية ، على ما يقال . والمقول في إحدى الروايات ان نجيب باشا نفسه انتهك حرمة المكان المقدس فدخل اليه وهو يمتطي صهوة جواده . وتقلد الروايات المعتدلة ان عدد القتلى بلغ أربعة آلاف نسمة من الأهالي ، وخمسمائة من الجيش المهاجم . وعلى أثر ذلك قبض على السيد ابراهيم الزعفراني رئيس العصاة وجيء به مكبلاً الى بغداد فقصى نحبه فيها بعد قليل ، ثم طورد السيد عبيد الوهاب آل طعمة سادن الروضتين حتى عفي عنه بشفاعه نقيب بغداد السيد علي الكيلاني فسلم نفسه . وقبض كذلك على أشرف كربلا الآخرين بتهمة

(١) أغلب الظن ان المشاركين كانوا من (بني حسن) لبعد آل (فتلة) عن منطقة كربلاء وقرب بني حسن منها ، ولورود اسم قبيلة بني حسن في أغلب العروض التاريخية والوقائع ذات العلاقة بالقبائل في أطراف كربلاء . الخليلي

٢٨٠ . جعفر الخياط

التحريض على هذه الحركة والمقاومة ، مثل السيد صالح الداماد وعلي كشمش وطعمة العبد وبعض السادة من آل نصر الله والتقيب (١) .

بعض مظاهر التجديد

وما ورد في المراجع الغربية عن كربلا في أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر الاشارة إلى ربطها بالعالم الخارجي بواسطة الخطوط التلغرافية لأول مرة في تاريخها . فقد اتفقت الحكومة التركية في ١٨٥٧ ، أي في عهد والي بغداد السردار الأكرم عمر باشا ، مع الحكومة البريطانية على إنشاء شبكة خاصة للخطوط التلغرافية في العراق ، على أن يتولى إنشاءه المهندسون الانكليز ويمولها العثمانيون . وبعد أربع سنوات تم إيصال بغداد بالعالم الخارجي ، ومن بعد ذلك بسنوات قليلة مدت خطوط إضافية بين بغداد والفاو في الجنوب من جهة وبغداد وخانقين من جهة أخرى . وعلى هذا الأساس ارتبطت العاصمة العراقية بایران . وكان الخط التلغرافي الى الفاو يمر بطريق الفرات ، فربط به خط تلغرافي فرعي يصل الى كربلا (٢) والنجف .

هذا وبعد ان أوصلنا مثل هذا البحث الى أيام الوالي المصلح مدحت باشا (١٨٧١) ، الذي بنيت في أيامه اللوائح الحكومية في كربلا وتم توسيع السوق فيها ، لا بد لنا من ان نعود الى اكماله من ناحية أخرى بإيراد ما كتبه الرحالون عنها بعد أن شدوا الرحال لزيارتها .

(١) راجع هذا الشأن الروح المليئة بالتعصب المتجلية في قصيدة هيد الغفار الأخرس عن حملة نجيب باشا التي استنكرها جميع المؤرخين بالنظر لما رافقها من وحشية بلغت منتهى الدروة ، وقد اوردنا القصيدة كاملة في فصل كربلا في الشعر من هذا الجزء .
(٢) كتاب ريتشارد كوك المشار اليه ، ص ٢٧٤ .
الخليط

مشاهدات تكسيرا في كربلاء

وأقدم ما يمكن ان نثبته هنا من هذا القبيل ما كتبه الرحالة البرتغالي المعروف بيدرو تكسيرا (١) الذي قلر له أن يزور هذه المدينة المقدسة ويصل إليها في سنة ١٦٠١ . وكان هذا السنيور من الرحالة الذين طوحوا في الآفاق ، وزاروا المناطق التي خضعت للامبراطورية البرتغالية يومذاك رداً من الزمن ، وعلى الأخص منطقة الخليج وما يحيط بها من الأمصار والبلاد .

وقد أقبل في إحدى رحلاته من جزيرة غوا Goa الهندية متوجهاً الى ايطالية عن طريق الخليج وما بين النهرين فحلب فقبرص . وكان قد سلك طريق البادية من البصرة الى النجف الأشرف بعد ان مرّ بعيون السيد ، والرحبة ، والرهيمة ، وغير ذلك . ومما يذكره عن النجف أنها كانت تخضع في تلك الأيام الى الأتراك الذين كان يدفع لهم أميرها العربي غير شيئاً يسير من الأتاوى . وهو يقصد بذلك ناصر المهنا - أمير جشعم - الذي يقول انه كان يقيم بالقرب من كربلا .

وحينما ارتحلت قافلة (تكسيرا) وجماعته عن النجف توجهت الى كربلا فوصلت إليها في يوم الجمعة المصادف ٢٤ أيلول ١٦٠٤ . وقد نزلت في أحد الخانات العامرة التي كان بناؤها للزوار يعد من الأعمال الخيرية المبرورة . ويقول تكسيرا أن كربلا ، التي يسميها مشهد الحسين ، كانت بلدة تحتوي على أربعة آلاف بيت معظمها من البيوت الحقبية . وكان سكانها من العرب ، وبعض الايرانيين ، والأتراك ، الذين كانوا يعينون للأشراف على المناطق المحيطة

بها كذلك . لكن الأتراك كلهم كانوا قد انسحبوا يومذاك الى بغداد بسبب الحرب مع الايرانيين فأدى ذلك الى رحيل العجم عنها أيضاً لأنهم لم يعودوا يشعرون بالطمأنينة والأمان .

وقد كانت أسواقها مبنية بناءً محكمًا بالطابوق ، وملأى بالحاجات والسلع التجارية لتردد الكثيرين من الناس عليها . وبعد ان يشير الى وجود الروضة الحسينية وتوارد المسلمين لزيارتها من جميع الجهات يتطرق الى ذكر السقاى الذين كانوا يسقون الماء للناس في سبيل الله وطلباً للأجر ، أو إحياءً لذكرى الامام الشهيد الذي قتل عطشاً في هذه البقعة من الأرض . ويقول انهم كانوا يدورون بقريرهم الجلدية الملأى بالماء ، وهم يحملون بأيديهم طاسات النحاس الجميلة . ثم يشير الى تيسر الأرزاق ورخصها ، وتوفر المأكولات والحبوب بكثرة مثل الحنطة والرز والشعير والفواكه والخضروات ، واللحوم ، (١)

(١) ويرجع تأريخ الحصب في كربلا الى أبعد من هذا التاريخ ، والى ما قبل تأريخ وصول الماء الى البلدة فقد دلت الا هوار والبساتين والمزارع القريبة من كربلا والمحيط بها الى ان خصبها قديم ، وقد ذكر خصبها هذا في كتب كثيرة منها رحلة ابن بطوطة وقد عثر في أثناء تمير مراقده الشهداء في حرم ابي عبد الله الحسين على صخرة مبنية في داخل ضريح الشهداء ادوج فيها نص الوقف الذي أجراه الشيخ أمين الدين مما يملك حول كربلا من بساتين ومزارع وأشجار على الحرم الشريف ، وقد أصبحت اليوم تلك الأوقاف ممتلكات مقسمة بين الناس !! ونحن ننقل هنا الكلمة التي كتبناها في العدد ٤٥٦ من سنة ١٩٤٧ في جريدتنا الهاتف التي كانت تصدر في النجف عن كيفية ضياع الوقف ، ومن هذه الكلمة ندرك مبلغ خصب هذه التربة وخيراتها الزراعية ، ولم تزل كربلا للآن على ما وصف (تكسيرا) من حيث كثرة المحاصيل النباتية والحيوانية ، ولربما كانت حتى اليوم من أرخص المدن المراقبة ، وهذا هو ما جاء في جريدة الهاتف عن هذه الوقفية .

الخليط

صخرة داخل الحرم الحسيني

عثر في أثناء الترميمات الأخيرة في الحرم الحسيني على صخرة في داخل شباك الشهداء عليها كتابة يرجع تاريخها الى ما يقرب من ٥٠ سنة تتضمن وقفية قسم من أرض كربلا المجاورة للمدينة مع ذكر -

وإلى لطف الهواء فيها وكون الجو فيها أحسن منه في جميع الأماكن التي أتى على ذكرها من قبل . وقد وجد في كربلاء عدداً من الآبار العامة الحاوية على الماء العذب الجليد جداً وكثيراً من الأشجار ، وبعض أنواع الفاكهة الأوربية على حد تعبيره . وكانت الأراضي فيها تسقى من جدول خاص يتفرع من الفرات الذي يبعد عن البلدة بثمانية فراسخ . وكان هناك بالإضافة إلى ذلك عدد كبير من الأغنام والماشية التي شاهدها ترعى في المراعي المحيطة بالبلدة . وفي نهايتها من جهة الفرات كانت هناك بركتان كبيرتان من الماء مربعتا الشكل ، وهو يعتقد أنهما كانتا قد أنشئتاً للزينة والتسلية ، مستدلاً على ذلك بما شاهده من أطلال بعض الأبنية والملاجيء الموقية من حولهما .

الجهة الموقوفة عليها ولأهميتها نشر النص الكامل للكتابة بلا تصرف :

— بسم الله الرحمن الرحيم —

جريدة الهافت

(وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بصير بما تعملون) .

الحمد لله الذي وفق عباده الصالحين لما يقرهم إليه في الدنيا والدين والصلوة والسلام على سيد المرسلين محمد وعترته الطيبين الطاهرين ؛ وبعد ، فالباحث لتطير هذه الأسطر أنه لما وفق الله تعالى الشيخ المحترم الشيخ أمين الدين ابن المرحوم علي جعفر لحياء المعروفة بالقرمة الجعفرية البائرة العاطلة التي هي ملك جده الحاج ناصر بن ... موسى انتقلت إليه بالارث الشرعي التي هي من جانب الفرات الغربي من جانب مرقد الامام ابن الامام أبي عبد الله الحسين عليه السلام بماله ورجاله وذلك في أيام دولة الأمر الأعظم الاسد الأمجد الأكرم الاعدل الارشد افتخار الأمراء والخوئين والامم جلال الدولة والدنيا والدين باريك بيك برناك وبعد إتمامها حضر لدى حضرة الأمير المشار إليه وطلب منه بتصديق منه بما يكون فيها من المال والديوانية من الاهوار والكروود والشواطىء والمسايح والمدد والسفينة والمطري وما يزرع فيها من النخل والاشجار وغيره مع حلودها بموجب ما قرر في النيشان الذي بيد الشيخ علي مصالح ومصارف الحضرة الشريفة الخاتمية الحسينية على ساكنها التحية والسلام في شمع للأهتراء وشراء البواري والحصر وعسارة وما يكون من المصالح الشرعية الضرورية حسبما يراه المتولي لذلك والتاظر في المصالح الشرعية فأجاب حضرة الأمير العادل المشار اليه مسؤوله وكتب له بذلك نيشان مطاع فمن غيره اوسى في ابطاله فاقه خصمه وحسيه وطلبه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (فتن) بدله بعد ما سمع فانما إثمهم على الذين يبدلونهم ان الله سبحانه عليم) . تحريراً في شهر جمادى الاولى سنة ١٢٧٠ هـ .

سبح وتسمائة ٩٠٧ وصل الله على محمد وآله وسلم .

ولعلها مواقع الأمكنة والمخيمات التي كانت تنصب للزوار في مواسم الزيارات الكبيرة .

وهنا يشير كذلك الى ان كربلا والتجف كانتا تخضعان يومذاك الى المير ناصر المهنا الذي يطلق على نفسه لقب « ملك » كما يشير الى أنه كان تابعا للأتراك الذين كانوا يغتصبون واردات الأراضي الممتدة في المنطقة كلها . ومع هذا فقد شاهد تكسيرا بنفسه الأعراب التابعين للمير ناصر يبيعون في وضح النهار : خيول ، وملابس ، وأثاث ، وأسلحة : اربعة وثلاثين تركيا من رجال الحكومة التركية في كربلا بعد ان قتلوهم وسلبوهم ما يملكون . وهذا يدل بلا ريب على مقدار القوضى التي كانت تضرب أطنابها في تلك الجهات ، وهو يعزو هذا الى انشغال الحكومة يومذاك بالحرب مع إيران .

ومما يذكره في هذه المناسبة أيضاً أنه وجد في الخان الذي كان ينزل فيه أربعين (مسكمانياً) مع ضابطهم الخاص ، و (السكمانيون) هم من الجيش المحلي التابع للحكومة . وقد كان الناس يخشونهم لأنهم كانوا متعودين على التجاوز على الناس في كل فرصة أو مناسبة ، وكانوا من دون وجدان أو ضبط على حد قوله .

وبعد إقامة ثمانية أيام في كربلا توجه تكسيرا الى بغداد مع القافلة في اليوم الثاني من تشرين الأول . فسلكت القافلة طريق الحسينية المعروف على ما يبدو وعينت الفرات من مكان كان فيه خان حصين واسع الأرجاء بعد أن قضوا ليلتهم فيه . وقد تم العبور بعبّارتين خاصتين تقاضى أصحابهما من أفراد القافلة « معدناً » واحداً عن الشخص الواحد أو الحمل الواحد ، وهي عملة نقدية تعادل في سعرها أحد عشر « ماقريدي » أو بنساً ونصفاً . وقد استغرق عبور القافلة من طلوع الشمس حتى العاشرة زوالية قبل الظهر . وهو يقول

كربلاء في المراجع الغربية ٢٨٥

لأنهم وجدوا في الجهة المقابلة ، وهي جهة ما بين النهرين على حد تعبيره ، خاناً كبيراً آخر يقوم في موقع مناسب على الفرات فوق أنقاض مدينة قديمة كانت تسمى « المسيب » على ما يقول . والظاهر ان بلدة المسيب كانت موجودة قبل ذلك التاريخ (١٦٠٤) وتهدمت ، ثم عادت الى الوجود من جديد أو انتقلت الى مكانٍ ثانٍ . وقد كان يبدو للمناظر هناك بقايا سورها المحاط بيساتين وحقول يانعة تستمد ماءها من الفرات بواسطة (ماكنة خاصة تتألف من عدة قرب وتسحبها الثيران) .

وتعليقاً على ما أورده تكسيرا في وصفه لكربلاء ، وتطرقه خلال ذلك إلى سيطرة المير ناصر المهنا عليها لا بد من أن نورد هنا النبذة التالية التي يذكرها المستر لونكريك في (أربعة قرون ..) (١) في هذا الشأن . فهو يقول « .. غير ان قوات البادية التي يهمنها أمرها أكثر من هذا كانت لا تخرج عن كونها حلفين بلويين يمر من مناطقيهما المسافرون من الخليج الى حلب بعدة مراحل من طريقهم . فكان المير ناصر — أي ناصر بن مهنا — في ١٦٠٤ (١٠١٣ هـ) « ملك » القسم الجنوبي الممتد من النجف إلى الفلوجة . وكانت بلدة النجف .. معترفةً بسلطة حاكم البادية هذا . كما كانت كربلاء ، وهي أوسع وأكثر حركةً وليست أقل من أختها تعصباً ، عاصمته ومركز ديرته . وكان يلاقي المسافرين من بغداد إلى الفلوجة ، على بضعة أميال من العاصمة ، وكلاؤه الذين يقبضون الأتاوة « الخاوة » له . وقد اعترف ناصر ، وهو أحد أفراد سلالة من الشيوخ — موالى أو عنزة — مسيطرة في ذلك العهد بولائه للسلطان . ومن المحتمل ان شيئاً من الهدايا التي كان يرسل بها بين حين وآخر للبasha يذكره بهذا العبد الحقير ! غير أن أوتوقراطيته في البادية ،

وجمعه للخواة ، وارهابه للزوار كانت تقص لنا قصة أخرى . وكانت الحاميات التركية الصغيرة تقيم بحسب العادة في العتبات المقدسة ، غير ان مكثهم هناك لم يكن الا بسماح من الشيخ . وفي ١٦٠٤ كانت عاقبة هذه الحامية في كربلاء وخيمة على ما قيل .

كربلاء في رحلة نيبور (١)

وأشهر من زار كربلاء من الرحالين الأوربيين بعد تكسيرا الرحالة الألماني كارستن نيبور ، الذي جاء إلى العراق عن طريق الخليج كذلك في سنة ١٧٦٥ بمناسبة اشتراكه في بعثة استكشافية علمية جهزها فردريك الخامس ملك الدانيمارك وبعث بها إلى بلاد العرب وسائر أنحاء الشرق الأدنى . وقد وصل إلى البصرة في خريف تلك السنة بأمل ان يتوجه منها إلى حلب عن طريق بغداد ، فسللك طريق الفرات النهري وبعد أن مر بالقرنة ، والمنصورية ، والعرجة ، والسماوة ، وابلوم ، والرامحية ، وصل إلى النجف التي يسميها (مشهد علي) ، مع ملا من الملاي الفقراء كان قد استصحبه معه من البصرة .

ثم توجه إلى كربلاء ، أو (مشهد الحسين) على حد تعبيره ، عن طريق الحلة . ثم خرج من الحلة على ما يظهر عن طريق الطهمازية ، لأنه يذكر ذلك بالذات ويقول انها قرية كبيرة محاطة بالكثير من النخيل والبساتين . وقد وصل كربلاء في أواخر أيام السنة الميلادية ، وهو يوم ٢٧ كانون الأول ١٧٦٥ بعد ان استغرق في قطع المسافة بينها وبين الحلة حوالي سبع ساعات على ظهور اللواب . ويقارن نيبور كربلاء بالنجف من حيث كثرة النخيل

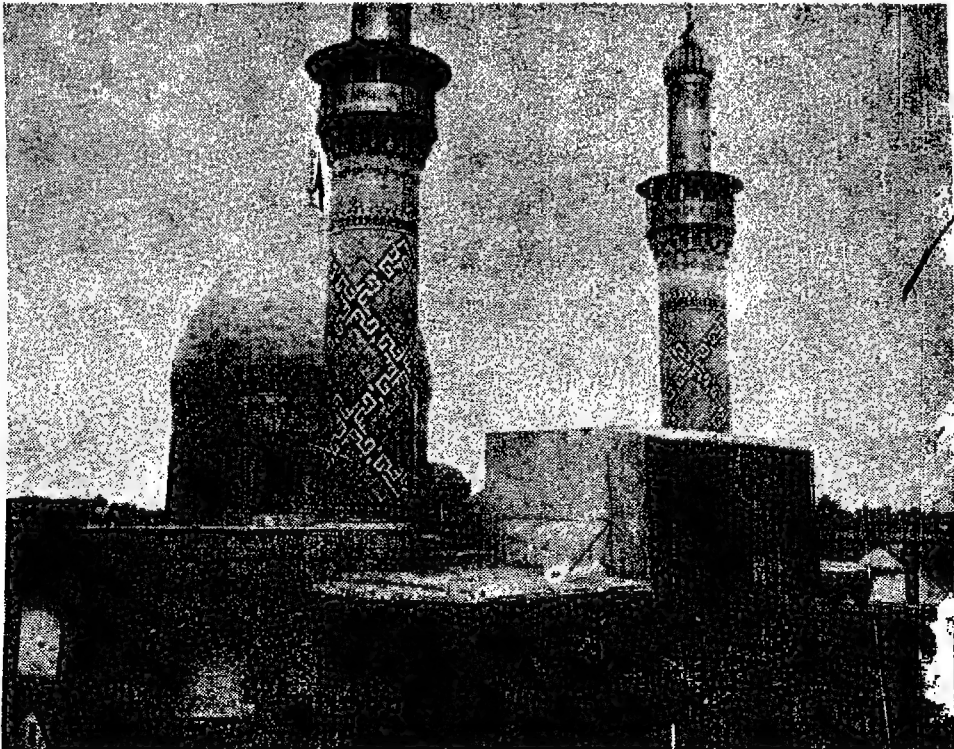
فيها وازدياد عدد سكانها . لكنه يقول ان بيوتها لم تكن متينة البنيان لأنها كانت تبني باللبن غير المشوي . وكانت البلدة على ما يظهر مما جاء في الرحلة محاطة بأسوار من اللبن المجفف بالشمس أيضاً ، كما كانت لها في هذه الأسوار خمسة أبواب ، على أنه وجد الأسوار متهدمة كلها في تلك الأيام الغابرة .

ولا شك أن أهم ما لفت نظره في كربلاء الروضة الحسينية المطهرة التي رسم لها رسماً تقريبياً خاصاً استقى تفصيلاته من الدوران حولها والتقرب اليها ، ومن دخوله اليها في إحدى الأمسيات لفترة وجيزة بصحبة الملا البغدادي الذي كان معه بعد ان لبس عمامة تركية مناسبة في رأسه . والظاهر أنه فعل ذلك في موسم أحد الأعياد والزيارات المهمة ، لأنه يقول ان أطراف الحضرة والصحن كانت مضاعة كلها ، وكان لها بذلك منظر فريد في بابه نظراً للشبابيك الكثيرة التي كانت موجودة فيها . وقد كان ذلك يكاد يكون غريباً في هذه البلاد التي كان يقل فيها زجاج النوافذ يومذاك . وما يأتي على ذكره في هذه المناسبة ان الحضرة تقوم في ساحة كبيرة تحيط بها من أطرافها الأربعة مساكن السادة والعلماء على حد قوله ، ولا شك أنه يقصد بذلك ساحة الصحن الكبيرة . وكان يوجد بين يدي الباب الكبرى شمعندان نحاسي ضخيم يحمل عدداً من الأضوية ، على شاكلة ما كان موجوداً في مشهد الامام علي . لكنه يقول أنه لم يلاحظ وجود الكثير من الذهب في الروضة الحسينية يومذاك ، ولا سيما عندما يقارن ضريح الامام الحسين بضريح الامام علي في هذا الشأن .

ويذكر نيور أيضاً أن العباس بن علي عليهما السلام قد شُيد له جامع كبير كذلك تقديراً لبطولته التي أبدأها في يوم عاشوراء ، وتضحيته بنفسه من أجل أخيه . وهنا يروي قصة العباس المعروفة في الموقعة التي قطعت فيها يداه الكرعمتان حينما اخترق حصار الاعداء الأنحساء لمعسكر الامام الحسين

وذهب ليأتي بالماء إليه وإلى الاطفال والنساء ، ويشير أيضاً الى وجود مزار خاص خارج البلدة في أول الطريق المؤدي الى النجف ، ويقول أنه سُيد في الموضع الذي سقط فيه جواد الحسين براكبه الشهيد ، ويضيف إلى ذلك ذكره لموقع المخيم « الخيمكاه » الذي يطنب في وصف ما شاهده فيه . فهو يقول ان هذا الموقع قد أصبح حديقةً غناء واسعة الأرجاء تقع في نهاية البلدة . وتشاهد فيه بركة كبيرة من الماء ، وموقع هذه البركة هو نفس الموقع الذي كان الإمام العباس قد حفر فيه لايجاد الماء فلم يعثر على شيء منه . ويروي نيبور بالمناسبة ان الناس هناك كانوا يعتقدون بأن ظهور الماء في البركة بعد ذلك يعتبر من المعجزات . وقد أشار إلى وجود هذه البركة الكبيرة في الموقع نفسه الرحالة البرتغالي تكسيرا الذي زار كربلا في ١٦٠٤ ، أي قبل مجيء نيبور إليها بمئة وستين سنة ، كما ذكر قبل هذا . ومما يذكره كذلك ان موقع المخيم كان يوجد بقربه مرقده غير كبير ، دفن فيه القاسم بن الامام الحسن

منظر عام لصحن وقبة العباس القديمة



كربلاء في المراجع الغربية ٢٨٩

عليهما السلام وعدد من الشهداء الآخرين الذين سقطوا في معركة التضحية والبطولة يوم عاشوراء. ويسرد بالمناسبة قصة القاسم الشاب وعمره المعروفة.

ويذكر بالإضافة إلى ذلك ان كربلاء كان يوجد فيها عادةً عدد كبير من الاشرار ، ولا سيما من الانكشاريين المطرودين لسوء سلوكهم . وكثيراً ما كان هؤلاء يعتدون على الأهالي والزوار الايرانيين على الأخص فيسيئون بذلك إلى سمعة الأتراك كما يقول . ولذلك كان وضعهم هذا يستوجب التحفظ والاحتراز بالنسبة للسائح وغيره ، لا سيما اذا كان من الشيعة . ويروي أن أحد هؤلاء حاول التعرض به هو نفسه لأنه كان يحسبه تاجراً أرمنياً ، غير أنه تخاشاه حينما عرف أنه كان رجلاً أوربياً . كما يروي أنه شاهد في أثناء إقامته بكربلاء أناساً كانوا قد عادوا من متابعة السفر بعد ان نهبتهم خيالة الحكومة التي كان يفترض فيها حفظ الأمن وحماية الناس — حامياً حرامياً — ورأى أناساً غير هؤلاء كانوا قد عادوا من الخارج بعد أن سلبهم الأعراب جميع ما كانوا يملكون ...

ومن طريف ما يتطرق إليه نيبور في رحلته إلى كربلاء كثرة طيور الحمام في الجوامع وعدم تحرش الناس بها ، ووجود « التراب » والمسبحات المصنوعة من طين كربلاء ، وصور الأضرحة المطهرة ، والبراق ، والكعبة ، وسيف الإمام علي (ذو الفقار) وما أشبهه . وهو يقول أن (التراب) كانت تصنع في معمل خاص تحتكر فيه العمل لنفسها أسرة من سادات كربلاء ، وكانت هذه الأسرة تدفع مبلغاً كبيراً من المال في كل سنة إلى والي بغداد لقاء هذا الامتياز . وقد طلب نيبور من صاحبه الملا البغدادي أن يشتري له عدداً من التراب بحجمها وأشكالها المختلفة ، فرسمها ونشر صورها في

رحلته المطبوعة بالألمانية في بادىء الأمر . وهو يقول إنها كانت مصبوبة بأشكال جميلة ، كما يقول انه اشترى ورقة ملفوفة يبلغ طولها ستة أقدام وعرضها ثمان بوصات ، وقد كانت مرسومة فيها رسوم الكعبة المقدسة ، والحرم النبوي الشريف ، وأضرحة الأئمة الأطهار ، وغير ذلك من الصور الكثيرة التي تهتم المسلمين بوجه عام وزوار العتبات المقدسة بصورة خاصة . وكانت كلها ملونة ومذهبة بطريقة تكاد تكون بدائية على حد قوله .

هذا وقد عاد نيبور الى الحلة ليتابع السفر منها الى بغداد . وكان في القافلة التي رجع معها ما يقرب من مئتي زائر من زوار العتبات ، وهو يذكر بهذه المناسبة ان الطريق بين كربلا وبغداد كان يستغرق حوالي ست عشرة ساعة ، وأن المسافة منها الى المسيب كانت تقطع بخمس ساعات ، وكانت المسيب على حد قوله قرية على الفرات لما جسر يمتد فوق عدد من السفن . وكانت المسيب الى خان « بير النص » تقطع بأربع ساعات ، ومنه الى بغداد بسبع ساعات .

لوفتس في كربلاء (١)

وقد زار النجف في ١٨٥٣ عالم من علماء الآثار الأنكليز يدعى (لوفتس) بعد ان كان قد زار العراق من قبل في ١٨٤٩ باعتباره عضواً دولياً في لجنة الحدود التي انتدبت لتحديد الحدود وتثبيتها ما بين العراق وايران . وكانت زيارته هذه بمعية درويش باشا العضو التركي في لجنة الحدود الدولية و طاهر بك الحاكم العسكري في الحلة ، مع ثلة من الجنود الأتراك . وبعد

ان انتهى من زيارته للنجف توجه الى كربلاء أيضاً ، بصحبة الشخصيات المذكورة نفسها . وهو يقول ان الطريق المباشر ما بين النجف وكربلاء يمر بجواشي البادية ، لكنه نادراً ما يستطرق خوفاً من نهاية البدو . ويلاحظ المسافر فيه من الجهة الأخرى أهوار الهندية الممتدة على مد النظر . ثم يذكر ان مدخل كربلاء أكثر جمالاً من مدخل النجف ، لوجود الكثير من بساتين النخيل حول المدينة ولأن الأبنية الكثيرة المبنية في خارج الأسوار توحى بشيء أكثر من الطمأنينة والأمان بالنسبة لخطر القبائل البدوية . ويوجد في ضواحي كربلاء كذلك عدد من (الكور) المعدة لصنع الطابوق الذي يشبه طابوق بابل في الشكل والحجم .

وحيثما وصل موكب (لوفتس) وجماعته في صباح أحد الأيام استقبل استقبالاً حافلاً في مدخل كربلاء . فقد خرج الحاكم وبصحبه عدد من الموظفين والوجهاء والمعممين بالعمائم الكبيرة المصنوعة بأنعم القماش من المسلمين وأدقه ، والمزركشة بخيوط الذهب او غير المزركشة ، لتقديم احتراماتهم . وعلى الطريقة الشرقية قال الجميع للضيوف ان يوتهم وجميع ما يملكون تحت تصرف القادمين الكرام . وهو يقول ان هذه الأقوال جميعها ليست سوى مجاملات لا قيمة لها ، أو « بوش » على حد قول العثمانيين . وبهذا الالتفات الزائد دخل لوفتس وجماعته إلى كربلاء خلال عاصفة من الغبار المثار من خيول المستقبلين ووسائل نقلهم ، حتى نزلوا في السراي ، حيث أعلن الحاكم الذي كان على علم مسبق بمجيء الضيوف بأنه سيتشرف بتناول طعام الافطار معهم بعد ان كان قد قدم القهوة و (الغلايين) وكانت أطعمة الافطار تتألف من البلاو (الرز) وقليل من الخضر وات المطبوخة بمختلف الأشكال ، وصحن صغير من اللحم . وكان الطبخ جميعه مطبياً بعصير الليمون ، لكنه كان مشبعاً بأكثر مما يجب من السمن والشحم بحيث

لا يمكن أن يستسيغه سوى الذين كان قد أخذ الجوع منهم مأخذه . ومع ذلك فقد أفرغت الصحن كلها حينما امتدت الأيدي لها . وأنهت الضيافة بتقديم كاسة كبيرة من (الشربت) سرعان ما أدخلت فيها ملاعق الخشب ذات الأشكال الغريبة .

وبعد تناول الأفطار خرجت جماعة المستر لوفتس تطوف في البلدة وتجتول ، قاصدة قبر الإمام الحسين . لكنه يقول ان الأخبار في الشرق تنتقل بسرعة البرق . فقد وصلت الى كربلا أخبار زيارة لوفتس للنجف ودخوله وهو المسيحي إلى صحن الإمام عليه السلام فيها ، بعد ان اصطفت في الباب الكبيرة ثلة الجنود التي كانت ترافقهم بأسلحتهم ، ولذلك وجدوا عند باب الصحن الحسيني الشريف تجمع عدد كبير من الرعاع المسلحين بصورة مخيفة . وكان على رأس هؤلاء درويش مسلح بشكل يلفت النظر على ما يقول ، لأنه كان يترصد حركاتهم على ما يبدو منذ أول وصولهم إلى المدينة المقدسة . ولذلك لم يجد الجميع من الحكمة ان يحاولوا الدخول ، لأنهم رأوا الجمهور المحتشد متهيئاً للمقاومة . على أنهم كان بوسعهم ، على حبه قوله ان يحصلوا على فكرة كاملة عن داخلية الخير من البيوت المحيطة به . غير ان عدداً من خدمهم المسيحيين استطاعوا الدخول مع بعض الخدم المسلمين إلى صحن الإمام الحسين ، لكنهم سرعان ما اكتشف أمرهم فأخرجوا عنوة بعد ان ضربوا ضرباً مبرحاً . ويقول المستر لوفتس إنهم يجب ان يهأوا على خروجهم غير مقتولين بمثل هذه السهولة .

ثم يعمد (لوفتس) في رحلته الى وصف موقعة كربلا ويشيد ببطولة لإمام عليه السلام ، وأهل بيته وأنصاره الذين خروا صرعى معه وعددهم ثمان وسبعون شهيداً . كما يشير الى بقاء الإمام السجاد عليه السلام وتحدّر

كربلاء في المراجع الغربية ٢٩٣

السادة الحاليين من نسله .

ويذكر بعد ذلك ان جامع الإمام الحسين عليه السلام كثير الشبه في تصميمه بمشهد الإمام علي عليه السلام ، لكنه لا يمكن ان يقارن به من حيث النظافة والزينة وال عمران . فان قبة الحسين وحدها مكسوة بالذهب في كربلا ، وان إحدى المنارات الثلاث تبدو متداعية وتوشك على السقوط . ويعلل لوفتس ذلك بقوله ان هذا يُعزى الى احتلال جنود داود باشا والي بغداد لكربلا بالقوة بعد أن أصبحت وكرّاً لعصابات « اليرماز » الذين ظلوا يعيشون فساداً فيها مدة من الزمن ، ويتحدون الأتراك في حكمهم . ولا شك أنه يقصد بذلك وقعة نجيب باشا ، وليس وقعة داود باشا ، التي مر ذكرها بالتفصيل في هذا المبحث . وقد حصلت هذه الوقعة ، التي يشير اليها بشيء طفيف من الاختلاف ، سنة ١٨٤٣ أي بعد داود باشا بعدة سنين ، وقبل مجيء لوفتس إلى كربلا بست سنين فقط (١٨٤٩) .

لكن أهم ما يذكره في هذا الشأن ان طاهر بك ، حاكم الحلة العسكري التركي الذي جاء لوفتس بحمايته لزيارة العتبات ، كان أحد الضباط المشتركين في هذه الحملة المتصرفة بالقسوة والعنف على ما يقول ، وقد حصل على ترفيعه بنتيجة ذلك . وقد روى طاهر للمستّر لوفتس انه كان قد قتل بيده ثلاثة من اليرماز ، بينما أخرج رجاله سبعين منهم من مخابثهم التي التجأوا اليها ما بين الأطفال والنساء فقتلوهم صبراً في أماكنهم ...

وهو يذكر كذلك عن هذا الحادث الفظيع ان علامات هذا الحصار كانت ما تزال ظاهرة للعيان في مختلف أنحاء كربلا . فقد تهدمت الدور المقابلة للسراي ، ولم يعد تشييدها فبقيت دلائل واضحة للخراب والتهديم . وتعرضت المساجد إلى الخراب والتدمير بصورة خطيرة ، فظلت آثار القنابل والشظايا واضحة

للعيان في قباياها ، وجلسران البلدة التي لم تسد الفجوات والثقوب الحاصلة فيها . ولم يسلم النخيل في البساتين من آثار القصف كذلك ، فبقي عدد كبير منه تبدو الثقوب في جذوعه بارزة للمشاهدين ، بينما احترق عدد آخر منه هنا وهناك وتجرد من سفعه .

ومما يشر اليه لوفتس كذلك ان دفن الجنائز التي كان يوثنى بها إلى كربلا كان أشبه ما يكون بما يحصل في مشهد علي بوجه عام ، لكن عددها لا يصل إلى العدد الذي يدفن منها في النجف . والغريب في الأمر انه يقول ان عملية

صورة لنقل الجنائز - منقولة من رحلة لوفتس ١٨٥٠ م



كربلاء في المراجع الغربية ٢٩٥

الدفن لا يبذل فيها الاهتمام اللازم في كربلاء ، لأن الحفر لا تحفر بأعماق كافية ، وإنما تحفر بحيث لا تغطي الجثث المدفونة فيها إلا بالكاد ، وبسرعة تخلو من المراسيم . ثم يقول ان المقابر في الشرق أجمع يعنى بها بوجه عام ، لكنه لم يجد هذه العناية المطلوبة في كربلاء . فالقبور فيها مهدمة البنيان ، والكلاّب يمكن ان تشاهد مع بنات آوى وهي تحفر في داخلها ، وتعبث بقطع من الأكفان والجثث هنا وهناك (١) . ومع جميع ما يلاحظ من مثل هذا العبث والإهمال فان الجثث لا ينقطع ورودها إلى كربلاء للدفن ، لأن الرغبة في الدفن هنا في التربة التي امتزج بها دم الإمام الشهيد تعد أمنية غالية من أمنيات المسلمين ، وهذا الاعتبار يفوق أي اعتبار آخر عندهم .

ويشير لوفتس إلى وجود مصلى صغير خارج أبواب كربلاء ، يقال إنه كان قد أنشئ في المكان الذي شاهد فيه الإمام علي رؤيا معروفة في خيمته . ولذلك يطلق على هذا المصلى « خيمة علي » . وهو بناء إثنا عشري الأضلاع له ستة مداخل ، ومحاط بشرفة لها سقف يستند على أعمدة . وحينما همّ لوفتس ومن معه بالدخول إليه طُلب اليهم ان يخلعوا أحذيتهم قبل الدخول ففعلوا ، لكن الضابط التركي الذي كان يصحبهم لم يلتفت إلى ذلك الطلب فدخل إلى المصلى بجذائه . وحينما اعترض عليه أحد الخدم الموجودين فيه أجابه يقول « إن حذائي لا يقل نظافة عن مصلاكم القدر » !!

ثم يذكر لوفتس ان أسواق كربلاء كانت تملأ بأنواع الحبوب ، وبالسلع

(١) لا تتعلق القضية بالعناية بقدر ما تتعلق بطبيعة الأرض فالأرض في كربلاء رطبة رخوة لا تكاد تحفر فيها الحفيرة حتى تنز بالماء ، لذلك أصبحت المقبرة تدنو من الصحراء وتخرج عن محيط المدينة يوماً بعد يوم بسبب الرطوبة على الرغم من ان المثوية المنشودة في الدفن بكربلاء تقتضي القرب من وسط المدينة ومن ملحق الامام ابي عبد الله (ع) واخيه العباس (ع) والانتصار . الخليلي

التي كان يحملها الزوار إليها من جميع أنحاء العالم . وهي تشتهر بصناعة المصوغات المخزومة ، والحفر المتقن على الأصداغ المستخرجة من مغاصات البحرين في الخليج .

وقد غادر لوفتس كربلا إلى بغداد مباشرة عن طريق المسيب ، لكنه يقول إنه خرج قبيل بزوغ الشمس وسقوط أشعتها الباهتة في أول الأمر على القبة الذهبية ، وقبة العباس المكسوة بالقاشاني الأزرق المعتم التي كانت لا تزال محاطة بغلالة خفيفة من الضباب . فكان لذلك منظر مؤثر في نفسه .

كربلاء في رحلة جون أشر (١)

وقد زار كربلا في سنة ١٨٦٤ المستر جون أشر ، عضو الجمعية الجغرافية الملكية في لندن ، حينما مر بالعراق إلى إيران لزيارة آثار « تخت جمشيد » بالقرب من شيراز . وكان قد وصل إليها عن طريق المسيب التي عبر الفرات من فوق جسرهما المصنوع من الزوارق . فوجد المسيب ذات سوق صغيرة يتيسر فيها الكثير مما يحتاجه الزوار والمسافرون ، وعلى الأخص المأكولات التي تناول منها اللبن الحائر (اليوغورت) والزبد والخبز الحار . وقبل الوصول إلى المدينة المقدسة مر فيها بين البساتين الممتدة على جانبي الحسينية . وهو يقول انه شاهد عدداً من الكروود (التي يسميها مكائن رفع الماء) منصوبة على طول هذا الجدول من الجانبين . وكان المستر أشر قد بعث رسولا قبل وصوله يحمل كتب توصية إلى قائمقام كربلا ، ولذلك فتح باب السور لقافلته عند أول وصولها بعد مغيب الشمس . فمرت ما بين أزقة البلدة الضيقة التي

كربلاء في المراجع القريبة . ٢٩٧

كانت تضییء ظلمتها الفوانیس المعتمة التي بعثها القائمقام لتحمل أمامه .
وحینما وصلوا إلى داره استضافهم فی بیته وأنزلهم فی غرفة خربة تقع فی
إحدى زواياه .

وقد ألقى البلدة عندما تجول فیها خلال الیوم الثاني بلدة ذات حركة غیر
یسيرة ونشاط ملموس برغم عدم اتساعها ، لأن أسواقها كانت تزدهم بالزوار
الذين أتوا لزيارة ضریح الإمام الحسین علیه السلام .

وهنا نجده یسرد فی الرحلة قصة الإمام الشهید مع یزید ، وکیفیه مجیئه
الی كربلا فی طریقہ إلى الكوفة ، وقتله ظلماً وعدواناً من قبل عبید الله بن زیاد
وأتباعه ، ویأتی علی ذکر الكثير من الحوادث التاريخية المعروفة بشیء غیر
قلیل من الدقة والانصاف نقلاً عما كتبه المؤرخ (غیبون) فی تاریخ الإسلام .
ویختتم سرد القصة بقوله ان الشيعة من المسلمين یقیمون فی كل سنة مراسیم
الغزاء الألیمة تخليداً لبطولة الحسین واستشهاده ، فینسون أرواحهم فیها من
شدة ما ینتابهم من الحزن والأسى .

والظاهر ان كربلا قد أعجبت هذا الرحالة ، فهو یقول انه لم یجك فیها
علامات الركود والانحطاط التي شاهدها فی البلاد التي مر بها خلال رحلته .
وقد كان كل شبر متیسر فیها من الأرض مشغولاً بالبیوت المتراسة ، او
التي كانت فی مرحلة التشیید . وقد وجد فیها عدداً من مسلمي الهند مقيماً
فی بیوت قریبة من الضریح المقدس ، كما لاحظ یین الزوار كثيراً من الإيرانيین
والأفغانیین الذين تحملوا مشاق السفر البعید من أجل التبرک بزيارة الإمام
الشهید . وعلى هذا یذكر ان البلدة بالنظر لقدسيتها لا یمكن ان یسمح للمسیحیین
بالاقامة فی داخل أسوارها . فكان من الصعب ان یسمح له ولحاشيته بالدخول
فی بعض الأماكن برغم وجود اثنين من قوامی القائمقام فی صحبته . ولم یسلم

من النظرات الشزراء المخيفة حينما كان يمر بالأسواق والطرق .

وحينما وصل إلى الفضة الممتدة بين يدي الباب الكبير للصحن الشريف للتفرج من بعيد استعجله القواسون خوفاً من تجمع الناس والمتعصبين من حولهم ، ووقوع ما لا تحمد عقباه . على أن أحد القواسين أخذهم إلى دار تاجر من التجار كان قد سكن بغداد رداً من الزمن فاتصل بالمقيم البريطاني فيها لقضاء حاجة له . ولذلك رحب بهم في بيته حينما علم ان المستر (أشر) كان رجلاً انكليزياً ، وأخذهم إلى شباك من شبائك البيت يطل على الصحن الشريف ويتسنى لهم منه ان يلقوا نظرات مطمئنة على الجامع بأجمعه .

ويقول في وصف ما وجده ان ساحة الصحن المحيط بالضريح المقدس ، والمحاظة هي نفسها بالبيوت ، لم تكن مبلطة . وان جناثر المتنفذين من الشيعة والموسرين الذين كان بوسعهم دفع الرسوم والمصاريف المطلوبة كانت تدفن فيه . فان ثمن هذا الامتياز يمكن أن يكلف مبلغاً كبيراً جداً من المال في بعض الأحيان ، ومن الممكن في بعض الحالات دفن بعض الناس بالقرب من الضريح المطهر كذلك بعد دفع مبالغ باهظة . لكن المألوف على ما يقول هو ان تزور الجناثر التي يوثى بها إلى كربلاء ويطاف بها حول الضريح المقدس ، ثم تؤخذ للدفن في أي مكان آخر من المقابر المعروفة في البلدة . ونجني الحكومة التركية

صورة لفافلة الجناثر في طريقها الى كربلاء منقولة من رحلة جون أشر



ضريبة قليلة على الجنائز في باب البلدة ، لكن محاولات كثيرة كانت تجري بين حين وآخر للتهرب منها بطرق شتى . وهو يروي بعض القصص في هذا الشأن . لكنه يذكر بالمناسبة ان الجهات المسؤولة في باب المدينة لا تسمح بادخال عدد كبير من الجنائز الى البلدة مرة واحدة ، لأنها تصل بأعداد كبيرة في بعض المواسم بحيث يؤدي دخولها الى انتشار الأمراض وازدحام الطرق والأزقة في داخل البلدة بها . فقد تصل في قافلة واحدة من إيران ألف جنازة في وقت واحد ، وكل واحدة منها يكون في صحبتها شخص أو أكثر من أقارب المتوفى . وقد رأى المستر آشرف في طريق عودته إلى بغداد قافلة لا يقل عدد المسافرين فيها عن مئة شخص ، وكان قسم منهم يمتطي الخيول وقسم آخر يمتطي الأبل ، وكانت النساء يحملن في (التخت روان) الذي يحمل على البغال . على ان قسماً كبيراً منهم كان يسافر راجلاً خلال سفرته الطويلة المتعبة . (١)

وبعد ان يصف القبة والمناثر المذهبة ، والجلدران والأفاريز المزينة بالقاشاني

(١) لقد أجمع العلماء الروحانيون على تحريم نقل الجنائز من الأماكن البعيدة لدفنها في التيات المقدسة اذا كان هناك ما يمس حرمة الميت مما كان يقع في السنين السالفة ، ولكن السواد لم يكن يعبأ بهذه الفتاوى فكانت الجنائز تنقل بصور تخالف تحديد الشرع وتسبب انتهاك حرمة الميت فتصلى السيد هبة الدين الحسيني على أثر حادثة من هذه الحوادث الخارجة على حدود الشرع في نقل الجنائز وجمع كل الفتاوى التي تنص على تحريم هذا النقل بتلك الصورة واخرج به كتاباً قبل منتصف القرن الرابع عشر وساق في كتابه هذا أمثلة كثيرة على ما كان يقع في مثل تلك الأيام من نقل الجنائز المحرم فأحدث كتابه هذا ضجة كبيرة ، ولقيت صرخته كما تلقى عادة كل صرخات المصلحين في بادئ الأمر على الرغم مما كان قد تسليح به هذا الزعيم المصلح من الفتاوى التي قالت بحرمة النقل على تلك الوجوه ، ومع كل ذلك فقد بدأت الصرخة تحدث بعض التأثير يوماً بعد يوم حتى لم يعد اليوم شيء من تلك الصور التي اثبتتها السائح (جون آشرف) و (لوفتس) في كتابيهما واصبح نقل الجنائز يجري بالطرق المألوفة في العالم ، فليس هناك من انتهاك حرمة ولا أي شيء مما يرفضه الشرع .

الخليلي

الجميل وغيره بالوصف المألوف المعروف ، يقول إنه ذهب لمشاهدة مرقد الإمام العباس عليه السلام كذلك . فشاهده من سطح أحد المنازل القريبة من الصحن ، وهو يقول إنه كثير الشبه بمرقد الحسين عليه السلام . ويشير في وصفه الى ان الصحن الضيق المحيط بالحضرة كان غير مبسط ، وكان يستعمل



الزعيم الروحاني المصلح
السيد هبة الدين الحسيني

للدفن كذلك . على انه وجد صحن العباس مكتظاً بالمعممين الذين كانوا يجلسون فيه للتسكع وتزجية الوقت ، أو لأداء الصلاة على حدة قوله . ولم يستطع في كلتا الحالتين معرفة شيء عن داخلية الحضرة .

وحينما تجول في الأسواق الضيقة بعد ذلك وجدها محتشدة بالناس الى أقصى الحدود ، وألقى السلع المعروضة للبيع فيها لا تتجاوز حاجات الأعراب المحيطين بالبلدة ولوازمهم مثل الكفافي والأعقلة

والعبي وما أشبه ، الى جانب الأطعمة والموئن . ولذلك كان الزوار يتسوقون ما يحتاجون إليه من أسواق بغداد عادة . على أنهم وجدوا أنواعاً عدة من الأحذية والتعاويد يصنعها الجوهريون في البلدة ويعرضونها للبيع إلى الزوار . وعندما اشترى القواس الذي كان بصحبة المستر (أشر) واحدة منها له انزعج البائع واسترجعها من القواس بغضب لاعتقاده بأن المسيحي لا ينبغي أن يحملها وفي داخلها بعض آيات القرآن الكريم .

وقد تسنى للرحالة وجماعته ان يتجولوا بعد الظهر في البساتين الكاثنة في خارج أسوار المدينة المقدسة ، فوجد فيها سواقي المياه تخرق تربتها الحصبة

٢٠١ كربلاء في المراجع الغربية

بكثرة . وهو يقول ان هذه البساتين تعتبر منتجات مؤنسة لأهالي كربلاء في أيام الصيف ، فهم يخرجون اليها ليجلسوا في ظلها السمين ويتمتعوا بال « كيف » على حد قوله (١) ، الذي يميل اليه الشرقيون بوجه عام ، ويشربوا القهوة والشربت .

مدام ديولافوا في كربلاء

وفي ولاية تقى الدين باشا الثانية في بغداد زارت العراق سنة ١٨٨١ (١٢٩٩ هـ) الرحالة المعروفة مدام (ديولافوا) مع زوجها المهندس المعماري وعالم الآثار الفرنسي مارسيل ديولافوا ، قادمين من ايران فزارا من العتبات المقدسة الكاظمية وكربلاء ، وكتبت في رحلتها (٢) شيئاً عنهما . وقد ذهبت إلى كربلاء عن طريق الحلة خلال كانون الأول ١٨٨١ ، وبعد ان زارت مع زوجها وأصحابها آثار بابل توجهت اليها . وهي تقول ان كربلاء تعد من مراكز الشيعة المهمة ، وان فيها عدداً من المدارس الدينية الكبيرة التي يقضي فيها طلبة العلم عشرين سنة أو أكثر في بعض الأحيان . ويلاحظ مما ورد في الرحلة ان الليل أدرك القافلة والمطر يتساقط عليها ما بين الحلة وكربلاء ، فاضطرت الى النزول في قرية صغيرة تبعد عن الأهوار المحيطة بالطريق بمسافة لا تزيد على الكيلومترين . وهناك نزلت في خان صغير يحيط به عدد من الدكاكين ، وتنبه بعض الفوانيس النفطية . ولعلها تقصد أحد الخانات

(١) والمقصود بالكيف هنا مجرد المتعة كما هو المتعارف عليه في اصطلاح الناس العام على ما نظن

الخليجي
Madame J. Dieulafoy — La Perse, La Chaldée, et la Susiane (٢)
(Paris 1887).

وقد ترجمت هذه الرحلة الى الفارسية ، ثم ترجم ما يخص العراق منها الى العربية وطبع في بغداد سنة ١٩٥٨ (مطبعة أسعد) .

الموجودة في الطريق بين كربلا والنجف (١).

وقبيل ان تصل قافلة المدام (ديولافوا) في صبيحة اليوم الثاني الى كربلا ، مرت في طريق زاهر تحفه البساتين والحدائق ، وتكتظ في جانبيه أشجار النخيل والليمون . وكانت حركة المرور نشطة في هذا الطريق ، كما كان الكثيرون من المارة نسوة يمتطين الدواب او يقطعن الطريق سيراً على الأقدام . وحينما وصلت القافلة إلى باب البلدة القديمة ، التي كانت تمتد بين يديها ساحة واسعة الأرجاء ، لاحظت المدام ديولافوا وجود عدد غير يسير من الحجّارين الذين كانوا منهمكين في صقل أحجار القبور والكتابة عليها بحيث تكون جاهزة للبيع إلى أصحاب الجنائز التي ترد بكثرة من الخارج للدفن في المدينة المقدسة . وكثيراً ما كان هؤلاء الحجّارون يحيطون بالجنائز الغراء ويلحون عليهم في بيع ما عندهم من بضاعة إليهم . وبعد أن يتم الاتفاق على الثمن ، كانت تكتب الأسماء على الأحجار فتؤخذ لتبنى فوق القبور .

وتقول المدام ان حراس الباب لم يسمحوا لها ولجماعتها بالدخول منه ، بل أشاروا عليهم بالدخول من خلف السور والنزول في البيوت الحقيمة الكائنة في آخرها . وحينما ذهبوا في طريقهم إلى هناك مروا بالكثير من غيمات الزوار الفقراء الذين لم يكونوا يستطيعون دفع الأجور اللازمة إلى أصحاب المنازل والحنانات . وقد اضطرت الى النزول في منزل قذر مظلم

(١) أغلب الظن أن موقع هذا المكان كان بين طويريج (الهندية) وكربلا ، فقد كان يمتد إلى جوار هذا الطريق (هور) أقام عليه سليمان باشا سداً وسي هذا المور بالسليمانية ، ويقوي هذا الظن الطريق الذي وصفته المدام (ديولافوا) وهي مقبلة على المدينة بكونه طريقاً زاهراً تحفه البساتين والحدائق ، وتكتظ في جانبيه أشجار النخيل والليمون وهو وصف ينطبق على هذا الجانب الممتد من (الرجبية) إلى كربلا ، وليس بين أحد المغانات القائمة في طريق النجف وكربلا ما ينطبق عليه هذا الوصف .

الخليلي

٢٠٢ كربلاء في المراجع الغربية

ذي حجر ضيقة ، لأن البلدة كانت تزدهم بالزوار ، ولأنها كانت تفضل الإبتعاد عنهم .

وما ان استقر بها المقام في هذا المنزل حتى صعدت إلى سطحه لتتطلع من فوقه إلى منظر البلدة الفريد على حد قولها ، ولتشاهد من بعيد قبة الضريح المقدس المكسوه بالذهب من الجهة اليسرى ، والقبة المكسوة بالقاشاني الأزرق من الجهة الأخرى وكانت من صنع العهد الصفوي الأخير على ما تقول . ويبدو مما تذكره في الرحلة أنهم قد اعطوا بالحادث الذي كان قد وقع لزوجها في الكاظمية من قبل ، ولذلك كان من رأيهم ان يتأكدوا من كل ما يفعلونه ويعيدوا خطة محكمة يتمكنون فيها من الدخول إلى الحضرة المطهرة التي يقدسها الشيعة غاية التقديس . ومن أجل هذا كله ، وحرصاً على تحقيق ما صرفوا الكثير من أجله وتجشموا المصاعب في سبيله ، فقد جاء زوجها معه من بغداد بعدد من التوصيات إلى رجال الدين والمسؤولين الحكوميين في كربلاء ، وإلى عدد من وجوهها .

وكان أول ما فعلوه أنهم توجهوا إلى زيارة القنصل الإيراني في محله فوجدوه رجلاً لطيفاً رحب بهم وأحسن لقاءهم ، ثم وعدهم بأن يبذل غاية جهده في تحقيق رغبتهم . ولذلك بادر في الحال إلى استدعاء الكليدار للحضور عنده وعرض الأمر عليه . لكن الخادم الذي بعث به سرعان ما عاد إليه ليخبره بأن السيد الكليدار كان قد ترك البلدة منذ مدة « لتغيير الهواء » والترويح عن النفس ، ولا يؤمل رجوعه إلا بعد أسبوع ! غير ان هذا لم يفت في عضدهم بسهولة ، لأن المسيو ديولافوا نفسه أخرج له كتاب التوصية الذي كان يحمله من الوالي في بغداد إلى رجال الحكومة في كربلاء . فتشجع القنصل بذلك وركب لمقابلة الكليدار بنفسه ، والتداول معه في الموضوع العويص ، ووعدهم

بأن يبعث لهم بالنتيجة .

وقد زارهم في عصر ذلك اليوم « جماعة من القراء وأصحاب العمام » ، وبعد أن هناؤهم بسلامة الوصول ورحبوا بهم تركوا الحديث إلى أحدهم . فأخذ هذا يسهب ويطنب في القول ، ويصف سرور القنصل الإيراني لو شرفوه بالنزول في بيته ، ومقدار الشرف الذي أصاب الكليدار بتسلم التوصية من الباشا الوالي في بغداد . ثم أفاض بحديثه عن جلال الضريح المقدس الذي زاره شاه إيران مشياً على الأقدام (كان ناصر الدين شاه قد زار العتبات قبل مجيء مدام ديولافوا) ، وطلب اليهم ان يشكروا الله على هذه الفرصة الذهبية التي سنحت لهم في المجيء إلى هذا المكان الذي لم يُسمح لغيرهم من الأجانب قبل هذا به . وبعد اللتيا والتي عرض عليهم فقط أن يشاهد المشهد الشريف من سطح احد الدور القريبة اليه ، بشرط ان يضعوا فوق رؤوسهم الطرايش التركية الحمراء دفعاً للشك والريبة بهم .

غير ان المسيو ديولافوا اعتذر عن وضع الطربوش التركي فوق رأسه بأي حال من الأحوال ، وهو الذي كان لا يكره أحداً بقلير ما يكره الأتراك أنفسهم على ما تقول زوجته المدام في رحلتها .

فبدا أن زوارهم قد اقتنعوا بوجهة نظره ، وضربوا لهم موعداً في صباح اليوم التالي بأن يأخذوهم إلى الدار المجاورة . لكن اليوم التالي (٢٨ كانون الأول ١٨٨١) قد حل ولم يأت إليهم أحد في الموعد المضروب ، فخرجت المدام وزوجها للتفرج على البلدة .

وهي تقول إنهم مروا بعدة مقابر متسعة ، كانت تظللها الأشجار الكثيرة . وقد لاحظوا ان بعض المقابر هذه كانت للتجار . وسراة القوم ، وهي مظلة بالأشجار وقريبة من حدود الصحن الشريف ، وان بعضها الآخر كان للفقراء ومو

كربلا في المراجع الغربية ٢٠٠

وهو الذي يمتد إلى خارج البلدة : وتذكر كذلك أنهم كانوا يصادفون أصحاب العمائم من مختلف الأعمار أينما اتجهوا في البلدة . وتضيف إلى ذلك قولها ان كربلا كانت عبارة عن جامعة دينية كبيرة يقصدها طلبة العلم من كل حدب وصوب في أنحاء العالم الإسلامي . فيقصون معظم مني حياتهم فيها . وان هؤلاء كانوا يعيشون على الحبات والتبرعات التي يقدمها الناس من مختلف الطبقات عن طيبة خاطر . ثم تنطرق إلى ما كان يقدم للحضرة المطهرة من أثاث فاخر وسجاجيد ثمينة ، وأوان نفيسة ابتغاء مرضاة الله والفوز بالثواب .

على ان الطريف في الأمر ، أنهم حينما عادوا إلى المنزل وجدوا بانتظارهم رجلاً جاء يفاوضهم بلبس الطربوش من جديد متجاهلاً جميع ما سبق ان اتفقوا عليه من قبل . فضاق المسيو مارسيل ذرعاً بهذا المطل والتملص . وقرر الرجوع في الحال إلى بغداد ، فعاد بخفي حنين .

زيارة جون بيترز (١) لكربلاء

وفي ١٨٩٠ تسنى (لجون بيترز) . رئيس بعثة بنسلفانيا للتنقيب عن الآثار القديمة في نقر (منطقة عفج) ، ان يزور كربلا بعد ان زار النجف قادماً من السماوة . وفي طريقه من النجف الى كربلا مر بخان كان يجري بناؤه على نفقة رجل من المحسنين يدعى مرزا (٢) ، وكان قد انتقل مؤخرآ

Peters, Gohn P. - Nippur & Explorations 9 Adventures (١)
on the Euphrates 1888 - 1890, London & New York 1897, vol II.

الجزء الثاني ، الصفح ٣١٢ و ٣٢٧ .

(٢) هو الحاج سليمان ميرزا من آل ميرزا وهي أسرة نجفية عريقة تنسب إلى بني أسد وكانت له خيرات ومبرات كثيرة ومنها بناء هذا الخان .
الخليلي

موسوعة التراث المقدسة (٢٠)

الى دار البقاء فدفن في النجف . وفي حوالي الظهر وصلت قافلة بيترز الى خان الحماد ، وكان عبارة عن خمس خانات في خان كبير واحد . وقد كان بوسعهم ان يشاهدوا من بعيد عبر أهوار الهندية بلدة الكفل ، وبرز نمرود ، على ما يقول .

وحينما مالت الشمس الى الغروب تابعوا السير إلى كربلا ولم يصلوا إليها الا قبيل الفجر ، وكان سيرهم على ضوء القمر . وقد صادفوا في الطريق عدداً كبيراً من الزوار يركبون الحمير مثلهم ، لأن البغال والخيول كانت قد جمعتها الحكومة لأسباب لم يعرفها بيترز . وكان وصولهم قد تم حينما كان المؤذن يؤذن لصلاة الصبح فخف خادمه عباس ، الذي أصبح متديناً فجأة ، إلى الحضرة ليؤدي الفريضة . فاضطر خادمه الآخر ، الأرمني الذي دخل الحضرة في النجف كذلك مع هذا الخادم ، الى ان يرافقه إليها .

ويقول بيترز ان (نوريان) وهو اسم خادمه الأرمني ، يعتقد ان مشهد الحسين أكبر وأوسع من مشهد علي بكثير ، وفيه الكثير من أعمال الحفر الخشبي ، لكنه لا تكثر فيه الزينة بالذهب ، ولا تغلف منائره بالذهب الا الى جد الحوض فقط . كما أخبره ان الصحن الكبير كانت فيه منارة ثلاثة مزينة بالكاشي البديع ، وهي من تشييد أحد العبيد المعتقين . ولا شك انه يقصد بذلك « منارة العبد » التي مر ذكرها في هذا البحث .

لكن الغريب في ما لاحظناه عن جون بيترز هذا أنه مع كونه رئيساً للبعثة الآثارية التي جاءت للتنقيب ، وبرغم ما يؤمل منه من ثقافة واطلاع واسع في الشؤون التاريخية ، فقد وقع في عدد كبير من الأغلاط الفظيعة بالنسبة لما كتبه في الرحلة . فهو يجهل ان العباس (ع) هو أخو الحسين عليه السلام ، ويقول انه شيخ من شيوخ العرب القساة يشتهر بسرعة الغضب

٣٠٧ ١ كربلاء في المراجع العربية

والشدة !! ويقول كذلك ان الحسين قتل من قبل جنود (معاوية) المنافس له على الخلافة !! وان الجامع الكبير او المشهد الحسيني يوجد في داخله ضريح آخر يقال أنه لاختيه (الحسن) !! الذي هو مدفون في الحقيقة في البقيع في المدينة . ولا شك ان مثل هذا الخلط والخيوط قد اعتمد فيه على أقوال خادمه الأرمني نوريان !!

ثم يذكر ان كربلاء تقع على حافة السهل الرسوبي الخصب الذي يتصل بهضبة الجزيرة العربية . ويبلغ عدد نفوسها حوالي ستين ألف نسمة ، ويبدو انها بلدة مزدهرة . اما القسم الجديد منها الذي انشئ خارج السور القديم ففيه شوارع واسعة وأرصفة منتظمة بحيث تبدو ولها مظهر أوربي حديث . ومع أن اسوارها مهتمة قديمة فان أبوابها كانت لا تزال قائمة تجبي فيها المكوس ورسوم الدخولية .

ومما يذكره كذلك أنهم صادفوا في كربلاء موجة حر شديدة من موجات منتصف الصيف بحيث بلغت درجة الحرارة فيها ١١٠ الى ١٢٠ درجة فهرنهايت في الظل . ولم يستطيعوا مغادرة كربلاء والفرار من حرها لأن شاوول الصراف الذي يدبر شؤونه المالية في الحلة لم يستطع تحويل المبالغ اللازمة له بالسرعة المطلوبة منذ أن فارقه في النجف من قبل . وهو يقول انه نظراً لشدة الحرارة كانت تعلق على الشبابيك في البيوت العامرة طبقات من العاقل المتنع بالماء ، لكن الليالي كانت طيبة بالنسبة له .

ويذكر بيترز بالنسبة لتحويل المبالغ في تلك الأيام انه حينما كان في السماوة صرف جميع ما عنده من مال ، ولما كانت السماوة تخلو من وجود اليهود فيها فانه لم يستطع الحصول على المبالغ التي كان يأمل الحاجة لها . لان كل مكان يخلو من اليهود كان يتعذر تحويل المبالغ أو صرف الحوالات

فيه : او استدانة اي مبلغ من المبالغ بسهولة . ولذلك كتب الى شاؤول الصراف في الحلة ليوافيه بالمال الكافي في النجف . وحينما عزم على السفر الى كربلا فارقه شاؤول الى الحلة ليدبر لإرسال مبالغ أخرى له اليها ، حيث لا يوجد يهودي في النجف أيضاً ولا يمكن ان تصرف الحوالات فيها على هذا الأساس . لكنه وجد التجار الإيرانيين مستعدين للبيع بالنسيئة . فترك النجف وهو مدين (١٥) باوناً .

هذا ويشير بيترز أيضاً إلى أن من الصناعات الخاصة بكربلا صناعة تزوير الآثار القديمة . وهو لا يتورع عن الإشارة في هذا المجال إلى ان الذي لم يستطع شراءه او الحصول عليه في كربلا أو النجف « المشروبات الكحولية » التي قيل له ان بائعها يعاقب بقطع يده اليمنى . على انه يقول ان الموظفين الأتراك كان يوجد عندهم شيء كثير من العرق المحلي الذي يتناولونه برغم تعصب الأهليين ، لأن الأتراك يتبعون حرفة التحريم الشرعي فقط الذي يحرم النبيذ المخمر لا المشروبات المقطرة !! يضاف إلى ذلك انهم كانوا يلتذون باغاضة الشيعة المتعصبين — وكان الشيعة في مقابل ذلك يكرهون الأتراك على حد قوله ويمقتونهم ، ويرحبون بأية دولة « كافرة » تستطيع إخراجهم من البلاد لأنهم يعتقدون أن الأوربيين برغم « كفرهم » يحكمون بشيء أكثر من العدل ويحسبون الحساب لتعصب الأهليين .

وقد وجد بيترز الأغنام النجدية لأول مرة في كربلا ، وهي الأغنام التي يكون لها صوف طويل جداً حريري الملمس . وهذه تكاد تشبه في شكلها الماعز مع الاحتفاظ بسيماء الخرفان البلدية ، وذنبها الدخني الضخم أي الألية التي تتميز بها الأغنام الآسيوية .

وآخر ما يذكره عند كتابته عن كربلا ان الزوار الإيرانيين يأتون عادة

كربلاء في المراجع الغربية ٢٠٩

إلى بغداد أولاً ، ومنها يزورون الإمام موسى الكاظم القريب منها . ثم يقصدون كربلاء والنجف . ومن ثم يتوجهون إلى الرجة التي يذهبون منها ، بحماية الأمير وكيل ابن رشيد في نجد ، إلى مكة المكرمة فيصلون إليها في الوقت المعين للحج ، فيؤدون فريضته خلال العيد الأضحى (قربان يرم) . ومن يعود حياً منهم إلى بلده يطلق عليه لقب (حاج) ، أما الذين يقضون نحبهم خلال ذلك كله فيذهبون إلى الجنة رأساً .

وأخيراً وصل العامل حمزه أحمد من الحلة ومعه المال الذي دبره لسه شاوول الصراف ، فتحركوا نحو الحلة بواسطة الزوارق على حد قوله بعد ان أرسلوا خيولهم لتقطع الطريق خوفاً فتنتظرهم في قرية الجمجمة الواقعة في موقع بابل نفسها . وقد استقلوا الزوارق من ساحل هور السليمانية التي وصلوها بعد ساعة ركوب واحدة على ظهور الحمير . وهناك وجدوا صعوبة في استكراء الزوارق لأن الرجال هربوا واختفوا عن الأنظار حينما لاحظوهم من بعيد خوفاً من ان يكونوا من رجال الحكومة المقبولة .

زيارة المس بيل قبل الحرب العظمى

وفي سنة ١٩٠٩ زارت المس غيرتروديل ، — المستشرقة والرحالة البريطانية المشهورة ، التي أصبحت فيما بعد سكرتيرة دار الاعتماد البريطاني في بغداد — كربلاء قادمة إليها من حلب بطريق البادية ، بعد ان مرت من حلب إلى التل الأحمر ، فالبصرة ، فهيت ، فالأخضر ، فوصلت في ٣٠ مارس ١٩٠٩ . وبعد ان بقيت حوالي اثني عشر يوماً في المدينة المقدسة رحلت إلى بابل عن طريق المسيب . وقد كتبت مشاهداتها في هذه الجهات ، في ضمن ما كتبه عن رحلاتها الأخرى يومذاك ، ونشرته في كتابها القيم الموسوم (مراد إلى

(مراد) (١) .

وتستهل كتابتها عن كربلا بالكتابة عن شؤون السفر في تلك الأيام ،
وتقارن بين البادية والبحر في هذا الشأن . ثم تبدأ بوصف ما كان يخالجهما
حينما وصلت اليها ، فتقول إنها وصلت الى عالم جديد عليها من أوجه كثيرة .
فقد انتقلت من الجو المعروف في شمالي سورية إلى بلدة عريقة في التقاليد
الشرقية المتصلة بالأماكن المقدسة ، التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالانقسام والانشقاق
الكبير الذي حصل في الإسلام . فقد كانت البقعة مسرحاً للمأساة الأليمة التي
وقعت فيها فأسفرت عن قتل الحسين بن علي عليهما السلام . ثم نشأت حول
الجامع ، الذي يضم الضريح المطهر في داخله ، البلدة التي أصبحت بالنسبة
لنصف المسلمين حجاً لا يقل عن مكة في أهميته .

وليس الذي يتحدى المخيلة ويلج عليها بشدة هنا القبة المذهبة ، ولا
وجود الكثيرين من الإيرانيين بألبستهم الخضراء ، وأوجههم العبوسة الكالحة ،
ولا ثروة هذه العتبة الشيعية التي سارت بذكرها الركبان . وانما يفعل ذلك
الشعور بالوصول إلى هذه المناطق والربوع التي شهدت تأسيس الامبراطورية
الإسلامية ، فبقيت رديحاً طويلاً من الزمن مقراً لعاهلها الأكبر ، خليفة
المسلمين وظل الله في أرضه . فعلى مسيرة يومين من هنا يقع ميدان القادسية
الذي حطم فيه خالد بن الوليد (الصحيح هو سعد بن أبي وقاص) الدولة
الساسانية حال اشتباكه بها وقضى عليها إلى الأبد . وبذلك نخطى بقدمه
إلى هذه الجهات كسرى بأتباعه ، وأقباله ، وحلفائه العرب — أمراء المناذرة
الذين كانت عاصمتهم من مراكز الحضارة العربية الأولى — إلى ظل الماضي

كربلاء في المراجع الغربية ٢١١

المعتم ، واختفت من الوجود المدن . والقصور التي اشتهرت يومذاك مثل الحيرة ، والخورنق . وطيسفون ، وغيرها من الأماكن التي نسي ذكرها وعفي حتى رسمها . وسقط ما شهدته الأزمنة القديمة من عظمة وأبهة وأجناد كما تسقط جيوش الأحلام عند أول اصطدامها بجيوش الحقيقة والإيمان ، التي ما زالت تسطر في الميدان حتى هذه الساعة . وحل بعد ذلك يوم البأس والحيرة فأضيفت به الاصقاع والممالك واحدة بعد أخرى ، ومصرت المدن الإسلامية العظمى مثل الكوفة ، وواسط ، والبصرة ، وآخرها وأعظمها بغداد مدينة السلام .

لقد كانت هذه القصة هي التي خطرت ببالي — كما تقول المس بيل — وانفتحت صفحاتها بين يدي حينما كنت أقف فوق سطح دارٍ من الدور المجاورة لأنفراج على الساحة المزينة بالقاشاني الجميل الفخم ، التي يقوم في وسطها الضريح المقدس ، ولا يسمح بالدخول فيها إلا للمسلمين . وحينما رفعت ناظري وسرحت الطرف نحو الغرب لمحت من بعيد البادية التي كانت جيوش النبي الكريم قد عبرتها لتقضي بعزمها الشديد وإيمانها الأكيد على المدينة القديمة وتلك عروشها المشيدة . وألغيت إلى الشرق من ذلك الطريق الممتدة إلى بغداد عاصمة الإسلام الكبرى ، التي قام فيها أحفاد أولئك الفاتحين بتنمية الفنون السلمية وتهذيبها تهديباً مقروناً بما لا يقل عما سبق من الشهرة والصيت الحسن . وهكذا زحفت روحية الإسلام وشعلته الخالدة من أوعار البادية لتستولي على الأرض المشمرة .

ثم تقول عن أحوال كربلاء المحلية يومذاك ، ان برتقالها كان من النوع الجيد ، وقد تكادست في دكاكينها أكوامه بجانب اكوام الليمون الحلوى الأصفر بلونه . ولذلك كانت تشتري الكثير منه هنا وهناك فتأكله وهي تمشي في

الطريق لتروي غليلها الصدى الذي التهب سعيه حينما عبرت البادية الى هنا من حلب . وكانت تتكوم مع أكوام البرتقال والليمون أكوام الورد الأرجواني ، الذي كان يأخذ منه المارة بين آن وآخر حفنات يشمونها في سيرهم .

وحينما خيم الليل بظلامه في يومٍ من الأيام دُعيت إلى وليمة عشاء فاخرة أكلت فيها القوزي المحشي بالفستق ، وشربت الشربت بالملاعق الخشبية الكبيرة . ثم استمعت إلى ما قصه عليها الحاضرون من حديث السياسة وأحوالها في تلك الأيام كما تقول . وكان ذلك الحديث على ما يظهر يمت بصلة إلى الروحية الجديدة التي انبعثت في أطراف الامبراطورية العثمانية وأجزائها على أثر حصول الانقلاب العثماني (١٩٠٨) وعلان المشروطية . فقد حدثها أحد الحاضرين يقول ان الولايات العراقية لا يستسغ فيها الناس وجود حكومة دستورية ، لأن الملاكين رجعيون في قلوبهم كلهم ، وقد جمعوا ما حصلوا عليه من ثروة ومال بالقوة والغصب . ولذلك لا يمكن ان يتحملوا من يحاسبهم على ما امتلكوه بتلك الكيفية ، ويكرهون ما يُوجه اليهم من نقد وملاحظات صريحة على صفحات الجرائد . يضاف إلى ذلك ان أكثرية موظفي الحكومة كانوا على شاكلة هؤلاء أيضاً . ولا يخفى ان القضاء على الفساد بين هؤلاء كان يعني جوعهم بطبيعة الحال ، ما لم تتخذ التدابير لزيادة رواتبهم في مقابل ذلك . فان الحاكم (القائمقام) مثلاً كان يُعين لمدة سنتين ونصف فقط ، وكان يتقاضى خلال هذه المدة راتباً قدره خمس عشرة ليرة تركية في الشهر ، وهذا المبلغ لم يكن من الممكن له ان يتعيش به هو وأسرته في ظروفٍ ينبغي له ان يحافظ فيها على مركزه ومنزله . أضف إلى ذلك انه كان يتحتم عليه أن يداري رؤوسه ليستفيد منهم في تجديد تعيينه حينما تنتهي المدة المضروبة له ... ولذلك فان

كربلاء في المراجع الغربية ٢١٢

(أحد عشر رجلاً) من كل عشرة كانوا يقدمون على أخذ الرشوة على ما يقول المحدث !! وعلى كل فان اعلان الدستور لم يأت لنا الا بلبس الطربوش الأسود (لأن الأحمر كان قد انقطع وروده من النمسا في الأيام لحصول إضرابات أدت إلى تعطيل معاملته) ، وحرية الكلام ، وإساءة ثكنتين متينتين في بنائهما : واحدة في كربلاء وأخرى في النجف ، تخليداً لحلول عهد الحرية .

وكانت كربلاء ، على ما تقول المس بيل نقلاً عن محدثيها ، قد حصلت بحلول العهد الجديد على متصرف تروي عنه قصة غير مشرفة لسمعته ، ذات تأثير سيء على مقدراته في العمل فيها . فقد كان الرجل من المنتمين الى جماعة الأحرار ، وكان قد بدأ حياته في الوظيفة بتعيينه سكرتيراً للوالي في بغداد . لكن أهالي بغداد كانوا قد اشتكوا منه خلال اشتغاله فيها لأنه شوهه في يوم من أيام رمضان المبارك بإجباره بالافطار ويدخن على ملأ من الناس في السوق فأقصي عن منصبه . ولما كان ينتمي الى جماعة الأحرار كان لابد ان يحظى بمساعدة الكثيرين من ذوي الشخصيات المرموقة في استانبول ، ولذلك أعيد تعيينه متصرفاً في كربلاء مؤخراً . على ان سمعته السابقة لم تفسح له المجال للاشتغال المثمر في هذه البلدة المتعصبة ، ورغم أهمية الأعمال والإصلاحات التي شرع في تنفيذها . فبالنظر للجور الأعمى الذي كانت تمارسه الحكومة في كربلاء ، وإهمال شؤون الري فيها ، أخذت الأمور تتدهور فيها يوماً بعد يوم وساءت أحوالها المالية بحيث أصبح من المتعذر بجباية أي نوع من الضرائب منها . وكانت خزانة البلدة من جهة أخرى مرهقة برواتب المستخدمين الكثيرين ، والمبالغ التقاعدية وغيرها التي كانت تدفع إلى الكثيرين من الناس على اختلاف طبقاتهم ، ومعظمهم من طبقة رجال الدين على ما تقول . ولذلك جوبه هذا المتصرف بمقاومة غير

يسيرة حينما عمد إلى الاقتصاد بالنفقات ، وقطع الرواتب عن مثل هؤلاء ليجد المال اللازم إلى تنفيذ بعض الإصلاحات والقيام ببعض الأعمال العمرانية .

و حينما انتهت مدة بقاء المس بيل في كربلا كان في نيته أن توجه إلى بابل عن طريق طويريج (الهندية) ، لكنها تقول انها كانت تجهل استحالة ذلك لأن المسافة بين كربلا وطويريج كان يشغل معظمها هور الهندية الذي كانت تغذيه مياه الفيضان و « الكسرات » من فرع الحلة . فان المنطقة الكائنة في غرب هذا الفرع ، التي تقع فيها مدينة كربلا نفسها ، ينخفض مستواها عن مستوى النهر ، كما ان قاع النهر كانت ترتفع سنة بعد أخرى بتراكم الغرين المترسب فيه . ولذلك فكثيراً ما كانت المياه تفيض الى هور الهندية الذي تتوسع رقعته في بعض السنين فيهدد كربلا بالذات ، حتى ان مياهه قد تسربت إلى شوارعها فعلاً في سنة من السنين . فكان يترتب على الملاكين وأصحاب الأراضي في هذه الحالة السهر على إنشاء الروف الواقي والسداد القوية لانقضاء خطر المياه ، غير انهم كثيراً ما كانوا يهملون هذا الواجب فيشتد الخطر .

وقد حدث ذات يوم ان جاء أحد الهنود المسلمين واشترى مساحات كبيرة من الأراضي التي تتعرض للفيضان هذا ، وكان في نيته ان يحافظ عليها بالسداد ويستثمرها كما يريد . فصرف مبالغ طائلة على ذلك وأوقف الخطر الزاحف على البلدة عند حده مدة من الزمن . لكنه عجز عنه في النهاية وترك المشروع المزهق ، فتجدد الخطر لا سيما حينما وجد نفسه وحيداً في الميدان من دون أن تتعاون معه الحكومة أو الجهات الأخرى وعلى الأخص العشائر المجاورة التي كانت تبذر تبذيراً مسرفاً في إستخدام الماء للسقي فيؤثر سوء تصرفها على توسع الهور . غير أن المتصرف أراد إجباره على الاستمرار في العمل ، لكنه لم يتمكن من ذلك نظراً لأن الرجل الهندي المسلم ذاك كان

كربلا، في المراجع القرية ٢١٥

يتمتع بالحماية البريطانية .

ولما كانت الحالة على هذا المنوال توجهت المس بيل الى بابل لمشاهدة آثارها ، عن طريق المسيب التي وجدت فيها جسراً من الزوارق ، وهي تقول انه كان أول جسر حصل لها شرف عبور نهر الفرات عليه .

المس بيل في الأخيضر

وفي أوائل ١٩١١ تعود المس بيل فتأتي إلى ما يقرب من كربلا من جهة البادية ، لتزور الأخيضر فتعمل على وصفه ورسم الخرائط التفصيلية له . وقد كان ذلك في عهد والي بغداد المشهور ناظم باشا كما يفهم مما جاء في رسائلها (١) المعروفة . وكان يجيئها الى الاخضر من سورية بطريق الفرات أيضاً ، فمرت بكيسة وهيت والرمادي ، ومن هناك قصدت الرحالية وشفائه فوصلت اليه في ٢٨ شباط ١٩١١ . وكانت قد جاءت يومئذ بكتاب توصية الى صخيل شيخ الزقاريط ، لإحدى قبائل شعر المقيمة بالقرب من القصر يومئذ . فخفف اليها مسرعاً ومرحّباً ثم ساعدها في أثناء الاقامة في الاخضر ريثما تنتهي من مهمتها الأثرية على ما يظهر .

وهي تقول ان أفراد الزقاريط الذين جاء بهم صخيل للحراسة والمساعدة كانوا يقومون بخياطة ملابسهم بأنفسهم ، وحينما سُئِلوا عن السبب أجابوا بأن نساءهم لا يفعلون شيئاً سوى الجلوس وترجية الوقت بالتوافه . وقد خرجت للصيد مع صخيل في يومٍ من الأيام فلاحظت على مسيرة ساعة

**The Letters of Gertrude Bell - Selected & Edited by Lady (١)
Bell, London 1947.**

الرسائل المؤرخة بتاريخ ٢٤ و ٢٦ و ٢٧ شباط وأول مارت و ٣ مارت و ٤ و ٥ و ٦ و ١٠ مارت ، الص ٢٣٤ - ٢٤١ من الطبعة المذكورة .

من الأخيضر وجود « معمل » قديم للعص والملاط على ما تقول . وهي تعتقد أن الجص كان يوثى به لتشييد الأخيضر من هذا المعمل نفسه ، ولذلك بادرت إلى تخطيطه ورسمه قبل ان تعود الى مخيمها . أما مقلع الأحجار التي شُيد بها الأخيضر فيقع على مسيرة ساعة في الجهة المقابلة . وتقول المس بيل ان الخارطة الدقيقة التي رسمتها للأخيضر وموقعه تعتبر أول خارطة له . لكنها لا تتطرق في الرسائل الى تاريخ الأخيضر وكيفية بنائه ، والظاهر انها اكتفت بما كتبه عنه في الكتب الأخرى .

وحينما غادرت موقع الأخيضر متجهةً الى بابل فبغداد مرت على مسيرة اربع ساعات منه بأول أثر من الآثار القديمة يقال له (محده) ، وهو برج مدور مشيد بالآجر تشييداً دقيقاً . وهي تعتقد بأنه من الأبراج التي كانت مقامة لحراسة الطريق ، يرجع تاريخه الى القرن التاسع للميلاد . ثم مرت بخرائب (خان العطشان) الذي يقوم في وسط سهل منبسط كانت تنتشر فيه قطعان بني حسن وخيامهم ، لأن قسماً منهم كان يخيم على مقربةٍ من الخان نفسه . وهي تقول إنه أثر جليل من الآثار القديمة ، يعود تاريخ تشييده الى القرن التاسع الميلادي أيضاً ، اي الى عهد الخلافة العباسية في سامراء على رأيها . وقد كان المنظر رائعاً في نظرها حينما حل الليل وخيم الظلام فبانت نيران بني حسن منتشرة هنا وهناك في ذلك السهل الممرع الدال على جمال الربيع في البادية . وبعد ان تركت الخان في اليوم التالي مر ركبها بالمخيمات المتروكة التي كان الوفر المتساقط قبل شهر من ذلك الوقت قد خلف آثاره فيها . فقد شاهدت الكثير من جثث الأغنام والحمير منتشرة حولها . وهي تقول ان الوفر يعد شيئاً غير مألوف في تلك الجهات ، وان مدير ناحية شفائه كان قد قال لها حينما زارها في الأخيضر بأن الناس حينما استيقظوا في الصباح هناك ووجدوا الأرض مكتسية به ظنوا أنه طحين مثور .

كربلاء في المراجع الغربية . ٣١٧

وبعد ان أكملت رسم خارطة الخان وموقعه توجهت مع الركب نحو نقطة تقارب منتصف الطريق بين كربلاء والنجف بعد ان رخصت حراسها الزقاريط واستصحب حراساً من رجال بني حسن . وبعد ساعات قليلة من المسير بان للركب برج بابل من بعيد ، ثم اتضح لهم بعد ذلك فصار يبدو كأنه قائم في وسط بحر من النخيل المنتشر ، وشاهدوا بعد قليل خان الحماد محاطاً بالنخيل من بعيد ، غير انهم اتجهوا نحو خان المصلى فخيّموا على مقربة منه . وهي تقول إنه كان محاطاً بعدد قليل من الدور والآبار ، وأنهم وجدوا هناك عدداً من الجنود ، وأمكنهم شراء الدجاج ومعظم « وسائل الترف » الأخرى على حد قولها الذي تستدركه فتقول ان ذلك ينطبق على القادمين من البادية على الأقل .

كربلاء في التقارير البريطانية قبل الحرب

وقد جاء في تقرير (١) عسكري مكتوم ، أعدته رئاسة الأركان البريطانية العامة في ١٩١١ ، عن المنطقة الممتدة ما بين بغداد والخليج ، ان كربلاء تقع في سهل يبعد عشرين ميلاً من جهة الغرب عن الفرات الذي تتصل به عن طريق جدول الحسينية . وتحتوي البلدة على خمسة آلاف بيت واسع حسن البناء ، وليس لها أسوار ، لكنها تحاط بالحنائن والبساتين التي ينحني فيها عدد من البيوت . وتستمد ماءها ، الذي ينقطع أحياناً ، من الجدول المذكور . وحينما ينقطع الماء يستقى الماء العكر من الآبار .

ويبلغ عدد نفوس كربلاء حوالي ستين ألف نسمة ، أكثريتها من العرب مع عدد غير يسير من الإيرانيين والهنود المسلمين وبعض اليهود . أما الأتراك القليلون الموجودون في البلدة فهم موظفون .

ولجامع الحسين ، الذي يوجد فيه ضريحه أيضاً ، منزلة دينية عظمى عند الإيرانيين على الأخص . ولذلك يقصد هذه المدينة المقدسة على الدوام عدد

**Military Report on the Region between Baghdad & the (١)
Persian Gulf — Prepared by the General Staff, 1911 (A 1515)**

الصف ٢٩ و ٧٩ .

كبير من الشيعة المتدينين من جميع أنحاء العالم .
والسوق في كربلاء ممتلئ بالحاجات والسلع ، وكثير الحركة والمشغولية
لأن البلدة تعد مركزاً لمنطقة زراعية مهمة . وقد أصبحت في الأيام الأخيرة
مقرّاً لفرقة من فرق الرديف ، ومركزاً لمتصرفية تتبع بغداد . ويوجد فيها
اليوم وكيل بريطاني يقوم بالأعمال القنصلية .

وفي هذا التقرير كذلك معلومات تفصيلية مفيدة عن الطريق ما بين بغداد
وكربلاء ، الذي يبلغ طوله حوالي خمسة وستين ميلاً . ويذكر ان جدول
الحسينية تبلغ سرعة الماء فيه ميلاً واحداً في الساعة ، وهو عميق يتراوح عرضه
بين عشرين وخمسة وعشرين قدماً ، وتتفرع منه عدة فروع لا ينساب فيها
الماء الا حينما يبلغ مقداره في الجدول الأصلي ٨ - ١٢ قدماً . وما يذكر
في تفصيلات الطريق بالنسبة للجهة القريبة من كربلاء . ان قلعة مربعة الشكل
تسمى قلعة الشيخ ابراهيم تقع في الميل الثاني والخمسين من بغداد ، والجانب
الأيسر من الجدول ، ويوجد حول هذه القلعة مئة كوخ من الطين او الخصاص .

في أيام الحرب العظمى

ان أهم من كتب من الغربيين عن كربلاء في هذه الفترة هي المس غيرتروند
بيل ، التي مرت الإشارة الى البعض من مؤلفاتها قبل هذا . ويأتي ذكر كربلاء
في هذا العهد ضمن ما كتبه في تقريرها (١) المسهب عن العراق في فترة
الحرب . وأول ما تشير به إلى كربلاء هو في أثناء بحثها عن (العلماء والمدن المقدسة)

(١) Review of the Civil Administration of Mesopotamia.

وقد طبعت هذا التقرير وزارة الهند في ٣ كانون الأول ١٩٢٠ ، فقدم إلى البرلمان البريطاني
برقم (سي إيم دي ١٠٦١) . وهو محتوي الكتاب الذي نشره كاتب هذه السطور ، بعد أن ترجمه عن
النص الأصلي ، باسم (فصول من تاريخ العراق القريب) بيروت ١٩٤٩ .

بوجه عام ، حيث تقول انها بنيت في موقع الحومة التي قاتل فيها الحسين عليه السلام ، وفيها ضريحه المقدس وقبور عدد من أقاربه وأتباعه .. ثم تذكر أن معرفة البريطانيين بمجتهدي كربلا والنجف قد بدأت قبل الحرب العظمى بمدة طويلة . فقد كانت للحكومة الهندية منذ ١٨٤٩ علاقة خاصة بهاتين المدينتين لها اتصال بوقف أوده ، لأن غازي الدين حيدر ، ملك أوده ، كان قد أوقف مبلغاً قدره (١٢١,٠٠٠) روية في السنة لتصرف صدقات إلى مستحقيها في المدينتين المقدستين . فوجدت حكومة الهند ، التي ورثت مسؤوليات شركة الهند الشرقية ، نفسها في موقف الناظر على هذا الوقف . وكان توزيع هذا المبلغ يثير في كل سنة عدة مشاكل لنا ، لكنه انتظم في ١٩١٠ حين أجريت ترتيبات مقبولة خاصة ، أصبح التوزيع فيها يجري بواسطة لختين خيريتين ، واحدة في كل مدينة ، تتألف كل منهما من مجتهدين وأناس محترمين آخرين بعد أن يحول المقيم البريطاني في بغداد المبلغ لهما (١) .

وتستمر المس بيل في بحثها فتقول (٢) ان الحكومة العثمانية كانت تعترف قبل دستور ١٩٠٨ ، بأن المدن المقدسة تختلف إختلافاً بيناً عن سائر ممتلكاتها فمئحتها بعض الامتيازات التي كان أهمها إعفاء سكانها من الخدمة العسكرية .. لكن مبدأ المساواة الذي كانت تنادي به جمعية الاتحاد والترقي كان يعني زوال الامتيازات التي كانت تتمتع بها الرعايا غير العثمانية في البلاد ، وصار يبدو حتى قبل الحرب ان الحكومة التركية كانت تظهر تجاهلاً لوضع كربلا والنجف الخاص . وبعد موقعة الشعبية التجأ عدد من الفارين من الخدمة

(١) وقد اورد جعفر الخياط كاتب هذا الفصل تفصيلات أخرى عن خبريات اوده في الجزء الأول من (قسم النجف) من موسوعة العتبات المقدسة .
الخليلي
(٢) الص ٢٨ من الترجمة العربية (فصول من ...) .

٣٢١ كربلاء في المراجع الغربية

العسكرية اليهما ، فأعلن الأتراك عن عزمهم على إعادتهم إلى الخدمة وهددوا بفرض التجنيد على جميع السكان .

فثارت النجف ... وفي حزيران ١٩١٥ بدأت الفتن والنزاعات العلنية في كربلاء . ويبدو أن منشأها كان هجوماً شنته على البلدة قبيلة بني حسن



الشيخ محمد علي كمونه

المجاورة ، التي كان بينها وبين سكان كربلاء عداء مستحكم قديم لم تعمل الحكومة العثمانية شيئاً لتسكينه جرياً على سياسة « فرق تسد » التي كانت تلتجىء إليها . وفي هذه المناسبة بالذات لم تجن الحكومة شيئاً من المشاحنات التي ربما تكون قد استثارها هي بالذات ، لأن بني حسن أحرقوا السراي ونهبوه ، ثم هبت الغوغاء وطردت الحكومة فتولى شؤون البلد شيوخها وعلى رأسهم آل كمونة . ووقعت

حوادث مماثلة في الكوفة والحلة وطويريج ، وفي كل منها أُجبر موظفو الحكومة والحاميات التركية على الفرار . وعلى هذا أصبحت الحالة في الفرات خطيرة بحيث غيرت السلطات التركية سياستها والتجأت إلى المسالمة والصلح .. ودبرت بالنسبة لكربلاء وسيلة لاستعادتها وتعزيز مركزها فيها .

وتقول المس بيل بعد ذلك ان اتصالاً بشأن كربلاء جرى مع البريطانيين في أيلول ١٩١٥ . وبعد شهر واحد أوجد الشيخ محمد علي كمونة ، رئيس أسرة كمونة زاده ، علاقة خاصة بالسرييري كوكس الذي كان لا يزال

في الكوت حينذاك (١) ، وبعد تبادل بعض الرسائل التمهيدية اقترح علينا ان نتعهد بتنصيبه حاكماً وراثياً مستقلاً في ولاية مقدسة تمتد من سامراء إلى النجف . وقد كنا في تلك الآونة منشغلين بالزحف الذي سبق معركة سلمان باك . وكان يبدو محتملاً بأننا سرعان ما سوف نتصل إتصالاً وثيقاً بكربلا . فأرسل السريسي إلى محمد علي رداً ودياً ولكن لا لون له ، مع هدية مالية صغيرة . وقد ترك الأمر على هذا الحال مؤقتاً لأن انسحابنا من سلمان باك كان قد بدل الموقف السياسي العام بأجمعه . على اننا بقينا على اتصال تام بمحمد علي ، وواصلنا ارسال المال له من وقت الى آخر لأجل ان يساعده ذلك على الاحتفاظ باتباعه والتمسك بموقفه المسيطر في كربلا . ثم اتخذت السلطات العسكرية سياسة حرة في السماح بمرور المواد الغذائية في المناطق الفراتية لرفع الضيق والضنك عنها . وبذلنا ما بوسعنا لارسال حوالات صغيرة من المال ، وكل وكيل كان يمكن ارساله الى الناصرية كان يدفع له شيء من اموال (أوده) الوقفية لايصاله الى المدن المقدسة .

على أن الاتراك بذلوا في نيسان ١٩١٦ جهداً ثانياً يقترن بمقدار أكثر من العزم والشدة لاختضاع كربلا . فقد اتهموا فخر الدين كمنونة ، أننا محمد علي ، بتحريض شيوخ (آل يسار) على مساعدة أهالي كربلا ضد بني حسن فأحاطوا بداره واعتقلوه . وعلى هذا ثارت ثائرة البلدة ، وبعد اصطدام

(١) كانت كربلا والنجف مهددة يومذاك بغزو (هاكف) الذي بطش بمدينة الحلة بطشاً ذريعاً فضلاً عما كان الترك قد تركوه في نفوس الأهالي من كره لهم بسبب انتهاكهم لحرماتهم ، ويكنفي القارئ ان يرجع إلى الوراء قليلاً ليرى كيف يدخل الضابط التركي مصلى في كربلا بمذاته ولم يكتف بذلك بل يقول أن حذاءه أنظف من مصلى أهل كربلا ، ولهذا كان الرؤساء قد اتصلوا بالسريسي كوكس لاستجماله في القضاء على الحكم التركي الذي كانوا قد عانوا منه الأمرين في عدد من الحوادث وأقربها إلى الذهن حادثة نجيب باشا المكشوفة .

الخليلي

كربلاء في المراجع الغربية ٣٢٤

عنيف جرب الترك في أثنائه مدافعهم ضد كربلاء ، وأنزلوا بعض الأضرار بالعبات ، ثم طُردوا من البلدة وأسست إدارة محلية يرأسها الأخوان من آل كمونة . وحذت حذو كربلاء النجف والحلة فأقلت الزمام من أيدي الأتراك في القرات مرة ثانية . وأوفد الرسل من النجف إلى البصرة يحملون طلباً إلى القبائل ، وإلى الدولة الإيرانية ، بشرحون فيه ما كانت تعانيه كربلاء . وكان بين الموقعين عليه عدد من المجتهدين (١) المعروفين ، فلم يقصر رئيس الحكام السياسيين (أي السر ييرسي كوكس) في نشر هذه الوثيقة بنطاق واسع (٢) .

وكان محمد علي كمونة ، الذي استمر على تبادل الرسائل معنا ، يكرر إعرابه عن مخاوفه من عودة الأتراك ، كما ازداد قلق المدن المقدسة ازدياداً شديداً من الأعمال المظيعة التي وقعت في الحلة خلال تشرين الثاني ١٩١٦ . فقد اقترب من الحلة جنود من الأتراك يحملون عتاداً وسلاحاً إلى عجمي السعدون (وكان مع الجانب التركي في الحرب) . وطلبوا المرور منها : وحينما خرجت جماعة من الوجهاء للاتفاق على الشروط ألقى القبض عليهم . وشنق في اليوم الثاني عدد منهم . فنجا السيد محمد علي القزويني رجل الدين الأقدم في الحلة من مثل هذا المصير بأعجوبة ، ثم دخل الجنود البلدة فهدموا

.....

(١) الص ٣١ من الترجمة العربية (فصول ...).

(٢) الثابت أن المجتهدين ظلوا يؤيدون الأتراك بصفتهم مسلمين طوال الحرب العظمى الأولى وقد اخذوا بوجوب الدفاع عن حوزة المسلمين واشترك في الحرب كبارهم أمثال شيخ الشريعة ، والسيد محمد سميد الحبوبي ، والداماد ، بالرغم من فلك الأتراك وظلمهم وعنجهيتهم ، وحين احتل الإنكليز العراق ظل هؤلاء المجتهدون على كرههم للإنكليز كمحتلين لذلك من المستبعد أن تكون هنالك توافيق للمجتهدين في استفزاز المشائر وإثارة الحكومة الإيرانية ضد الأتراك والراجح أن شيوخ المدن التي لقيت من عنف الترك واعتدائهم ما بقيت هم الذين هبوا يستعينون القبائل لنجدتهم ، ومن الممكن أن يكون قد أيدهم البعض من المميين فسمتهم المس بل بالمجتهدين الخليلي

٣٢٤ ————— جعفر الحياط

وأحرقوا ، ونهبوا وقتلوا ، وتحلوا شعور المسلمين أكثر من ذلك بسبي نساء
الأمير المحترمة وارسالهن إلى بغداد وغيرها . ولا شك أنها تقصد بالنبذة
الآخيرة هذه ما سُمي بوقعة عاكف ، وهي ترويه بشيء غير يسير من
التحريف المفيد لوجهة النظر البريطانية .

كربلاء في بداية الاحتلال

لقد احتل الانكليز بغداد في الحرب العظمى يوم ١١ مارت ١٩١٧ ،
وأذاع الجنرال مود بيانته المشهور لأهاليها يقول فيه انه جاء محرراً لا فاتحاً .
وأول ما تقوله (١) المس ييل في هذا الشأن ان « علماء » كربلاء والتجف
بعثوا برقية تهته الى صاحب الجلالة البريطانية في أثر ذلك ، فأجابهم باعترافه
بتسليمها ورغبته الخالصة في انتعاش العراق وسكانه والمحافظة على عتباته
المقدسة ، واستعادته لرخائه القديم . ولا شك أنها تقصد بهؤلاء « العلماء »
البعض من المعممين الذين كانوا يماثلون السلطة الغاشمة ، وما أدرانا ان البرقية
المشار اليها ربما تكون قد أبرقت من قبل الموظفين الانكليز أنفسهم (٢) .

وتقول المس ييل كذلك ان مكتب رئيس الحكام السياسيين ازدحم في
الأيام القلائل الأولى بالزوار من جميع الطبقات بدون ان يستثنى منهم أفراد
الأمر البارزة من المسلمين ... وفي أثر وجهاء بغداد جاء شيوخ القبائل الصغيرة
المجاورة ، متعجبين بعض التعجب من انهيار العهد القديم المفاجيء ومستبعدين
دوام العهد الجديد . وكان بين الأوائل الذين قدموا من الأماكن البعيدة محمد

(١) المص ٣٧ من المرجع الأخير .

(٢) اذا صح أن بعض المعممين قد طير مثل هذه البرقية او شارك في توقيعها فلا يبعد أن يكون
هؤلاء من العلماء الذين نعتوا بعلماء الحفيظ (الأوفيس) Office راجع ج ١ ص ٢٥٣ من
قسم التجف من موسوعة التيات المقدسة .
الخليل

كربلاء في المراتب الفرية ٣٢٥

علي كمونة من كربلا والحاج عطية من النجف ، وأعقبهما بعد ذلك بقليل شيوخ النجف الآخرون . فعينت للجميع المخصصات ، ثم رجعوا لأهلهم مخولين بالمحافظة على الأمن حتى يكون بإمكاننا ان نعالج شؤون المدينتين بصورة مباشرة .

ومما جاء فيما كتبه المس ييل ايضاً في تقريرها المهم هذا عن كربلا قولها (١) : وكانت أهم قضايا الفرات قضية العشائر والمدينتين المقدستين . فقد رجس شيوخهما من بغداد وهم موكلون عنا وقتياً بتصريف شؤون الإدارة التي كانوا قد أسسوها عند إخراج الأتراك الأخير في ١٩١٧ ، بعد ان منحوا من أجل هذه الخدمة بعض المخصصات المالية . وكانت هذه الطريقة الوحيدة التي امكننا الالتجاء إليها ، لأن تعيين ضابط بريطاني مع ما يكفيه من الحرس لم يكن ممكناً من الوجهة العسكرية . وقبل مضي عدة أسابيع اتضح بأن هذا الترتيب لم يكن شيئاً مرضياً للمدينتين نفسيهما . فقد قيل ان آل كمونة في كربلا كانوا يستخدمون مركزهم الممتاز في قضاء مآربهم الشخصية ، فأثار ذلك عليهم سخط شيوخ البلدة الآخرين وأهمهم أسرة آل عواد التي كان يمثلها عبد الكريم العواد ، الرجل الذي كانت عروبه أعرق بكثير من عروبة آل كمونه الذين هم نصف إيرانيين في نسبهم نظراً لمصاهرهم الأسرة القاجارية المالكة . وبرغم ان آل كمونة كانوا يعكرون بلا شك صفو الجو في راحة النهار ، يبدو انه لم يكن هناك ما يبرر ذلك التدمير الخطير تبريراً كافياً ، لأن محمد علي كان يصرف شؤون الإدارة بوجه عام تصرفاً حسناً كما أنه كان يحافظ على الهدوء في البلدة . غير انه كانت هناك من وجهة النظر البريطانية اعتراضات أشد خطورة على الآخرين . فقد شرعا بتسيير قوافل كبيرة كانت

ترد من الشام. وحلب في طلب المواد الغذائية ، كما كانت القوات التركية العاملة في الفرات تزود بصورة مستمرة من كربلا (١) . وكان أهالي كبيسة ، التي لم تكن داخلة في ضمن منطقة احتلالنا ، يلعبون دوراً مهماً في هذا المسعى . وعندما عقدنا في حزيران اتفاقية خاصة مع فهد بك شيخ مشايخ عزة توقف نقل البضائع بطريق البادية للدرجة ما ، لكن تجاهل آل كمونة وإغضاهم قد أديا الى إستئناف هذه التجارة بصورة تهريبية على طول الفرات عن طريق مناطق (آل مسعود) والجنائين الذين لم يتسن لفهد بك فرض سيطرته عليهم .

وقد كان من المستحيل ان يكون محمد علي كمونة جاهلاً بما كان يجري من هذا القبيل ، بل كانت هناك يينات كثيرة تدل على عكس ذلك . وأحسن ما يمكن ان يقال عن محمد علي في هذا الشأن انه تجاهل وجود هذه الحركة بصورة إيجابية ، بينما كان فخري كمونة مشتركاً فعالاً فيها . فقد كانت شرطة البلدة التي استخدمها محمد علي باعتبارها مؤسسة تمثل الحكومة تستخدم في توصيل البضائع والأرزاق المرسلة للعدو الى خارج البلد بسلام ، وكان اثنان من خدم آل كمونة يوقعان الرخص المطلوبة عادة . وكانت أهم هذه الصادرات الأقمشة والرز والقمح والقهوة . وفي الوقت الذي كانت الأرباح الطائلة ، المستحصلة من جباية الرسوم بمقدار باون واحد او حتى باونين عن كل بعير محمل ، قد تكون كافية وحدها لتفسير سلوك آل كمونة في هذا الشأن ، فانه من المحتمل أيضاً أنهم أخذوا يدركون ان أطماعهم الشخصية

(١) المعروف أن التجف وكربلا كانتا تزودان قبيلة شمر من آل رشيد بالحبوب وتموانها بأسباب المعيشة وكان آل رشيد من أعداء الانكليز فلم يكن يرضي الانكليز تموين هؤلاء ، اما تموين الاتراك فان صح فانه لم يكن عن طريق شيوخ كربلا والتجف وانما هو كان يجري بطريق التهريب والتجارة وليس للشيوخ يد فيه على أغلب الظن .
الخليج

المزوقة لا يمكن ان تتبلور في ظل الحكم البريطاني فقرروا تلبية صوت العاطفة .
ومما لا شك فيه ان الاتراك كانوا يقومون بدعاية واسعة النطاق بين القبائل
الفراتية ويبدلون الوعود بالاستقلال عندما يسترد العراق الى حكم الباب
العالى . لكن تزويد الجيش التركى بما يريد كان لا يمكن ان يسمح به مهما
كانت الأسباب التي أدت اليه .



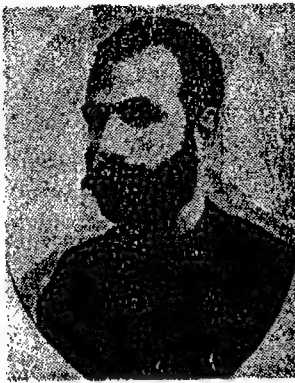
فخر الدين كمونة أو الشيخ فخري
وقد أخذت صورته هذه في منفاه
(بهلاري) في الهند

وفي يوم ٧ أيلول ١٩١٧ دعا السر
يرسبي كوكس ، الحاكم الملكي العام ،
فخري كمونة للحضور الى بغداد في
اليوم التاسع منه . فانصاع للأمر ، وعند
حضوره شُرح له اشتراكه الذي لا ريب
فيه في المتاجرة مع العدو وتشجيعه لها ،
كما أفهم بأن وضعه هذا يجعل بقاءه في
كربلاء لا يتفق مع المصلحة العسكرية ،
وانه سوف يؤخذ إلى الهند بصفة ضابط
أسير من أسرى الحرب . فقبل طائعاً بالقرار
الذي يستبعد عدم تكهنه به من قبل . وفي

اليوم التالي تسلم محمد علي كمونة أيضاً دعوة شفوية بالحضور الى بغداد بواسطة
ضابط استخبارات كربلاء . فأعرب عن رغبته في السفر صبيحة اليوم التالي ،
لكنه سمع بخبر اعتقال فخري فعذر عن ذلك برغم « الحظ والبخت »
الذين أعطاه إياهما ضابط الاستخبارات نفسه . ولذلك بعث له الحاكم
الملكى العام برسالة خاصة شرح له فيها الأسباب التي دعت لاعتقال فخري ،
وأضاف الى ذلك أنه بالنظر لما وقع فليس من المصلحة بشيء أن يبقى هو
وكيلاً عن الحكومة ، ومن الضروري ان يعين في مكانه ضابط بريطاني

بصفة معاون حاكم سياسي . ثم أخبر بأنه اذا كان يفضل بالنسبة للظروف الراهنة ان يستبد به كربلا فان الحكومة ستتخذ الترتيبات اللازمة لاقامته بصورة مريحة في أي مكان آخر من العراق يتم الاتفاق عليه .

وبعد شيء من التردد قرر الشيخ محمد علي الاذعان للدعوة وجاء الى بغداد . وقد اقنعه في اتخاذ هذا القرار الشيخ حسين المازندراني ، من مجتهدي



الشيخ هادي كمونة

كربلا البارزين ، الذي ألح عليه بشدة وأشار عليه بأن لا يتمرد على أوامر الحاكم الملكي العام . ولم يكن الدور الذي لعبه السيد محمد كاظم اليزدي في النجف أقل استشارة للامتنان ، حيث أنه رد على طلب تقديم به اليه محمد علي كمونه في توسط قضيته بأنه اعتزل عن العالم منذ مدة . وقد بين بصورة عرضية انه لم يكن ينوي

الاقناء بالجهاد ضد الطائرات والسيارات ، على انه وافق على ان يتوسط بعدم اسناد منصب الكليدارية الى شخص من أسرة أخرى فأعطي المنصب الى حميد بن الشيخ محمد علي كمونة .

وفي النهاية تعين معاون حاكم سياسي (١) بريطاني في كربلا ، واختار محمد علي كمونة الاقامة في بغداد . وقد سر بتنجية الأخوين من آل كمونة

(١) جاء في كتاب ويلسن (ما بين النهرين Mesopotamia) ج ٢ ، الص ٣٦٩ و ٣٧٠ ، ان الكابتن بري Capt. N. N. E. Bray قد تعين معاون حاكم سياسي في كربلا بتاريخ ١٥/١٠/١٩١٨ ، وتعين بعده الميجر بوفيل Major W. G. Bovill بتاريخ ١١/٥/١٩١٨ حتى نقل الى طويريج في ١٧/٩/١٩١٩ .

كمونة رؤساء الدين سروراً بالغاً ، بعد ان كانوا مضطرين من أجل سلامتهم الى ان يحافظوا على علاقات ودية ظاهرية معهما برغم ان ازدياد سلطة الكمنيين كان مثيراً للقلق المقعم بالحسد بينهم . على ان الأسرة المذكورة لم يقص عليها بهذا الترتيب ، لأن محمد علي ظل يتمتع بوارد أملاكه ، وتعين ولده في منصب الكليدارية كما تعين أخوه الشيخ هادي رئيساً للبلدية (١) ، غير ان محمد علي اكتشف في خريف تلك السنة بأنه كان متمرساً في بث الاشاعات المعادية ، كما لوحظ ان الشيخ هادي كان يجني أكثر من الأرباح المشروعة من منصبه . فألحق الأول بأخيه في الهند ، وحوكم الثاني أمام لجنة قضائية خاصة فوجد مذنباً ثم أعيد منصب الكليدارية في الوقت نفسه الى أحد أفراد الأسرة التي كانت تشغله من قبل . (٢)

السر ووالدستورز في كربلاء

وفي هذه الأيام التي بدأ بها الاحتلال البريطاني للعراق بشكل مضطرب

- (١) والشيخ هادي ليس أخاً للشيخ محمد علي وإنما هو ابن عمه . الخليلي
- (٢) والسبب الاساسي في اختلاف شيوخ كربلاء وشيوخ النجف مع الانكليز بعد ترسيخهم بهم هوان شيوخ المدن كانوا يطمحون بطرد الأتراك الى تحقيق علة أمان كان منها الظفر بالاستقلال والحرية ، وزاد من رسوخ هذه الأفكار في اذهانهم الخطاب الذي ألقاه الجنرال (مود) والذي أيد فيه دخولهم العراق بصفة محررين ، وحين رسخت أقدام الانكليز في بغداد شعر هؤلاء الشيوخ بأن الانكليز حينما كانوا يساعدونهم ويمسكونهم بالمال وان كان هذا المسألة من اوقاف خيريات اوده ويمنونهم بالحرية فليس الا ليتخذوا منهم أدوات تنفيذ لأمرهم كما لو كانوا جنوداً يأمرهم بأوامر قوادهم وهذا ما حرك في هؤلاء روح التمرد ، اضافة الى مقتضيات ربما كانت تخص منافهم الشخصية ولم يكن الانكليز يتوقعون هذا التمرد من رهن كانوا يحسونه من مواليتهم فتذرعوا بمثل تلك الحجج التي لو صح وقوعها وهي أشد ما تكون عنفاً وقسوة من مساوئ الانكليز لما التفت اليها الانكليز ولمسا اعاروها اية أهمية تذكر ، وان تاريخ احتلال العراق ملي بهذه الشواهد التي تشهد بمكيد الانكليز لمواليهم من التفوذ والسيطرة ، والحكم ، وهم أشد ما يكونون بعداً عن المصلحة العامة والواجبات الوطنية . الخليلي

غير مستقر ، وقبل أن يضطر الانكليز الى تنحية محمد علي كمونة عن كربلا كما يلاحظ من البحث السابق ؛ زار بغداد قادماً من القاهرة السر رونالد ستورز . وكان رونالد ستورز هذا من الاستعماريين الانكليز الذين كان يتألف منهم « المكتب العربي » في القاهرة ، وكانت بعهدة هذا المكتب شؤون الاستخبارات البريطانية التي دبرت في جملة ما دبرت في أيام الحرب العالمية الأولى قضية الاتصال بالشريف حسين في مكة ، وأوفدت لورنس لمساعدة قواته بعد إعلان الثورة العربية على الأتراك في ١٩١٦ . (٩ شعبان) وقد تقلب ستورز في مناصب عدة ، فكان منها حاكمية القدس في أول عهد الاحتلال البريطاني لها وحاكمية قبرص التي نفى الملك الحسين بن علي إليها خلال مدة وجوده فيها . فكتب كتاباً مهماً على شكل مذكرات (١) يومية ، ضمنه الكثير مما صادفه خلال مدة تقلبه في الوظائف المختلفة وزياراته العديدة لكثير من البلاد ، ومن جملتها العراق .

وحينما زار العراق كان أهم ما فعله في الأيام القلائل التي بقي فيها ، أنه زار كربلا والنجف بصحبة المستر غاريوت والمستر غولدسميث من كبار موظفي الاحتلال ، واستصحب معه في الطريق الى كربلا (١٧ مايس ١٩١٧) النواب خان صاحب محمد حسين خان ، معاون الحاكم السياسي فيها ، الذي كان يحمل معه في السيارة على ما يذكر ستورز صندوقاً كبيراً يحتوي على (٢٩,٠٠٠) روية (٢) . وقد اضطرتهم عاصفة شديدة من الغبار

(١) Ronald Storrs — Orientations (Definitive Edition), London 1945.

(٢) يفتاب على ظننا ان هذا المبلغ هو القسط المطلوب تقسيمه على الطلاب والفقراء من خيرات (اوده) الموقوفة على العتبات والتي اتخذ منها الانكليز وسيلة دعاوة لهم فكانوا يخصون بها مؤيديهم والمأشئين في ركبهم مثلما كانت تخص الموقوفة عليهم ، وكثيراً ما كان النواب محمد حسين خان يحمل هذا المبلغ او يعمده بحمله إلى (القرشي) فيشرف على اللجنة التي تتولى تقسيمه ، اما اللجنة في كربلا —

صادفوها بالقرب من الاسكندرية الى الميت في المسيب . وفيها زاره بعض
شيوخ العشائر في المنطقة ، والشيخ محمد علي كمونة مضيفه في كربلاء على ما
يقول .

وقبل الوصول إلى المدينة المقدسة في اليوم التالي استوقفهم فيما يقرب
من مقام عون ذي القبة الزرقاء أحد الشيوخ العرب : وقدم لهم في خيمته
الأنيقة شيئاً من الشاي والقهوة الممتازة . وحينما وصل ركب السر روتاكه
إلى ما يقرب من البلدة استقبله الوجهاء والأشراف ما بين صفوف النخيل
المكتظة استقبلاً حافلاً ، فنزل للسلام عليهم ثم انصرفوا فأتار انصرافهم
في عرباتهم وعلى ظهور الجياد غباراً متعالياً حجب عن ستورز وجماعته
مناظر البساتين الخضراء العامرة بالنخيل وأشجار الليمون ، والكروم وشجيرات
الدفل الزاهرة . وقد كان ذلك كله مصحوباً بهتاف من جموع المتفرجين
الزاهرة وزغاريد النساء . وبعد الوصول إلى كربلاء استقر بهم المطاف في
قصر آل كمونة الذي كان محاطاً ببساتين العامرة . وقد استقبلهم في باب
البستان شقيق محمد علي كمونة ، وساروا إلى القصر تحرقين المماشى المحفوفة
بصفوف النخيل الباسقة ، وشجيرات الدفل الزاهرة ، وأشجار المشمش
والكوجة . وكان جلوسهم في ظل الكروم التي كانت غرائشها غنية بأوراق
الأعنان الغضة .

وبعد ان استراحوا ، قدم لهم الغداء في مائدة كبيرة صفت فيها صحون
الطعام الكثيرة مرة واحدة في البستان نفسها . ويقول ستورز انه أكل البامية
الذيذة في هذا الغداء لأول مرة في حياته ، فكانت شيئاً شياً . وفي حوالي

والتجف فكانت مؤلفة من أعضاء معروفين بالولاء للانكليز عند غالبية الناس والله اعلم .
الطليل

الرابعة والنصف بعد الظهر أخذهم معاون الحاكم السياسي للتجوال في أسواق البلدة والتفرج على معاملها العامة . وصعدوا بعد ذلك فوق سطح بيت اليزدي ، فشاهد هناك قبة الحسين المذهبة ، والمنارتين المذهبتين ، وبرج الساعة المذهب ، مع اللقالق التي كانت تسرح وتمرح فوقها بحرية . كما شاهد الصحن المزين بأفخر أنواع القاشاني وأزهاه .

وقد زار ستورز في المساء عددًا من الوجوه والأشراف ، فعلم منهم ان ثورة الشريف حسين في مكة كان قد رحب بها العالم الشيعي لأنها جاءت ضد الأتراك فضلاً عن أنها كانت مشرفة للعرب . ويذكر في هذا الشأن ان مضيفهم محمد علي كمونة كان شخصاً مكروهاً في كربلا ، ولذلك لم يشأ أكبر عالمين مجتهدين في كربلا على ما يقول ان يزوراه هو نفسه في بيته (١) . فقرر ان يذهب هو إلى زيارتهما في بيتهما في صباح اليوم التالي ، أي في ١٩ مايس ١٩١٧ . فزار أولاً العلامة حسين المازندراني الذي يقول أنه أهم مجتهد في كربلا على الإطلاق . وكان رجلاً مسناً رقيق الشماثل ، يجلس عادةً في مكتبته الصغيرة التي تضم حوالي أربع مئة كتاب أكثرها مخطوطه . وقد كانت براعته في العربية والفارسية والهندستانية تدهش المتحدث إليه ، وعلم من تحدث إليه أنه كان معجباً بالحسين شريف مكة ومؤيداً لحركته . ولما رأى الشيخ اهتمام السر رونالد بكتبه ومخطوطاته طلب ان يوثى له بفتح

(١) المؤلف ان العلماء الكبار لا يزورون احداً من رجال السلطة مها سمت منزله ، ولذلك كان الملوك والامراء هم الذين يقصرون العلماء في بيوتهم ، ولم يذكر احد لان ان احداً من هؤلاء العلماء قد زار ناصر الدين شاه اوزار الملك فيصل الاول ، او الملك علي او الملك عبد الله في كربلا او النجف ، وانما كان يجري الاجتماع بالعلماء في الحرم المقدس ، باعتباره المجلس الروحاني المقدس ، واكبر القن ان ستورز لم يعرف شيئاً عن نهج العلماء الكبار وسيرتهم فذهب الى ان عدم قيام اولئك العلماء بزيارته ناشئاً من كرههم لمحمد علي كمونة ، اما انهم عادوا فزاروه رداً لزيارته لهم فهو موضع شك عندنا اذا كان الذين يمنيهم من كبار العلماء .
الخليلي

كربلاء في المراجع الغربية ٢٢٢

وأراه مكتبته الأخرى بفخر واعتزاز . لكنه اعتذر عن تصويره بصورة غير مباشرة ، بل قدم له نسخة جاهزة من تصويره بعد ان كتب عليها صيغة الاهداء بنفسه . وقد لاحظ السر رونالد ان بيت العلامة المازندراني مثل غيره من البيوت الأخرى كان يخلو من الكراسي ، وان الجميع كانوا يجلسون على الأرض ويتكثون بالحائط . هذا وقد ردت الزيارات له حتى من قبل المازندراني نفسه على ما يقول . وهو يذكر بالمناسبة ان الشيخ العلامة حينما يدخل لزيارة بيت من البيوت يكرر قوله « يا الله » بصوت مرتفع ثماني مرات قبل ان يصعد السلم ليشعر النساء بأنه قد حضر فيتوارين عن الأنظار ان وجدت واحدة منهن (١) .

ثم زار المدرسة الإيرانية في كربلاء فرأى الطلاب الصغار فيها يضعون أنواع العمام فوق رؤوسهم ، ومنها العمام الخضراء (السيدات) على ما يقول ، وبعد ان صوّر المناظر فيها عاد إلى منزله في بستان كمونة . وبعد أن تناول طعام الغداء مع جماعته غادر كربلاء إلى النجف ، وهو يقول انه رأى خارج البلدة من جهة الغرب أربع قباب شذرية اللون ، ومن بينها قبة الحر (٢) .

الاستثناء العام

وكانت هذه الفترة قد أعقبتها تطورات خطيرة في أحوال العراق والسياسة العالمية . فقد انتهت الحرب ما بين الدولة العثمانية وبريطانيا العظمى ، وأعلنت

(١) لا صحة لتحديد الاستغاثة باسم (الله) ثماني مرات او أكثر او اقل ، وكل ما في الأمر ان مقتضيات العادة ان يستفيث الداخل للدار بقصد التنبية وقد يكون الاكتفاء بمرة واحدة الخليلي

(٢) المص ٢٢٧ - ٢٣١ المرجع الاخير .

الهدنة بينهما في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ . وفي ٨ تشرين الثاني أعلن في العراق التصريح الانكليزي الفرنسي الذي وعد فيه الانكليز والفرنسيون بتشكيل « حكومات وإدارات وطنية حرة تنتخب وفق رغائب الأمة وتستمد سلطتها منها » للأقوام والبلاد المنسلخة عن الدولة العثمانية وحكمها المنهار . وفي ١١ تشرين الأول ١٩١٩ سمحت السلطات المحتلة بأن تنشر في العراق بنود الرئيس ويلسن الأربعة عشر ، التي كانت الدول التابعة للفرقيين المتحاربين قد اتفقت على اتخاذها اسساً لعقد الصلح فيما بينها .

ويبدو ان السلطات البريطانية أرادت بعد انتهاء الحرب مع الأتراك ان تعود بالبلاد الى حالة السلم ، فدعا الجنرال مارشال القائد العام لقوات الاحتلال البريطاني في العراق على أثر اعلان الهدنة وجهاء بغداد ورجالها البارزين ، فألقى فيهم خطاباً أشار فيه الى بيان سلفه الجنرال مود الذي ذكر فيه ان الانكليز جاءوا « محررين لا فاتحين » . وأعلن رفع القيود التي كانت قد اقتضتها ظروف الحرب ، ومن جعلتها لإباحة نقل الجنائز من مختلف الجهات ودفنها في مداخل كربلا والتجف بشروط مناسبة على حد قول أرنولد ويلسن في كتابه (١) المشار اليه من قبل .

وقد كان لا بد من أن تؤدي هذه الوعود والتطورات التي حصلت في البلاد الى تهيئة الأذهان بين الناس ، ولا سيما في كربلا والتجف ، وحصول نشاط سياسي فعال في الأوساط السياسية المختلفة . فقد أخذت الفئات جميعها والطبقات التي يهتمها وضع البلاد بعد ان خضعت الى دولة جديدة غير مسلمة ، تفكر في التكتل والمطالبة بشكل من أشكال الحكم يؤمن للبلاد حقوقها

كربلاء في المراجع الغربية ————— ٢٢٥

المشروعة ويحقق ما كانت الجمعيات الوطنية في البلاد تطالب به السلطات التركية قبل الحرب . وكان لحركة الشريف حسين وثورته العربية التي أعلنها مع أنجاله في الحجاز على الدولة العثمانية ، سنة ١٩١٦ ، تأثير غير يسير على تهيئة الأفكار في هذا الشأن ودفع الشباب الوطني الى العمل المثمر ، لا سيما وان الثورة العربية في الحجاز كان قد اشترك عدد غير يسير من الضباط العراقيين فيها واسهموا في حملة فيصل على الشام حتى أوصلوه الى عرشه فيها .

وفي غمرة هذه الأحداث والتطورات صدرت أوامر الحكومة البريطانية في لندن بأن يقوم وكيل الحاكم الملكي العام في بغداد بالتعرف على آراء العراقيين في شكل الحكم الذي يريدونه ، باجراء استفتاء عام حول النقاط التالية :

- ١ - هل يفضل العراقيون تأسيس دولة عربية واحدة تستهدي بإرشادات بريطانية ، وتمتد حدودها من حدود ولاية الموصل الشمالية الى الخليج ؟
- ٢ - وفي هذه الحالة ، هل يرون ان الدولة الجديدة يجب أن يكون على رأسها أمير عربي ؟
- ٣ - واذا كان الأمر كذلك ، فمن هو الذي يفضلون نصبه رئيساً للدولة ؟

لكن رجال الاحتلال البريطاني في العراق يومذاك ، وعلى رأسهم أرنولد ويلسن وكيل الحاكم الملكي العام ، كانوا غير مبالين الى تأسيس أي شكل من أشكال الحكم الوطني في العراق على ما يظهر . ولذلك بادروا الى اتخاذ التدابير اللازمة للحصول على نتائج استفتاءية تتفق وما يرتأون ، بالتأثير على الناس في كل منطقة من مناطق العراق عن طريق الحكام السياسيين البريطانيين الذين كانوا يعملون فيها ، وبزيف آراء الشعب وتحريفها .

ولما كانت العتبات المقدسة تعتبر ذات دور قيادي فعال في هذا الشأن ، بالنظر لوجود العلماء فيها وللوعي المتوثب عند أبنائها ، فقد صدرت تعليمات خاصة باستحصال نتائج مرضية للانكليز منها على الأخص .

غير ان مثل هذه النتائج « المرضية » لم يكن من السهل استحصاها من العتبات . وفي هذا الشأن تقول المس بيل في تقريرها (١) المشار اليه قبلاً ان المجتهدين في كربلا والكاظمية حرموا على المسلمين ان يصوتوا لغير تشكيل حكومة إسلامية ، فبلغ الاختلاف حداً أوقف سير الاستفتاء . لكنها تشير بعد ذلك الى امكان استحصال بعض العرائض من الممالئين للانكليز ، فتقول « .. وقدمت بعد ذلك عدة عرائض يفضل فيها الموقعون عليها بقاء الإدارة البريطانية ، وكان بين الموقعين عليها شيوخ ورجال ذوو مكانة في البلد .. » والمعروف في هذا الشأن ان العلامة الأكبر المرزا محمد تقي الشيرازي أصدر في كربلا فتوى تنص على :

« ليس لأحد من المسلمين ان ينتخب ويختار غير المسلم للامارة والسلطنة على المسلمين . ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٧ » ولذلك أخذ الكربلائيون ينظمون مضابط تعبر عن حقيقة رأي الناس في حكم البلاد وتتفق مع مصلحتها ، ولما وجدت السلطات البريطانية فيها انها لم تكن قادرة على تنفيذ ما تريد في هذا الشأن ألقت القبض على ستة من الوجهاء وأبعدتهم ، وهم عمر الحاج علوان ، وعبد الكريم العواد ، والسيد محمد علي الطباطبائي ، ومحمد علي أبو الحب ، والسيد محمد مهدي المولوي ، وطفيفح الحسون . فاحتج المرزا محمد تقي على ذلك احتجاجاً خطياً شديداً بالهجة .

كربلاء في المراجع الغربية ٣٣٧

وتعود المس بيل فتعطي تفصيلات أكثر عن الموضوع في مذكرة سرية خاصة كتبها في شباط ١٩١٩ . بعنوان « الحكم الذاتي في العراق » (١) . إذ تقول ان التحريكات بقيت مستمرة مدة من الزمن فأصاب نجاحها الجزئي الآخر في كربلاء . فقد أصدر العالم الأكبر في البلدة فتوى بتكفير أي شخص يرغب في تشكيل حكومة غير مسلمة . فتردد رجال البلد البارزون بسببها في الإفصاح عن رأيهم كتابةً ، في الوقت الذي كانوا يطمنون معاون الحاكم السياسي فيه بصورة شفوية عن موالاتهم لنا . اما العشائر التي لا يمكن تضليلها بسهولة فقد طالبت بابقاء الإدارة البريطانية من دون تعديل . ثم تستمر في تفصيل الوضع في كربلاء بالنسبة للعمل ضد الاستفتاء بحيث تتجاوز على المرزا محمد تقي في لهجتها ، الأمر الذي يعد موضع فخر له بطبيعة الحال . فهي تقول « .. وكان ابرز شخصية على الإطلاق في حركة كربلاء ابن المرزا محمد تقي المتقدم في السن . وكانت منزلة محمد تقي في العالم الشيعي لا تفوقها الا منزلة محمد كاظم اليزدي ، لكنه كان يكاد يكون خرقاً بحيث يستولي عليه بالكلية ابنه محمد رضا الذي كان على اتصال بمشاغبي النجف . »

ويؤيد هذا كذلك الكاتب الأمريكي المستر فيليب آيرلاند ، في كتابه المعروف عن العراق باسم (العراق — دراسة في تطوره السياسي) (٢) .

Self Determination in Mesopotamia — Memorandum by Miss (١) G. Bell, February 1919.

نشرت هذه المذكرة بين ملحقات الجزء الثاني من كتاب ويلسن المشار اليه قبلاً ، الص ٣٣٠ (الملحق الثالث) .

Ireland, Philip w. — Iraq, A Study in Its Political Development, London 1937.

وهو الكتاب الذي ترجمه كاتب هذه السطور ونشره بالعنوان المذكور أعلاه (بيروت ١٩٤٩) . الص ١٢٦ من الترجمة العربية .

موسوعة النبات المقدسة (٢٢)

فهو يقول «.. على ان سير الاستفتاء في المناطق الأخرى ، ولا سيما في المدن المقدسة مثل كربلا والنجف والكاظمية ، وفي بغداد ، لم يكن سهلاً كما ان نتائجه لم تكن مرضية على الوجه المطلوب .. وأما في مدينة كربلا فقد أصدر المجتهدون فتاوى تجعل كل من يرغب في حكومة غير مسلحة



الامام الميرزا محمد تقى الشيرازي
زعيم الثورة العراقية الكبرى

من الناس مارقاً عن الدين . وبتأثير هذه الفتوى تردد سكان المدينة في اعطاء أي رأي كان . وعندما نظموا المضبطة المطلوبة كانت فيها آراؤهم على غير ما ارتأه النجفيون . ومن حسن الحظ ان خطوات الاستفتاء في النجف كانت قد أصبحت قطعية ويتعذر التكرار عنها ، بينما لم يحصل أي تقدم في كربلا ولم يفصح أحد عن الآراء التي تكونت فيها رسمياً » .

كربلاء تمهد للثورة العراقية

وكانت حركة الاستفتاء ومقاومتها بهذا المنوال سبباً قوياً في تعاظم الحركة الوطنية ، وتوجيهها ضد السلطات الانكليزية المحتلة ، ولا سيما في كربلا التي اضطر فيها الانكليز الى ابعاد عدد من رجالها البارزين .. فقد تطورت الأحوال في هذه المدينة المقدسة حتى استقطب فيها الكفاح الوطني وقيادته ، وعلى الأخص بعد ان توفي العلامة السيد كاظم اليزدي وأصبح حجة الإسلام المرزا محمد تقى الشيرازي المقيم في كربلا هو المرجع الأعلى للشيعه . وبقي الحال على هذا المنوال الى ان اندلعت نيران الثورة العراقية في ٣٠ حزيران

كربلاء في المراجع الغربية ٢٣٩

١٩٢٠ ، واضطلع بها رجال القبائل الفراتية التي كانت تتلقى الرأي والمشورة من كربلاء وغيرها من المدن المقدسة في الدرجة الأولى . وتقول المس بيل في هذا الشأن (تقريرها المشار اليه قبلاً) (١) ان القلاقل والاضطرابات العلنية قبل ان تحدث في بغداد كان العنصر الديني الشيعي في المدن المقدسة ينهمك في حبك الدسائس لها ضد السلطات الحاكمة . وان وفاة السيد كاظم اليزدي قد أدت الى انتقال السلطة الدينية في العالم الشيعي الى أيدي المرزا محمد تقي المتقدم في السن ، الذي كان يقوده في جميع شؤونه ابنه محمد رضا . وكان هذا رجلاً سياسياً فعالاً لا يستقر على حال ، ومعارضاً للاتفاقية الايرانية - البريطانية معارضة عنيدة مرة ، ولذلك كرس جهوده ومساغيه لمناوأة الحكومة البريطانية في العراق . ومع انه لم تكن له منزلة دينية ، وحتى لم يكن يعترف به كعالم ، فانه كان يتمتع بالاحترام الذي كانت تعامل به أسرة المجتهد الأكبر في البلاد ، وقد جعله تأثيره على أبيه مرجعاً أعلى في الرأي كذلك .

وفي خريف ١٩١٩ أدى اكتشاف مؤامرة لقتل الضباط البريطانيين والموظفين في كربلاء الى توقيف بعض الأشخاص ، لكن اولئك المشبوهين أطلق سراحهم بكفالة المرزا محمد تقي نفسه فعادوا الى سيرتهم الأولى في الحال . وشجع هذا الحادث على حبك الدسائس بدلاً من إيقافها عند حدها . وفي أوائل مارت ١٩٢٠ قيل ان المرزا محمد تقي أصدر فتوى يحرم فيها توظيف المسلمين في الادارة البريطانية ، فكتب الحاكم السياسي في الديوانية يقول ان جثة أحد أفراد الشبانة المقتولين لم يسمح بدفنها بموجب القواعد الشيعية المتبعة ، وان الاستقالات من خدمة الحكومة أخذت تزداد يوماً بعد يوم . وبعد ان نودي بملكية الأمير عبد الله على العراق في دمشق

٢٤٠ جعفر الحياط

يوم ٩ آذار طلب الى شيوخ جميع القبائل الفراتية ان توقع على وثيقة يطلب فيها منه ان يتوجه لتسلم مملكته . والمعتقد ان عريضة بهذا المعنى بعثت اليه من الشامية بالفعل . وحينما بلغت حركة بغداد الوطنية أشدها تضاعفت جهود الوطنيين في كربلا . فوصلت إلى القبائل وسكان المدن كتب لا يحصى عددها تحمل توابع المرزا محمد تقي ، مفادها ان الوقت قد حان للقيام بحركة متناسقة واحدة تسير بموجب خطوط دستورية من أجل تشكيل حكومة مسلمة ، وتدعوهم الى ارسال ممثلين عنهم في بغداد . ولذلك لم يكن يخلو الوضع من عوامل مهيجة تدعو إلى الثورة ، لأن شيوخ منطقة الحلة البارزين كذلك صمدوا تجاه هذه التحريكات لكنهم أعربوا عن تخوفهم الشديد من ان الحالة اذا قدر لها ان تستمر على ما كانت عليه فلن يكون بوسعهم السيطرة على قبائلهم .

هذا وقد وجدت من المناسب ان أدرج فيما يأتي نص الكتاب الذي وزعت نسخته بعدد لا يحصى على ما تقول المس بيل نفسها :

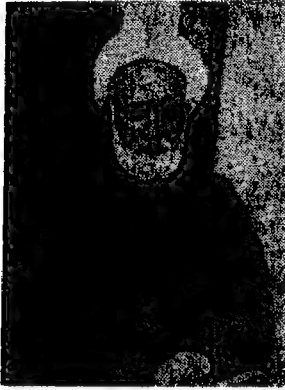
الى إخواننا العراقيين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فان إخوانكم في بغداد والكاظمية وكربلا والنجف ، وغيرها من أنحاء العراق قد اتفقوا فيما بينهم على الاجتماع والقيام بمظاهرات سلمية . وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات ، مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لاستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية . وذلك بأن يرسل كل قطر أو ناحية الى عاصمة العراق وقدماً للمطالبة بحقه متفقاً مع الذين سيتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد . فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الاتفاق مع إخوانكم على هذا المبدأ الشريف ، وإياكم والاخلال بالأمن والتخالف والتشاجر

بعضكم مع بعض ، فان ذلك مضر بمقاصدكم ومضيق لحقوقكم التي صار الآن اوان حصوها في أيديكم . وأوصيكم بالمحافظة على جميع الممل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، ولا تنالوا احداً منهم بسوء أبداً . وفقكم الله جميعاً لما يرضيه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

كربلاء في ٩ - ١٠ رمضان ١٣٣٨ الاحقر محمد تقي الخائري الشيرازي

ويبدو من ماجريات الأحوال في كربلاء ، ومما عرف عن أخبار بغداد



الميرزا محمد رضا نجل الامام
الميرزا محمد تقي الشيرازي

والنجف والقبائل في الفرات الأوسط ، ومن كتاب حجة الاسلام الشيرازي هذا ، أن خطة ما قد وضعت لاضرام الثورة في الفرات الأوسط وغيره يتزعمها العلماء الاعلام في كربلاء والنجف والكاظمية وعلى رأسهم العلامة الشيرازي ، وان ميثاقاً خاصاً قد تم التوصل اليه وتم توقيع شيوخ العشائر الفراتية عليه . كما يلاحظ ان حلقة الوصل بين مختلف الفئات التي

كانت تعمل من أجل الثورة وتدير شؤونها كان المرزا محمد رضا نجل الامام الشيرازي المنقمن في كربلاء . ولذلك اضطرت السلطات البريطانية الغاشمة الى ملاحقته واعتقاله عدة مرات .

ويؤيد هذا ما ورد في كتاب (١) المستر أيرلاند الذي يقول ان الحركة الوطنية لم تتبلور الا تدريجياً في خلال ١٩١٩ . فقد اشتدت التحريكات الدينية في

(١) الص ١٦٤ من الترجمة العربية (بيروت ١٩٤٩)

العتبات المقدسة ضد البريطانيين وأصبحت أشدّ عداءً لهم حينما تولى قيادتها الميرزا محمد رضا بن الميرزا محمد تقي الشيرازي المجتهد الأكبر الجليل الذي كان خاضعاً لتأثير ولده بالكلية ، بعد ان بقيت تلك العتبات هادئة هدهوءاً نسبياً مدة حياة المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي الذي كان يقبض المنح الكبيرة من « الادارة الملكية » (١) . وقد زعم البعض ان الميرزا محمد رضا كان على اتصال مع البلاشفة والأتراك . فأوقف هو والمشترون معه في أيلول ١٩١٩ بتهمة إثارة القلاقل ، غير انه أطلق سراحه بكفالة أبيه . ويلاحظ من قول آيرلاند هذا انه استمد المعلومات من المصادر الانكليزية بطبيعة الحال بعد ان أدخل عليها شيئاً من التحوير . ولذلك نجد انه يشير الى اتصال الميرزا محمد رضا بالبلاشفة ويعتبره زعماً ، بينما تعتبر التقارير الانكليزية ان ذلك كان شيئاً أكيداً .

ثم يذكر المستر آيرلاند في مناسبة أخرى قوله ان هياج بغداد بينما كان يشتد ويتعاضم قبل وقوع الثورة العراقية ، كان علماء الشيعة في المدن المقدسة يضاعفون جهودهم في إثارة القبائل والناس في مراكز الألوية ، فنشرت المناشير الطويلة ، والرسائل والوثائق التي كان يحمل قسم منها التوقيع المزور للمجتهد الأكبر الميرزا محمد نبي في كربلا . وقد كانت هذه تناشد المؤمنين الصادقين ان يهبوا للدفاع عن بيضة الاسلام ضد الكفار ، وتستحثهم على إرسال المندوبين الى بغداد لتشكيل حكومة إسلامية . ووقع عدد من الشيوخ

(١) راجع بشأن هذه المنح ما ورد في مذكرات (روفالد ستورز) والمستر (غاربوث) من الجزء الاول من (قسم التجف) من هذه الموسوعة ص ٢٥٦ التي يقول فيها انه عمل كل شيء ليحمل السيد كاظم اليزدي على قبول بعض المال فلم يوفق ، وقال اني اعتقد ان الشيء المهم الذي يعا به السيد كاظم اليزدي هو الالفة والاباء لا المال ، فكيف يوفق المستر آيرلاند بين ما أورده هو ككاتب وبين ما أورده (ستورز) السياسي البريطاني الكبير الخليل

كربلاء في المراجع الغربية ٢٤٢

على ميتاق يجمع القبائل على الثورة في وقت واحد (١) .

وحينما يتابع آيرلاند وصف الحالة التي كانت عليها الألوية الجنوبية قبل الثورة يقول : ويستبان بأن خطط الثورة كانت قد وضعت بصورة أكيدة في كربلاء في منتصف حزيران (١٩٢٠) عندما كانت جماعات من الوجهاء وشيوخ العشائر تؤدي واجب الزيارة هناك . وفي اجتماع عشائري عقد بعد ذلك في الشوملي اتفق كبار شيوخ البلاد الكائنة ما بين الشنافية والحلة على أن ينضوا تحت لواء السيد محمد الصدر ويوسف السويدي (٢) . وبذلك أصبحت القبائل والبلدان في حالة اضطراب متزايد نتيجة التحريضات المنبثقة من بغداد والمدن المقدسة وسورية . فأخرج قطار عن سكته في أوائل مايس ، كما أخرجت قطارات أخرى على مقربة من الحلة في أوائل حزيران ، وأخذ الموظفون العرب يستقبلون من خلعة الحكومة واحداً بعد آخر . ثم ازدادت الصعوبة في جباية الضرائب عن الحاصلات الشتوية . وفي شطرة المنتفك نُصح الكابتن ميد معاون الحاكم السياسي في ١٧ مايس بأنه اذا ما أصر على قياس المساحات المزروعة بالحبل أو السلسلة فسوف يجابه بقوة وعنف . وقد أدى توقيف ستة من المشاغبين في الحلة الى زوال التوتر الذي كان سائداً فيها ، غير ان توقيف الميرزا محمد رضا في كربلاء وتسفيره الى هنجام مع تسعة آخرين منها في ٢٩ حزيران قد شدد من خطورة الموقف في الفرات الأوسط كله . ولم يجد توقيف الحاج مخيف في الديوانية نفعاً في إيقاف الوضع عن التدهور . فقد ظهرت امارات الاضطراب في كل مكان ، وكان من

(١) الص ٢٠٤ المرجع الأخير . وقد استند آيرلاند في هذا على تقرير اداري قدمه الحاكم السياسي الأنكليزي في المنتفك الى مراجعه المختصة في اواسط ١٩٢٠ .

(٢) هذا الخبر ليس فيه أي أثر من الصحة على ما نعلم . الخليلي

الواضح ان الوضع قد أصبح لا يعوزه غير الشرارة لاشعال نار الثورة العارمة .
أما المس بيل فتكاد تؤيد ما جاء به آيرلاند في هذا الشأن لكنها تختلف عنه في الاسلوب الذي تتوخى منه الدس والخط من شأن المشتغلين في الحركة الوطنية بطبيعة الحال . فهي تقول (١) : « .. وهناك أعلن خطيب له اتصال برجال بغداد ان البريطانيين سيجلون عن البلاد في عيد الفطر ، كما نشرت معلومات مماثلة بين القبائل التي طلب اليها التعجيل باعلان الثورة والنهب (٢) واتبعت في كربلا نفس الأساليب التعبوية مقرونة بالمساعي المضنية التي كانت تبذل من أجل الحصول على التواقيع للميثاق الذي ارتبطت به جميع العشائر العراقية وتعهدت بالوقوف صفاً واحداً لنيل حقوقها . وكان الوضع يزداد حرجاً بسرعة ، وفي ٢٢ حزيران أوقف المرزا محمد رضا بن المجتهد الأكبر مع تسعة من أتباعه وأعوانه ، بعد أن أوقف في الحلة قبل بضعة أيام ستة من الشخصيات غير البارزة .. وكان معظم العلماء قد رفضوا الاشتراك مع المرزا محمد رضا في الحملة التي وضع خططها (٣) . وقد تسلمنا بعضاً من كتب الاحتجاج أو التوسط له منهم ، لكنه أطلق سراحه بتوسط الحكومة الايرانية بعد ان قضى حوالي الشهر في المعتقل وسمح له بالسفر الى ايران . ومن المهم ان نذكر هنا ان المرزا محمد رضا قد ورد اسمه المذكوراً في برقية صدرت من البولشفيك في رشت بأنه كان « يشتغل للدعوة البولشفية في كربلا » (٤) . والمعروف في المراجع العربية ان الذين اعتقلوا مع الميرزا

(١) الص ١٥٨ (فصول من ...) .

(٢) وهذا الخبر هو الآخر عار عن الصحة هل ما نعلم . الخليلي

(٣) والثابت ان الميرزا محمد رضا الشيرازي كان من اعدى اعداء البولشفية فقد كانت تربطنا به روايت جملتنا واثقين من معرفته معرفة كاملة ، واذا حصل ما يدل على تأييد البولشفيك له فليس ذلك اكثر من تأييد الشيوعيين لكل ثورة تقوم في وجه الانكليز بصرف النظر عن الثوار الخليلي

٢٥٥ ————— كربلاء في المراجع الغربية

محمد رضا في كربلاء كانوا : عبد الكريم العواد ، ومحمد شاه الهندي ، وأحمد القنبر ، وعمر الحاج علوان ، وعثمان الحاج علوان ، والسيد محمد علي الطباطبائي ، والسيد أحمد البير ، والشيخ كاظم أبو ذان ، وعبد المهدي القنبر ، والشيخ هادي كمونة ، وإبراهيم أبو والده .

وتقول (١) المس بيل كذلك ان الدعاية الشديدة للثورة في الوقت نفسه كانت تبث من كربلاء وبغداد وتنتشر في الديوانية عن طريق الشامية . ويبدو ان خطة معينة قد وضعت للثورة ، حيث زار كربلاء في العيد الذي صادف وقوعه في منتصف حزيران عدد كبير من الشيوخ والوجهاء . وجرى في أواخر حزيران اجتماع عشائري في الشوملي الكائن على الفرات في شمال الدغارة حضره كبار الرؤساء من الحلة الى الشنافية فقرروا بالاجماع السير وراء السيد محمد الصدر ويوسف السويدي . وكان أكثر الأشخاص نشاطاً في تنفيذ الخطة في الديوانية الحاج مخيف ... ويؤيد أرنولد ويلسن (٢) ، وكيل الحاكم الملكي العام الذي أدى سلوكه الخشن الى التعجيل باضرام نيران الثورة ، جميع النقاط المارة في هذا الشأن لكنه يعتمد علاوة على ذلك الى تحليل وضع الامام انشيرازي بلهجة نابية لا يستغرب صدورها من مثله في تلك الأيام ، لأن العلامة الأكبر هو الذي تزعم الثورة فكانت وبالا على ويلسن ودولته المعظمة . ثم يعتمد كذلك الى مدح المرزا محمد (٣) خان بهادر ، معاون الحاكم السياسي في كربلاء خلال تلك الفترة العصية ، ويشيد بذكوره وتقدير مواقفه الصعبة في كربلاء .

(١) الص ١٦٠ المرجع الأخير .

(٢) الص ٢٧٦ ، ج ٢ .

(٣) وهو المحامي محمد أحمد الذي يقيم في البصرة حالياً .

فهو يقول « .. ومع ان المشاكل والصعوبات التي واجهناها في النجف كانت مشاكل عظيمة ، فان المشاكل والمصاعب التي ترتب علينا أن نواجهها في كربلا كانت تساويها ، اذا لم تكن تزيد عليها ، حيث أقدمت الشرطة المحلية على اعتقال عشرة من الوجهاء فيها يوم ٢٢ حزيران بمساعدة المرزا محمد خان بهادر الذي كان يمثل الادارة المدنية في معقل التعصب الديني هذا . وكان من بين المعتقلين ابن المجتهد الأكبر المرزا محمد تقي ، الذي بذلت محاولات عدة لأحصل منه على انكار الوثائق المتعددة الموزعة بين العشائر بتوقيعه المزور فلم انجح . وقد كان هذا الرجل العجوز ، على حدة تعبير (غيبون) في وصف البابا ليو التاسع ، قديساً بسيطاً ذا مزاج مبال جداً الى تضليل نفسه والعالم . وشخصيته وغورة كثيراً ما تتخذ باسم التقوى والتدين تدابير بعيدة جد البعد عن واقع الدين . !! قد أبدى قبل عدة أشهر أقل ما يمكن من المجاملة لشاه ايران حينما قدم للزيارة في كربلا . لما كان يدور في مخيلته من ادعاءات دنيوية يعتقد أنها ملازمة لمركزه الديني المرموق . على انه في الحقيقة كان قد رفض التوقيع على فتوى تدعو أتباعه المسلمين ، الذين تدخل في ضمنهم عشائر الفرات ودجلة السفليين جميعها الى الجهاد في جانب الأتراك . وقد رفض كذلك حتى إعلان حالة الدفاع رسمياً بين أتباعه ، وهي الحالة التي يصبح من واجب المعلم فيها ان يتخذ إجراءات الدفاع ضد أعداء الإسلام الروحيين او المدنيين ، في حالة تعرضه لخطر الكفار . ومع هذا فحينما زور توقيع على الوثائق المذكورة لم تكن عنده الشجاعة الكافية ، أو القناعة ، لاعلان تنصله منها . ومع هذا لم يكتب له العيش بحيث يتسنى له ان يشهد الانتكاسات التي مُني بها أتباعه المضللون (بفتح اللام) بعد ذلك بأشهر معدودة ، لكن التحسس بالطائفية الذي كان هو وأصدقائه أبرز مفسريه وواضعي نهجه ظل إلى ما بعد عقد كامل من السنين مصدراً للحيرة والارتباك للذين كانت تتورط

بهما الحكومة الوطنية في العراق بين حين وآخر . « (١)

اما المرزا محمد خان بهادر ، معتمد السلطات البريطانية المحتلة في كربلا ، فبعد ان يشير ويلسن الى ثقافته وعلمه ونشأته في بوشهر ، والى اشتغاله مع الانكليز في مقيمة الخليج واشتراكه في مفاوضات عُمان باشراف السير بيرسي كوكس ، يقول انه كان عليه في موقفه الصعب ان يتحمل تأنيبات أبناء وطنه له وتهديدات الوطنيين الذين كانوا أكثر قوة في كربلا منهم في النجف . لأن أساليبهم كانت على جانب أكبر من الدماء والمكر ، ولأن المطبعة كانت مسخرة لهم على الدوام لتخرج صفحات طويلة عريضة من المنشورات والمطبوعات التي كانت تنشر ببراعة وتفنن .

فقد نُشر أحد هذه المنشورات وهو يدق على وتر الصليبية ، ويعرض الخطاب الذي خاطب به لويد جورج اللورد اللنبي فاتح فلسطين ، معتبراً حملته فيه « آخر الحملات الصليبية وأعظمها شأنًا في التاريخ » . كما ذكر شيئاً كثيراً عن المذابح والشناعات البربرية التي اقترفها الصليبيون الأولون ، ودعا جميع المسلمين الى امتشاق الحسام ضد المحاولات الخبيثة التي تقوم بها الدول المسيحية في فلسطين أو سورية أو العراق للقضاء على الدين الإسلامي بالطرق والأساليب المختلفة .. وقد كان لمثل هذه الاستفزات بعض التأثير في كربلا ، لكنها لم يُلْتَفِت لها في الأماكن الأخرى لأنها خرجت عن الحد المألوف . ويبدو ان البولشفية أيضاً قد وجدوا ضالتهم الروحية لوقتٍ ما

(١) الص ٢٩٩ من كتاب ويلسن **Mesopotamia** ، ج ٢ - المترجم - . نعتقد أن غمط الحق وقلب الحقائق الوارد هنا من الموضوع بحيث يقني عن التعليق ، على مثل هذه الاتهامات خصوصاً وأنها صادرة عن خصم فشل في المعركة السياسية وكان السبب الأكبر في فشله هو الميززا الشيوعي فكان من الطبيعي أن يقول فيه ما قال .

في كربلا ، فلم يدخلوا في برنامجهم تحرير القوميات والشعوب المستعبدة فقط بل أدخلوا أيضاً قضية القضاء على الملاكين والاقطاعيين وأصحاب الخطوة والامتياز في المجتمع . على أن التعريض الصريح بالأطماع العشائرية كان أكثر مما يتحمله القادة الوطنيون الذين سرعان ما أخذوا يتملصون من مثل هذا الحليف المخطر برغم ما جاء به من مساعدات مالية غير يسيرة . وقد كان يعمل في كربلا وكلاء عدة دول أخرى كذلك ، ومنها بعض الدول الحليفة ، لكنهم لم يحرزوا نجاحاً يذكر لأنهم كانت تعوزهم البراعة والمعرفة الكافية في استثمار الأموال الموضوعة تحت تصرفهم واستغلالها في المجالات والأساليب الناجعة .

ويعود ويلسن الى المرزا محمد خان بهادر فيقول انه استطاع ان يسير في ذلك الخضم المتعالي من الأحداث على خط مستقيم . فمع انه كان على علم تام بأساليب المكر والخديعة التي يعتبرها الديبلوماسيون الشرقيون شيئاً معجبا فقد استطاع ، كما فعل آغا حميد خان في النجف ، ان يحصل على سمعة طيبة لدى الاصدقاء والأعداء معاً بالسلوك المشرف الذي لا يمكن أن يُنسب طالما وُجد على قيد الحياة أناس يمكنهم ان يعودوا بالذاكرة الى تلك الأيام المضطربة فيقبلوا صفحاتها . ولذلك كان انسحابه من كربلا شيئاً يخلو مسن المضايقة ، فأعقبه في ١٤ آب قطع الجداول الذي كان يأتي بالماء العذب إلى البلدة المقدسة . ولم يكن لهذه الخطوة أي تأثير يذكر على تطور الحوادث وسيرها ، لكن الجنرال (هولدين) (١) يذهب إلى القول بأن انقطاع الماء

Haldane, Sir Aylmer — The Insurrection in Iraq. (١)

والجنرال هولدين هو قائد الجيوش البريطانية في العراق في أثناء نشوب الثورة العراقية ، وكان على اختلاف في الرأي مع ويلسن .

في هذا الجدول كانت له نتائج خطيرة...

وفي برقية مفصلة بعث بها السر أرنولد ويلسن هذا إلى الجهات المختصة في لندن ، حينما استفسرت منه برقية (في ٥ آب) عن أسباب نشوب الثورة العراقية التي انفجرت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ، ذكر النقاط المار ذكرها كلها . لكنه اضاف الى ذلك تأكيداً على ان تأثيرات أجنبية غير يسيرة أخذت تعمل عملها في كربلاء ، وان مبالغ طائلة قد وزعت فيها . ويقول بهذه المناسبة ان سبعة آلاف ليرة تركية ذهب (١) قد وصلت الى أيدي المتطرفين في كربلاء خلال شهري مايس وحزيران .

ويضيف إلى ذلك قوله أيضاً ان العشائر كانت قد حُملت على الاعتقاد بأن الثورة هي جهاد مقدس ، وما يزال المجتهد الأكبر في كربلاء يدعو بكل نشاط إلى الجهاد في سبيل الله ، وقد بعث بالمثلثات من الوكلاء والرسل إلى جميع أنحاء الفرات الأوسط ليدعو الناس إلى الثورة (٢) .

وقبل الانتهاء من هذا البحث الخطير أرجو ان لا يفوت القارئ الكريم ان المسؤولين البريطانيين ، مثل ويلسن والمس بيل وغيرهما ، كانوا يحاولون فيما يكتبون ويزعمون الخط من قيمة الحركة الوطنية ورجائها بكل الوسائل

(١) لقد شاع في وقتها ان هذا المقدار من النقود او اقل من ذلك كان قد بعث به الملك فيصل عن طريق ياسين الهاشمي ، ونستطيع أن نؤكد ان اي مبلغ لم يصل إلى الثوار قبل الثورة او في اثنائها او بعدها حسب ما عرفناه من زعماء الثورة ، امثال : الحاج عبد الواحد الحاج سكر والسيد محسن (ابو طيخ) ، على الرغم من تأكيد الملك فيصل بعد تنويجه بأنه كان قد أرسل مثل هذا المبلغ ، وأسف لأنه لم يصل ، ويبدو أن السر أرنولد ويلسن قد اعتمد هذه الاشاعة دون أن يتحقق من صحتها وما اذا كان هذا المبلغ قد وصل وان أحداً قد تسلمه .

الخليلي

الممكنة . فقد كانوا تارةً يعزونها إلى تحريكات أجنبية تركية أو بولشفية أو حتى حليفة ، وتارة أخرى كانوا يعتبرونها حركة دينية يدفعها التعصب الديني الضيق وطمع العلماء الأعلام في الاستئثار بالسلطة لأنفسهم . ولا شك أنهم كانوا يستكثرون بذلك على البلاد بوجه عام ان يستيقظ فيها الروح الوطني وتنش في أبنائها القومية الحققة فتهد للمطالبة باستقلالها وتحقيق آمالها بالتخلص من الاحتلال الأجنبي الذي أخذ يرهق كاهلها . كما كانوا يستبعدون ان يكون بين علماء الأمة وعقلائها من يتصدى لقيادتها ويرشدها الى السواء السبيل . ولذلك نرى ويلسن والمس بيل يذكران بأن الفتاوى والمناشير التي كانت توزع بتوقيع الامام الشيرازي كانت تحمل توابعه المزورة . ولا يخفى ما كان في هذا الافتراء من دس مقصود يتجاهلون فيه بأن قيادة الثورة كانت في يده ، وان النسخ الكثيرة التي كانت تستنسخ خطأ بعلم منه كانت تحمل اسمه الكيم في أسفلها وليس توقيع المزور كما يدعون . وعلى كل فليس من المستغرب ان يصلر هذا وغيره من مثل هؤلاء لأن الثورة العراقية قلبت الخطط البريطانية رأساً على عقب وأفسدت على رجالها أحلامهم المزوقة ، وآمالهم المعسولة .

بعد الثورة

وكانت الثورة العراقية التي مهدت لقيامها مدينة سيد الشهداء قد أثبتت للعراق موجوديته ، وبرهنت للرأي العام البريطاني وحكومته بأن هذه البلاد لا يمكن ان تدار كما تدار سائر المستعمرات . ولذلك قررت الحكومة البريطانية ان تعمل على تشكيل حكم وطني في العراق ، بالشكل الذي تريده ، فأعادت اليه السير بيرسي كوكس بعد ان كانت قد عينته سفيراً لها في ايران ، وعهدت له بهذه المهمة الشاقة . وكان عليه منذ ان وطأت قدماه الأرض في العراق

كربلاء في المراجع الفريية ٢٥١

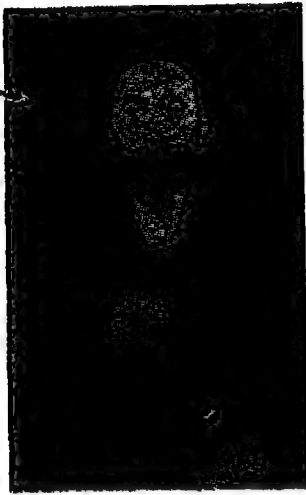
من جديد أن يعمل على تهدئة الحال بالحسنى ، وينهي حالة الثورة في البلاد قبل أي شيء آخر . لكنه اصطدم في هذه المهمة بصخرة العلماء الذين آلى الثوار على أنفسهم في الفرات الأوسط ان لا يلقوا السلاح إلا برأيهم ، ولا يقطعوا بأمر من أمور الصلح قبل ان يعرضوه عليهم .

فكان موقف السير بيرسي كوكس في هذا الشأن كما يصفه كتاب المستر آيرلانده (١) الذي أشرنا اليه من قبل . فهو يقول « .. وكان السير بيرسي كوكس قد ترك فكرة تأديب القبائل بشدة ، على أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأنهم يجب ان يجبروا على الخضوع حتى اذا تطلب الأمر إستعمال القوة من جديد وليست هناك طريقة أخرى غيرها تجردهم من السلاح او تعيد سلطة الحكومة إلى نصابها . ولذلك وقف بعزم وصلابة .. في وجه الطلبات المتكررة التي كانت تأتي من رؤساء الدين في كربلاء والتجف يجعلهم وسطاء لدى القبائل التي طلبت هي نفسها ان تكون المفاوضات عن طريق المجتهد الأكبر الذي لا يلقون سلاحهم إلاّ بأشارةٍ من عنده . ورفض الاعتراف بمطالب رجال الدين الشيعة ، ضرب السر بيرسي كوكس ضربته الأولى بالنيابة عن الحكومة الجديدة التي كانت قوة الحل والعقد التي يمسكها العلماء بأيديهم تكون عقبة كأداء في طريقة تشكيلها » . والمعروف ان أهم الشيوخ الثائرين الذين كانوا يطالبون بمثل هذا هم عبد الواحد الحاج سكر شيخ مشايخ الفتلة ، ومرزوق العواد شيخ العوابد .

ويتابع المستر آيرلانده قوله في هذا الشأن فيقول إنه وجد من الضروري تأجيل اعلان العفو العام الذي طالب به مجلس وزراء الحكومة الموقته التي

(١) العراق - دراسة في تطوره السياسي ، المص ٢٢٥ .

ألفها النقيب ليسهل أمر التهدة في البلاد الى أن تقدم العشاير خضوعها وتحل القضايا السياسية الأخرى . على ان المندوب السامي (كوكس) وافق على اقتراح المجلس في ٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ بإطلاق سراح ستة عشر مبعداً من المبعدين السياسيين الذين كانوا قد سفروا الى هنجام على عهد الادارة السابقة لقاء ضمانات معقولة . ولا شك ان هؤلاء كان بينهم عدد من الكرblائيين



السيد محمد مهدي قطببائي
اول وزير معارف في الحكومة
للمراقبة

وحينما تألفت الحكومة المؤقتة برئاسة نقيب الأشراف السيد عبد الرحمن الكيلاني لم يكن بينها ولا وزير شيعي واحد (مع وجود وزير يهودي مهم هو ساسون حشقي) ، فشعر المندوب السامي بأن ذلك لا يسهل مهمته في تهدة الفرات الأوسط والمدن المقدسة على ما يروي المستر آيرلاند . ولهذا وجد ضرورة للتصلب أمام مجلس الوزراء في تعيين الموظفين الشيعة في الأماكن التي يكثر وجودهم فيها على الأقل . وبعد تقنيات لا يستهان بها وُجد مكان

في مجلس الوزراء لوزير شيعي ، فنيطت وزارة التربية بالسيد محمد مهدي الطباطبائي الكرblائي . (١) وبذلك يكون اول وزير استوزر من الشيعة في العراق ، وزير من هذه المدينة المقدسة .

ولتماماً لمشروع تشكيل نوع من أنواع الحكم الوطني في العراق قررت

(١) آيرلاند ، الص ٢٣٢ من الترجمة العربية .

٢٥٣ كربلاء في المراجع العربية

الحكومة البريطانية ، بعد مؤتمر عقد في القاهرة برئاسة المستر تشرشل وحضور
السر بيرسي كوكس ، والمس بيل ، وساسون حسيقل ، وجعفر العسكري
من العراق ، ان تسمح للأمير فيصل بن الحسين شريف مكة بأن يرشح نفسه
لعرش العراق ، وحملته طراة بريطانية الى البصرة فوصل اليها في ٢٣ حزيران
١٩٢١ ، وبعد اسابيع ثلاثة نادى به مجلس وزراء الحكومة الموقتة ملكاً على
العراق بالاجماع . غير انه برغم الاستقبال الحافل الذي استقبل به في البصرة
لاحظ وجود فتور واضح في استقباله في محطات القطار الكائنة على طول
الطريق ما بين البصرة وبغداد . « .. اما كربلاء فان القائم مقام الهندي ، الذي
كانت عقيدته ضعيفة في الحكم الذاتي للعرب ، كان قد ترك البلدة قبل وصول
فيصل إليها يوم واحد من دون ان يستدل منه على الموقف الرسمي بالنسبة
للاستقبال . على أنه عاد الى كربلاء بعد التداول مع المندوب السامي وحاول
ان يهيئ استقبالاً لائقاً لكن ذلك لم يكن بدافع الرغبة الشخصية . ولذلك بقي
العلماء مبتعدين بصورة تلفت النظر . وكان العلماء في النجف متحفظين
اذا لم يكونوا قد اتخذوا موقفاً عدائياً تجاهه . » (١) ويقول آيرلاند كذلك :
ان فتور الحماس في الاستقبال وعدم اتخاذ الاستعدادات الكافية في مناطق
الفرات الأوسط والجنوبي كان يعزى إلى ميل مستشار الداخلية الانكليزي
يومذاك (المستر فيلي) ، الذي كان مسؤولاً عن اجراء هذه الترتيبات ،
الى الجمهورية وعدم ميله الى الشريف وأبنائه . ويستند في ذلك على خلاصة
تاريخية (٢) كان السر بيرسي كوكس قد كتبها لرسائل المس بيل المعروفة
عند نشرها .

(١) المس ٢٥٦ المرجع الأخير .

Historical Summary, by Sir Percy Cox. (٢)

موسومة للعتات الملمة (٢٣)

وحينما أُجري الاستفتاء العام في البلاد لانتخاب الأمير فيصل ملكاً على العراق ، كما قرر مجلس الوزراء في ١١ تموز ، ونجح فيه بنسبة ٩٦٪ كان لواء كربلا كله من المصوتين على تنصيبه في الملكية . إذ يقول المستر آيرلاند « .. اما في الأولوية الأخرى فقد تم الاستفتاء بهدوء . فقد وقعت الصيغة الرسمية من دون إضافة شيء عليها في كربلا والنجف ، وذلك بفضل الحذق والمثابرة اللذين أبداهما المتصرف » (١) .

الموظفون الانكليز في كربلاء

وبانتهاء عهد الاحتلال وتشكيل الحكم الوطني الذي وضع أسسه الملك فيصل الأول بالاشتراك مع الانكليز يجدر بنا هنا ان نورد أسماء الموظفين الانكليز الذين اشتغلوا في كربلا خلال تلك المدة منقولة عن القائمة التفصيلية الموجودة في ضمن ملحقات كتاب السر أرنولد ويلسن المشار اليه من قبل (٢) .

فقد عُيّن الميجر أيج سي (بولي) معاون حاكم سياسي في كربلا بتاريخ ١٥ - ٩ - ٩١٧ نقلاً من بغداد ، وبقي فيها حتى نقل الى بوشهر . ثم عُيّن الكابتن ن . أي . (برّي) في الوظيفة نفسها بتاريخ ٥ - ٥ - ٩١٨ ، وبقي فيها حتى نقل الى البحرين . وقد حل في محله بعد ذلك الميجر دبليو جي (بوفيل) الذي تعين بتاريخ ٥ - ١١ - ٩١٨ ، واستمر في وظيفته هذه حتى نقل الى طويريج بتاريخ ٧ - ٩ - ٩١٩ . ثم أشغل هذه الوظيفة بعد ذلك الميرزا محمد خان بهادر منذ ١٤ - ٩ - ١٩ حتى نقل الى بغداد بتاريخ ١٥ - ٨ - ٩٢٠ . وكان محمد سرور خان رسلدار الهندي يشغل في معية

(١) آيرلاند المص ٢٦١ من الترجمة العربية .

(٢) الملحق الرابع المص ٢٤٣ - ٤٠٠ ، ج ٢ .

كربلاء في المراجع الجغرافية ٢٥٥

معاون الحاكم السياسي في كربلاء منذ ٢٤ - ١ - ٩١٩ حتى ١٢ - ٩ - ١٩ حين نقل إلى الكاظمية .

وقد اشتغل في كربلاء عدد من الموظفين الانكليز في الدوائر غير السياسية كذلك . فقد عُيِّن اللفنتانت سي أي روبي معاون ضابط ربي بتاريخ ١ - ٤ - ١٩ وظل يشغل في وظيفته هذه حتى نقل الى المسيب ، فتعين بعده المستر أي أيس (منزيس) في ٢٣ - ٦ - ١٩ نقلاً من المسيب أيضاً . وفي ٢٧ - ٣ - ١٩ عين الدكتور مرسيدى جراحاً مدنياً في كربلاء ، وظل فيها حتى نقل الى بغداد في ٢٢ - ٨ - ٩٢٠ . هذا وقد وجدت بين الأسماء الانكليزية أسماء بعض الموظفين العراقيين كذلك . ومنهم الشيخ محمد فاضل الذي عُيِّن نائباً في المحكمة الشرعية الجعفرية بتاريخ ٦ - ١ - ٩٢٠ .

مؤتمر كربلاء

وما ان تسلم الملك فيصل الأول العرش في بغداد حتى نشأت قضية تحديد العلاقات بين العراق وبريطانية العظمى بشكل معاهدة ترسم فيها الخطوط العريضة لهذه العلاقات وتنظيمها . وكان من رأي بريطانية ان تكون هذه المعاهدة وسيلة لتبديل الانتداب الذي منحه لها عصبة الأمم ، وتنظيم علاقاتها التي تؤمن مصالحها في العراق بأقل كلفة ممكنة . ولذلك استقر رأيها على ان تضمن المعاهدة في جملة ما تضمنه معظم بنود الانتداب التي تؤمن موقفها تجاه العصبة في هذا الشأن . وقد علم الرأي العام العراقي ، والمحافل الوطنية ، بهذه القيود فثارت ثائرة المعارضة والعلماء في العتبات المقدسة ، وأخذت الحركة الوطنية تنظم صفوفها لمقاومة المعارضة والحيلولة دون عقدها والتوقيع عليها .

فحدثت في هذه الأثناء اعتداءات الاخوان الوهابيين المتكررة على حدود

٢٥٦ . جعفر الحباط

العراق الجنوبية بصورة أثارت الرعب والفرع بين طبقات السكان في الألوية الوسطى والجنوبية من العراق على الأخص . وعقدت اجتماعات في النجف تقرر على أثرها ان يطالب العلامة الأكبر الشيخ مهدي الخالصي في الكاظمية بعقد مؤتمر عراقي عام في كربلا يدعى اليه نخبة من وجوه الناس وشيوخ العشائر العراقية كافة في يوم ١١ نيسان ١٩٢٢ . فتم ذلك بعد ان أوجست السلطات العراقية والبريطانية خيفةً منه ، وحاولت عرقلته من بعيد . لكن قادة الحركة الوطنية استغلوا هذا الاجتماع فعمدوا الى المداكرة في توحيد الجهود من أجل العمل على استحصال الحقوق المشروعة للبلاد وعدم تصديق المعاهدة بالشكل الذي كان يريده الانكليز ، ومعظم أعضاء الوزارة التقيية يومذاك .

ويقول المستر آيرلاند (١) في هذا الشأن « .. وقد رحب بالاجتماع العظيم الذي اجتمع فيه الوطنيون ، أهل السنة والشيعه ، من جميع أنحاء العراق في كربلا بتاريخ ١٢ و ١٣ نيسان ١٩٢٢ . وقد دعا الى عقده الشيخ مهدي الخالصي ، والغرض الظاهري منه النظر في التدابير الدفاعية اللازمة لصد الوهابيين الذين أحدثت غاراتهم في أوائل مارت هياجاً عاماً وانفعالاً عصبياً في جميع أنحاء العراق . فاعتبر هذا الاجتماع أعظم أهمية من المجلس التأسيسي المرتقب لأنه اجتمع برغبة الأمة من دون تأثير الحكومة عليه . وبرغم ان جلسات الاجتماع الرسمية لم تؤد الا الى نتائج قليلة الأهمية لا تتعدى تقديم العرائض المعتدلة التي حلت محل المطالبات المتطرفة الأصلية ، فان الاجتماعات الخاصة التي عقدت بمناسبته كانت أكثر جدوى وانتاجاً . فقد نتج عن هذه الاجتماعات تنظيم الكثير من الحركات التي وقعت بعد

(١) المص ٢٧٥ من الترجمة العربية .

ذلك .. « وقد استند المستر آيرلاند في نبذته هذه على ما جاء في جريدة الأوقات البغدادية (عدد ١٧ نيسان ١٩٢٢) التي كانت تصلو بالانكليزية حينئذ ، وتمثل وجهة نظر السلطات المحتلة .



الإمام الشيخ مهدي الخالصي

ويذكر المستر لونكريك صاحب كتاب (اربعة قرون ..) في كتابه المهم الثاني الموسوم (العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) (١) أن المداولة في المعاهدة بينما كانت تجري في اوائل ١٩٢٢ في مجلس الوزراء ، كانت طبقات الرأي العام قد اتضح موقفها تجاهها . فقد أخذ الوطنيون المتطرفون ، ومن ضمنهم علماء الشيعة والمؤيدون البارزون للملك وحتى المتصلون به اتصالاً وثيقاً ،

ينادون عالياً ضد عبودية الانتداب ويطالبون بالجلاء البريطاني التام . وطالب الوطنيون المعتدلون ، الذين كان الملك يشاركهم الرأي ، بالغاء الانتداب وعقد معاهدة صداقة بين الفريقين على أسس متساوية ، واستمرار العون البريطاني للعراق . وأصبح الاختلاف في الرأي أكثر وضوحاً وتخصصاً بعد ان دعا الى عقد مؤتمر في كربلاء خلال نيسان ١٩٢٢ ، للاحتجاج على غارات الاخوان في الظاهر ، الشيخ مهدي الخالصي أحد علماء الشيعة المنصرفين

(١) Longrigg, Stephen H. — Iraq 1900 — 1950, A Political, Social, & Economic History. London 1953.

الى الاشتغال في السياسة . وكانت الأحزاب المعتدلة تنظر بعدم ارتياح الى هذا المؤتمر الذي اجتمع فيه مثنان من وجهاء الشيعة وعلمائهم وشيوخ عشائهم . ويرغم القرارات غير المجدية التي اتخذها في النهاية ، فقد وحّد المؤتمر المجتمعين وجمعهم حول معارضة المعاهدة والعمل على مناورتها .

والمعروف في المراجع العربية ان المؤتمر عقد أول جلساته في دار الامام الشيرازي ، ثم عقد الجلسات الأخرى في مختلف الأماكن ، وكانت آخر جلسة له الجلسة التي عقدت في صحن الحائر الحسيني المطهر فكان اجتماعاً حضره حوالي مئتي ألف نسمة على ما يروى . وقد خطب المغفور له الحاج جعفر ابو التمن في هذه الجلسة خطبةً أتى فيها على أغراض المؤتمر وخلصها ما توصل اليه . ثم نظمت (مضبطة) أدرجت فيها جميع المطالبات ورفعت الى الملك فيصل ، ثم قدمت نسخ منها الى العلماء البارزين . وكانت الحكومة توجس خيفة من هذا الاجتماع ، فانتدبت ، وزير الداخلية توفيق الخالدي لمراقبته عن كثب وموافاة الملك والحكومة بما يدور فيه .

معارضة المجلس التأسيسي وانتخابه

وكان مجلس الوزراء قد صادق في ٢٥ حزيران ١٩٢٢ على عقد أول معاهدة عراقية بريطانية برغم معارضة الوطنيين لها . وما ان أعلنت على الملأ حتى بادرت الحكومة الى اتخاذ ما يلزم لانتخاب المجلس التأسيسي ، فصدرت الإرادة باتخاذ ما يلزم لبدء الانتخابات في ٢٤ تشرين الأول . ويقول المستر آيرلاند (١) ان رد الفعل لذلك كان بعيداً كل البعد عما كان يتوقعه المعنيون بالأمر مقدماً . فقد اتحد العلماء والوطنيون والشيعة في معارضة تنفيذها ،

كربلاء في المراجع الفهرية ٢٥٩

وأقنع العلماء في كربلاء والنجف والكاظمية .. باصدار الفتاوى في أوائل تشرين الثاني لتحريم الاشتراك في الانتخابات . وكان تأثير الفتاوى المباشر ان وقف لإجراء الانتخابات في المراكز الشيعية . فقد استقالت اللجان الانتخابية في كربلاء والنجف والحلة والكوفة ، وأعلن الموظفون في الكاظمية عن فشلهم في تأليف اللجان المذكورة .

ثم يستطرد آيرلاند ويقول بعد ذلك ان المساعي بذلت لاسترضاء العلماء ، لكنها لم تنجح وأعيد اصدار الفتاوى في حزيران ١٩٢٣ . وقد ذهبت المحافل البريطانية الرسمية الى ان العلاج الوحيد للمشكلة هو اتخاذ الاجراءات المشددة ضد رجال الدين أنفسهم . لأن الفرصة لا يمكن أن تسنح ، لالقاء الرعب في نفوس الدهماء بحيث يمكن للانتخابات ان تجري من دون معارضة فعالة ، إلا باسكاتهم . وكان رئيس الوزراء (السعدون) يترأى هذا الرأي لكن الملك فيصلاً تهادى في أملة بأن يسترضي العلماء بطرق أخرى .

غير أنه يبدو ان الانكليز كانوا قد أصروا على رأيهم فأزرتهم الوزارة ورئيسها في ذلك ، وتم سوق المغفور له الشيخ مهدي الخالصي إلى الخارج . ولذلك يقول المستر آيرلاند ان مظاهرة احتجاجية قد نظمت في الحال ، وقد قام بها رؤساء الدين في النجف ، ثم غادر البلاد الى ايران جماعة مؤلفة من تسعة علماء مهمين مع خمسة وعشرين من أتباعهم مشيرين بذلك الى سخطهم — ومع ان الحكومة كانت تستنكر عمل هؤلاء العلماء فانها أبدت لهم جميع التسهيلات لتعجل في رحيلهم . ويبي آيرلاند معلوماته هذه على « تقرير إداري » كتبه أحد الموظفين الانكليز في ١٩٢٣ - ٢٤ . والمعروف ان عدداً من رجال الدين الذين غادروا العراق كانوا من كربلاء نفسها ، ومنهم آية الله السيد الكاشاني الذي اشتهر في مناوئة الانكليز على عهد مصدق في إيران .

ويعرف كذلك في هذا الشأن ان متصرف كربلا في ذلك الوقت كان السيد مولود مخلص الذي سهل خروج العلماء تنفيذاً لأوامر الحكومة .

وحينما حاولت الحكومة البدء بالانتخابات من جديد في ١٢ تموز ١٩٢٣ لم تنجح كذلك بسبب رفض الشيعة تشكيل اللجان الانتخابية على ما يقول آيرلاند . ولذلك استقالت وزارة عبد المحسن السعدون ، فألف الوزارة



السيد أبو القاسم الكاشاني
الزعيم الديني السامي

الجديدة جعفر باشا العسكري . ويقول آيرلاند ان الملك اتخذ تشكيل هذه الوزارة فرصة لاسترضاء الشيعة . ولا نلري كيف تم هذا الاسترضاء ، لكن المعروف ان هذه الوزارة ، التي تشكلت في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٢٣ ، كانت تضم بين وزرائها الثمانية وزيرين شيعيين من لواء كربلا هما المرحومان الحاج محسن شلاش (للمالية) من النجف والحاج محمد حسن ابو المحاسن (للمعارف) من كربلا الذي استوزر

بعد تشكيلها بمدة . ومع جميع هذه المشاكل فقد انتهى التسجيل وتمت الانتخابات في ٢٥ شباط ١٩٢٤ ، ودُعي المجلس التأسيسي إلى الاجتماع في ٤ آذار . وكان يمثل لواء كربلا فيه منلوب واحد فقط هو عمر الحاج علوان .

وقد عرضت المعاهدة على هذا المجلس للتصديق تنفيذاً للشرط الذي كان قد اشترطه مجلس الوزراء الذي صادق عليها من قبل ، فلم تم المصادقة الا بكثير من الصعوبة والمشقة نظراً للمقاومة العنيفة التي أبدتها الشعب في

كربلاء في المراجع الغربية ٢٦١

بغداد ، والرأي العام القوي الذي أخاف المتدوين . وكان عدد الموافقين ٣٧ مندوباً ، وعدد المستنكفين ثمانية ، وعدد المخالفين أربعة وعشرين ومنهم مندوب كربلاء عمر الحاج علوان .

دونالدسون في كربلاء

هذا وقد تسنى للدكتور دوايت دونالدسون في ١٩٢٨ ان يزور العتبات الشيعية المقدسة في العراق كلها ، وكربلاء منها على الأخص ، إتماماً لمشروعه في كتابة مؤلف خاص عن عقائد الشيعة وتاريخهم . وكان قد سلخ ستة عشر عاماً من عمره ، قضاه في مشهد الإمام الرضا عليه السلام في خراسان ، يبحث وينقب لهذا الغرض . فأخرج في ١٩٣٣ كتاباً ضخماً سماه « عقيدة الشيعة » (١) ، وكتب فيه فصلاً كبيراً عن كربلاء ، وآخر عن الامام الحسين عليه السلام .

ومع ما في هذا الكتاب من مبالغات وأغلاط غير متفقة مع الواقع ، ومع أنه يحاول اعتبار الكثير من الخرافات والغرائب التي تعب في جمعها كأنها جزء من العقائد الإسلامية الشيعية فقد أثرت ان أورد هنا انطباعات المؤلف عن كربلاء ، وبعض ما توصل الى معرفته عن المعتقدات الإسلامية عند الشيعة .

فقد تحرك دونالدسون من بغداد في فجر يوم من أيام الصيف الحارة ، وحينما وصل إليها في الصباح المبكر جلس في مقهى كان يستطيع أن يرى منه تزيينات القاشاني وزخرفته الدقيقة فوق مدخل الصحن الحسيني الشريف ،

Donaldson, Dwight M. — The Shi'ite Religion, A History (١) of Islam in Persia & Iraq, London 1933.

وقد ترجم هذا الكتاب السيد عبد المطلب الأمين وطبعه في بغداد .

والمناثر . وقد لاحظ في هذا المدخل على ما يقول السلسلة الحديد التي تعتبر حاجزاً يتحتم على « الكافر النجس » عدم تخطيه . ويقول في هذا الشأن كذلك ان زيارة الزائر لهذا الضريح ، وهو يؤمن بنبوته محمد ويعتقد بامامة الحسين المنزلة من الله ، تعتبر عملاً في غاية الأهمية لأنه يؤهله للتمتع بامتيازات مثل عدم سقوط سقف منزله عليه قهلاً ١١ ، وبقائه في حرز حرز عن الغرق والحريق والتعرض للحيوانات الوحشية المفترسة (٩) . (١) اما غير المسلم فان تخطيه الى ما وراء السلسلة المانعة فيه انتهاك يمكن ان يعاقب عليه بالموت على أيدي الجماعير الساخطة ، لأن مثل هذا العمل يعتبر تدنيساً للبقعة المقدسة المحيطة بالضريح .

ولاحظ في الكتاب ان دونالدسن يتحسر ويتحرق لأنه لا يستطيع الدخول إلى مثل هذا المكان المقدس ، مع السهولة التي جاء بها من بغداد الى كربلا . ثم يقارن نفسه في هذا الشأن بالزوار الذين وجدهم في نفس المقهى الذي كان جالساً فيه ، وقد خرجوا من الحمام وهم عراة الا من الوزرة الحمراء التي كانوا يتزرون بها ، وأخذوا يرتشفون شايم بهلوء وسكينة قبل ان يرتدوا ملابسهم ويهرعون إلى الزيارة .

وحينما دقت ساعة الصحن في برجها الخاص معلنةً الثالثة غروبية تمشى من المقهى الى السلسلة الحاجزة وأخذ يحرق بنشوق واهتمام فيما هو موجود في الداخل . وقد تمنى ان يكون قادراً على الدخول الى فناء الصحن الشريف على الأقل ليقضي فيه يوماً كاملاً يدرس خلاله الزخارف والكتابات المنتشرة

(١) المؤلف ان مثل هذه الكتب قد يعتمد عليها بعض الغربيين بل وحتى الشرقيين بل وحتى بعض الكتاب العرب فيستخذونها مصدراً يمولون عليه في بحوثهم فيشوه بذلك وجه الحقيقة ويضع على الأجانب الصواب الخليلي

في كل مكان . ثم يعمد إلى الإشارة إلى جميع النقاط الواردة في كتاب (بلدان الخلافة الشرقية) (١) للمستشرق المعروف لمسترانج نقلاً عن المؤلفين العرب مثل المسعودي والمستوفي والطبري ومن أشبه ، بما أتينا على ذكره في صدر هذا المبحث بصدد الإشارة إلى ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية عن كربلاء .

وبينما كان دونالدسون في موقفه هذا ، وهو يتأمل المواقف التاريخية التي يستوحها الواقف في هذا المكان ، طرق سمعه ما يشبه الغناء التريطي على ما يقول . وإذا به يرى عندما التفت قافلة من الزوار يتقدمها دليل خاص ، وما أن وصلوا حتى أخذوا يكررون ما كان يرتله الدليل بين يديهم . ثم يتطرق إلى مجيء الزوار من الأماكن النائية ، وما يتحملونه من المشاق والمصاعب في المسافات البعيدة التي يستغرقون في قطعها على ظهور البغال مدة تراوح ما بين أربعة إلى ثمانية أسابيع في بعض الأحيان . ومما لفت نظره بين أولئك الزوار وجود عدد من عجائز النساء ، أو الجذبات اللواتي تتحقق أمنيات حياتهن بهذه الزيارة .

ويقول الدكتور دونالدسون كذلك إن أناساً كثيرين لا يستطيعون أن يتركوا أهمية الزيارة وعظم شأنها عند هؤلاء الزوار . فهم يتوقون إليها في جميع الفرض والمناسبات التي تعرض لهم في أيام حياتهم كلها ، ويتسمعون إلى قصة الحسين ومقتله المفجع حتى في حفلات الختان والزواج ومآتم الوفاة . وبهذه الوسيلة يقفون على أهمية البركات العجيبة التي يعدهم الأئمة الأطهار بها حينما يقومون بواجب الزيارة لقبر الامام الشهيد . ويسمعون منذ نعومة أظفارهم أن ضريح الحسين المطهر يحف به أربعة آلاف ملك ، سيكون آناء

(١) Le Strange, Guy -- The Lands of Eastern Caliphate, London

وقد ترجمه إلى العربية كوركيس عواد وبشير فرنسيس وطبع على نفقة المجمع العلمي العراقي .

٢٦٨ جملر الخياط

الليل وأطراف النهار ، ويخفون لاستقبال كل زائر من الزوار ، حتى ولو كان في أطراف الحلود . وإذا ما ابتلي بمرضٍ من الأمراض ينبرون لمساعدته ، ثم يذهبون الى أبعد من ذلك فيحيطون بقبره ويستغفرون له ذنوبه عندما يموت . وقد قيل لهم ان الله سبحانه عز وجل هو المسؤول عن تدبير حاجات الزوار المادية جميعها ، وأنه هو يغفر ذنوبهم لمدة أربعين عاماً . ولذلك يأتي أغلبهم الى الزيارة وليس في جيبه سوى دراهم معدودة ، مع علمه بمقدار ما يتطلبه سفره من مال خلال مدة مكثه في كربلا وعودته الى بلاده بعد ذلك . ثم يورد اقوالاً وخرافات كثيرة في هذا الشأن فيبالغ بها وبأهميتها العقائدية بلهجة غير مستبعدة من رجلٍ مبشر مثله يتسقط المثالب والنواقص وخرافات العوام فيفسرها كما يريد .

وبعد ما يأتي عليه من سرد قصة الحسين في كربلا والموقعة التي استشهد فيها مع الشهداء من آل بيته وصحبه ، وبعد ان يشيد ببطولة أخيه العباس ، مستنداً على رواية الدينوري في (الأخبار الطوال) ، يعود فيقول ان حقبة تنيف على الألف سنة قد مرت على تلك الموقعة المفجعة في كربلا والزوار ما زالوا يتوافدون عليها بعشرات الألوف في كل سنة من العراق وإيران وسائر أنحاء العالم الإسلامي لزيارة الضريح المقدس فيها . وكثيراً ما يحملون معهم رفات الموتى من أعزائهم وأقاربهم ، أو الذين يوصون قبل الموت بدفنهم في هذا المكان المقدس . ويوجد الى يمين الداخل الى الحضرة الحسينية المطهرة سلم يؤدي الى سرداب أرضي متسع ربما يبلغ طوله مئتي ياردة . ويوثى بالحث في صناديق ، وما يقبل للدفن منها هنا يكندس في هذا المدفن الفسيح . وهناك ترتيب للدفن يشبه هذا في حضرة العباس كذلك ، وقد قيل للدكتور دونالدسون ان الدفن في هذين المكانين لا يسمح به ما لم يدفع عن كل جنازة مبلغ خمس مئة روبية .

ويذكر دوناللمن ان قبة العباس حينما شاهدها كانت غير مذهبة ، ويعزو ذلك الى قصة يرويها عن نادر شاه الذي أمر بتشيدتها . فقد شاهد هذا الشاه في الطيف رجلاً ظن أنه الامام أبو الفضل العباس ، وسمعه يقول : « بما أني أصغر من أخي الحسين ، وأنني بمثابة التراب العالق بقدمي سيدي الأكبر ، فلا بد من ان تميزوا الفرق بين السيد والعبد عند تشييد القبتين » . على انه يذكر كذلك ان (حضرة) العباس يوجد فيها عدد كبير من السجاد الايراني الفاخر الذي كان قد أهده التجار والموسرون بعد ان حيكت أسماؤهم في أطرافه . وهناك ثريات ذهب وفضة معلقة في داخل القبة الكبرى ، أما القبر فهو محاط بشباك فضة (١) بسيط على حد قوله . وفي داخل الشباك توجد فوق القبر العمامة التي كان يعم بها العباس في يوم المعركة والسيف الذي قاتل به قبل ان يستشهد كما تؤيد الروايات المختلفة . وأخيراً يشير الى أن أغلبية الشيعة ينحشون القسم الكاذب بأبي الفضل العباس ويهابونه جداً .

اما قبر الامام الحسين الموجود تحت القبة المكسوة بالذهب فيحيط به شبّاكان ، أحدهما مصنوع من الذهب وهو الداخلي والثاني مصنوع صنعاً متقناً من الفضة . وقد أهدي الشباك الفضة ناصر الدين شاه الذي يوجد اسمه منقوشاً في إحدى زواياه . وكثيراً ما يأتي الزوار بالهدايا على شكل دراهم أو مصوغات ثمينة فيرمونها في داخل الشباك . ويحصل ذلك على الأخص حينما ينلّون من أجل الحصول على مساعدة الامام في تحقيق رغباتهم ، وعند ذاك يرمون هداياهم في داخل الشباك الذهب . ويفتح هذان الشباكان بين حين وآخر ، فتجمع النور والهدايا وتحسب بصورة رسمية قبل ان تباع فتدخل أقيامها في مدخولات العتبة المقدسة . ويتم فتح الشباكين بمراسيم

(١) لقد استبدل في شتاء هذه السنة .

خاصة عادةً يحضرها ممثل خاص عن الحكومة .

ولقد قص عليّ شاهد عيان ، اسعده الحظ ذات يوم بمشاهدة هذه المراسيم .
كيفية وقوع هذه العملية . فقد انتخب اثنان من الملائية الأختيار بالقرعة
لهذا العمل ، وأول ما فعلاه انهما باحرا الى الاستحمام والتطهر في خزان الماء البارد
الموجود في الصحن . ثم لف جسماهما بقماش أبيض نظيف يشبه قماش
الأكفان . وعُقد بعقد محكمة حول رقبة كلٍ منهما ومعصمه ورسغه لثلا
يتمكن من إخفاء شيء مما قد تحدثه نفسه بأخذه من المصوغات الثمينة التي
يكلف بجمعها من الداخل . ثم انبطح كل منهما على الأرض بحيث يتمكن
من الدخول إلى داخل الشباك مشياً على الأربع . فشرع كل منهما بتنظيف
المصوغات التي عثر عليها في الداخل من الغبار ، الذي اهتم اهتماماً خاصاً
بجمعه وعدم التفريط به لانه هو بدوره يعتبر شيئاً ثميناً كذلك . وبعد ما يقرب
من ثلاث ساعات قضاها كل منهما في الكنس والتنظيف . فضلاً عن جمع
الهدايا وتصنيفها . خرجا بما جمعاها منها ومن الغبار المقدس الذي اهتم
اهتماماً خالصاً بجمعه على حدة . وقد أخذت المصوغات على اختلاف أنواعها
إلى خزانة العتبة ، باعتبارها جزءاً مهماً من دخلها الاعتيادي ، لكن الرجلين
أخذ كل منهما ما استطاع ان يجمعه من الغبار ليوزعه على صرر صغيرة من
القماش تكون جاهزة للبيع إلى الزوار المتلهفين اليها لأنهم يعتقدون بأن شيئاً
قليلاً منه اذا دفن مع الشخص المتوفى يضمن له غفران ذنوبه بأجمعها .

هذا وقد عمد دونالدسون في كتابه الى تدوين أشياء كثيرة عن الحسين (١) .
بالاضافة إلى ما كتبه عن كربلا والحائر المقدس . فقد كتب عن أهل البيت

كربلاء في المراجع الغربية ٣٦٧

وموقف بني أمية منهم ، وعن معاوية والامام الحسن عليه السلام ، ثم كتب عن الحسين وموقفه من يزيد ، وعن موقعة كربلاء والبطولات التي أبدت فيها إزاء الفظاعات والأعمال الدنيئة التي اقترفها أعداؤه وأعداء الاسلام . ومع ان جميع ما جاء في هذا الفصل لا يخرج عما جاء فيما كتبه المؤرخون العرب مثل المسعودي والدينوري وزيدان وما أشبه ، فقد أثرت ان أذكر هنا بعض النقاط التي يؤكد عليها دونالدسن . فهو يذكر ، بمناسبة تفكير معاوية في جعل الخلافة ملكاً وراثياً عضوضاً ، ان أول من اقترح عليه هذه الفكرة وزينها له مساعده المقتدر ، علي ما يقول دونالدسون ، المغيرة بن شعبة الذي كان أول مسلم من المسلمين اشتغل بتزوير النقود وتزييفها . ولذلك بادر معاوية إلى إجراء الترتيبات اللازمة لأخذ البيعة لابنه يزيد قبل ان يموت .

ويذكر كذلك ان الامام الشهيد كان أول رجل من بني هاشم علق جثته المطهرة للملأ ، واحتز رأسه الشريف فحمل الى دمشق . ثم يقول : ان الذين أسهموا في قتل الحسين كانوا كلهم من الكوفة ، ولم يكن بينهم ولا رجل واحد من سورية . وان الذين استشهدوا في عاشوراء معه كان عددهم سبعة وثمانين ، وكان من بينهم ابنه علي الأكبر ، وأبناء الامام الحسن عبد الله والقاسم وأبو بكر ، وإخوانه العباس ، وعبد الله ، وجعفر ، وعثمان ، ومحمد الصغير . أما سائر الشهداء فقد كان بينهم أربعة من الأنصار ، بينما كان الباقيون من مختلف القبائل العربية المعروفة .

وقد وجدت في جثة الامام الشهيد بعد وفاته ثلاث وثلاثون طعنة رمح ، وأربع وثلاثون طعنة سيف .

« التربة » الحسينية

وقد كانت التربة الحسينية وما تزال تلفت نظر الكثيرين من الغربيين

وغيرهم حينما يزورون كربلا ، او يتعرفون على المجتمعات الشيعية في كل مكان . ولعل أول من أشار اليها والى استعمالها في الصلاة من الغربيين الرحالة الالماني كارستن نيبور حينما زار كربلا سنة ١٧٦٥ كما ورد في صدر هذا البحث فقد ذكر ان التربة كانت تصنع في معمل خاص تحتكر العمل فيه لنفسها أسرة من سادات كربلا ، وكانت هذه الأسرة تدفع مبلغاً كبيراً من المال في كل سنة الى والي بغداد لقاء الامتيازات . على ان الدكتور دونالدسون لاحظ (١) في سوق كربلا حينما زارها عدة ذكاكين فيها المئات من التربة ، وقيل له ان التربة لا يصح بيعها بيعاً لأن أحد الأئمة كان قد قال بأن من يبيع التربة التي تقدمت بدم الحسين الشهيد كمن يبيع اللحم المجث من جسمه لكنه لاحظ ان سائق سيارته حينما اشترى علبة شعاط ودفع عشرين فلساً أعطي عدداً من هذه التربة لتسديد ما بقي له من الحساب . وهو يقول ان باعة التربة المتجولين يأتون وفي ايديهم صواني مملوءة بها فيحاولون تقديمها لمن يتوسمون فيه الكرم من الزوار على سبيل الهدية ، ويقولون له أنهم يقبضون منه الثمن يوم القيامة . وبهذه الطريقة يحصلون على اكراميات غير يسيرة من المال . كما يشير الى ان التجار الهنود يدبرون شراءها بسعر ثلاث روبيات للمئة تربة ، وان هناك سراديب في عدة أمكنة من كربلا تكون ملأى بها في العادة .

والمفروض ان يؤخذ الطين الذي تصنع منه التربة من المكان الذي صرع فيه الحسين عليه السلام . وما يستعمل من هذا الطين يذهب في الغالب لصنع المسبحات الحسينية السود ، التي تتألف من أربع وثلاثين خرزة . وهذه يستعملها المؤمن المتدين في لحظات فراغه وعبادته للتسبيح ، فيكرر ذكر

كربلاء في المراجع الغربية... ٣٦٩

« الله أكبر » اربعاً وثلاثين مرة و « شكراً لله » و « سبحان الله » بمقدار ثلاث وثلاثين مرة لكل منهما . ومن حسن حظ الشيعة الذي يقضي نحبه ان يتهاى له من يضع في رقبته قلادة من هذا الطين المقدس ، وخاتماً منه في إصبع يده اليمنى ، و « زنادي » في كل من ذراعيه ، وصرة من التراب المكنوس من حول القبر في كفه الأيمن . ومن المستحب له ان يكون الكفن الذي يكفن به قد كتبت عليه بعض الآيات القرآنية بهذا الطين أيضاً . ثم يستمد دونالدسون في ذكر فوائد التربة وأهميتها الشفائية ، مستنداً على ما جاء في كتاب « تحفة الزائر » للعلامة المجلسي الذي ينقل فيه أقوالاً كثيرة عن الامامين موسى الكاظم وعلي الرضا عليهما السلام في هذا الشأن .

ويذكر الدكتور هولستر في كتابه (شيعه الهند) (١) المار ذكره أن تربة كربلاء يقدسها الشيعة دون غيرها من ترب العتبات المقدسة الأخرى . فهم يتمنون الدفن فيها والتبرك بها . ويروي (٢) بالمناسبة ان (باهو بكم) أرملة شجاع الدولة أحد ملوك أوده المعروفين (تسم الملك في ١٧٥٣ م) كانت قد أحضرت لنفسها مقداراً من تراب كربلاء قبل ان يتوفاها الله لأجل أن يفرش في قبرها عندما تدفن فيه ، فتم لها ذلك وظل ألف قارئ من القراء يقرأون القرآن على قبرها من المساء حتى الصباح عدة أيام . ويروي (٣) كذلك عن الخوجات الاسماعيلية في الهند ان الفرد منهم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة عند الموت يقطرون له ويرطبون شفثيه بشيء من الماء الذي تحسّل

(١) الص ٥٢ .

(٢) الص ١٥٥ .

(٣) الص ٤١٠ .

فيه التربة المستوردة من كربلا ، ثم يرشون على وجهه وعنقه وصدره مثل هذا الماء كذلك ليجنبوه الألم الذي قد يعاينه في سكرات الموت على يقولون .

محرم الحرام

ومن النادر ان نجد أحداً من الكتاب الغربيين يهمل التطرق إلى ذكر محرم الحرام وما يجري خلاله في البلاد الشيعية ، حينما يكتب عن كربلا وغيرها من العتبات الشيعية المقدسة او يأتي على ذكر الحسين عليه السلام . ومعظم ما يذكر في هذا الشأن بطبيعة الحال يدور حول إحياء الذكرى السنوية لاستشهاد الامام وأهل بيته وصحبه في يوم عاشوراء ، والطقوس او المراسيم المتخذة في إقامة العزاء و « السبايا » وما أشبه . وكثيراً ما يشير الغربيون في كتاباتهم هذه الى « التشايبه » فيسمونها « المسرحية الأليمة » (١) او التمثيلية العاطفية ، فيتحسسون بها تحسناً عميقاً في الغالب .

فنجد مثلاً ان السر بيرسي سايكس مؤلف كتاب (تاريخ إيران) (٢) يقول بعد تفصيل فاجعة الحسين واستشهاده عليه السلام « .. ان هذه الفاجعة كانت أساساً لتمثيل « المسرحية الأليمة » سنوياً ، ليس في ايران التي تعتبر « العقيدة الشيعية مذهباً رسمياً فيها فقط ، بل في كثير من البلاد الآسيوية التي يتيسر فيها وجود المسلمين الشيعة أيضاً . وقد شاهدت هذه المأساة تمثل أمامي مرات عديدة ، ولذلك يمكنني ان اعترف - وأقر بأن الاستماع الى ولولة النساء الصارخة ومشاهدة الحزن الذي يغشى الرجال كلهم يؤثر تأثيراً

Passion Play (١)

Sykes, Sir Percy — History of Persia, London 1953. (٢)

المر ٥٤٢ ، ج ١ .

كربلاء في المراجع الغربية ٣٧١

عميقاً في المرء بحيث لا يسعه الا ان يصب نقمته على الشر ويزيد بن معاوية ، بقدر ما يصبه سائر الناس الحاضرين . والحقيقة أن هذه المسرحية الأليمة تدل على قوة عاطفية جامحة تمتلئ بالحزن والأسى الذي لا يمكن ان يقلر بسهولة ، وان المناظر التي شاهدها بأمر رأسي ستبقى غير منسية في مخيلتي ما دمت على قيد الحياة .

وقد كتب عن هذه المأساة كذلك ، ومحرم الحرام بوجه عام ، المستر توماس لايل الذي اشتغل في العراق معاوناً للحاكم السياسي في الشامية والنجف في ١٩١٨ - ٢١ ومعاوناً للمدير الطابو في بغداد وحاكماً في محاكمها المدنية ، في كتابه (دخائل العراق) (١) ما يقرب من عشرين صفحة . وهو يقول بعد ان شهد مواكب العزاء ولطم اللاطمين فيها « .. ولم يكن هناك أي نوع من الوحشية أو الهمجية ، ولم ينعدم الضبط بين الناس ، فشعرت وما زلت أشعر بأنني توصلت في تلك اللحظة الى جميع ما هو حسن وممتليء بالحيوية في الإسلام ، وأيقنت بأن الورع الكامن في أولئك الناس والحماسة المتدفقة منهم بوسعهما أن يهزّ العالم هزّاً فيما لو وُجها توجيهاً صالحاً وانتهجاً السبل القويمة . ولا غرو فلهؤلاء الناس عبقرية فطرية في شؤون الدين . » (٢)

على انني لاحظت ان الدكتور هولستر صاحب كتاب تاريخ الشيعة في الهند (٣) قد أفرد فصلاً خاصاً فيه عن محرم الحرام وأهميته الدينية مع مراسيم العزاء التي تقام خلاله في الهند بمختلف الوسائل والأشكال . فهو يقول ان

- Lyell, Thomas — The Inns & Outs of Mesopotamia, London (١)
 ١٩٢٣ المص ٥٧ - ٧٦ .
 (٢) راجع الجزء الأول من (قسم النجف) من هذه الموسوعة المص ٢٩٣ - ٣٠٣ كذلك .
 (٣) الفصل التاسع ، المص ١٦٤ - ١٨١ .

مقتل الحسين في كربلا برغم كونه قد وقع قبل مدة تزيد على ثلاثة عشر قرناً فان فجيعة كانت واضحة جليلة لكل شيعي ، وكثيرين غيرهم ، بواسطة المراسيم والاحتفالات الدينية التي تقام سنوياً في محرم الحرام .

ويقول كذلك ان شهر محرم له أهميته عند كل مسلم . فقد كان حتى قبل عهد النبي محمد يعرف بالمهرجان السنوي الذي كان يقام فيه . وان اليوم العاشر منه ، الذي يسمى بيوم عاشوراء ، كان يعرف بكونه اليوم الذي تسقط فيه أول مطرة في السنة ، والذي خلق فيه آدم وحواء ، والسماء التاسعة ، ومنحت فيه الرسالة المقدسة لأرواح العشرة آلاف رسول . وفي الوقت الذي يكون فيه اليوم العاشر بمثل هذه الأهمية وغيرها لجميع المسلمين ، فإن محرم كما يعرفه الشيعة ينطوي على العشرة الأولى من الشهر كله وأهمها اليوم العاشر نفسه .

وقد كان معز الدولة البويهبي ، في أيام تفوق البويهيين وحكمهم في بغداد . هو الذي أدخل عادة إحياء الذكرى المؤلفة للحوادث التي وقعت في محرم ، وعين فترة الحداد . فكانت بموجب ذلك تغلق الأسواق ، ويعطل القصابون أعمالهم ، ويتوقف الطباخون عن الطبخ ، وتفرغ الأحواض والبحاريج مما فيها من الماء ، وتوضع الجرار مغلقة باللباد في الشوارع والطرق . وكانت النساء يمشين بشعور منثورة ، وأوجه مسودة ، وملابس ممزقة ، يلطنن الخلود ويولولن حزناً على الحسين الشهيد . وكانت تقرأ في ذلك اليوم المراثي والمناحات كذلك .

اما دونالدسون فيقول (١) في هذا الشأن : ان عادة إعلان الحداد العام

خلال العشرة الأولى من محرم الحرام كانت أعظم ابتداع ابتدعه معز الدولة البويهى . وكان هذا الأمر قد أصدره في ٩٦٣ للهجرة ، فحتم فيه على الناس إحياء الذكرى السنوية لمقتل الحسين . وقد استمرت هذه العادة منذ ذلك الوقت . وأصبحت أشهر العادات وأبعدها صيتاً بين العادات والأعراف الشيعية المألوفة . اما بالنسبة للموكب العام الذي ينظم في اليوم العاشر من محرم بقصد إظهار الولاء لآل البيت فقد عمد الذين يعلنون الحداد فيه الى أبشع الطرق وأكثرها استنارة للرثاء في إهراق دمائهم وتشويه أجسامهم .

ثم يعود هوليستر ويقول إن إحياء مراسيم محرم وطقوسه قد انتشرت بانتشار الشيعة في البلاد . ويمكن ان تلاحظ في الهند على الأخص في (لكناو) حيث لا يزال شيء من البهاء والرونق ، اللذين كانت تعرف بهما أيام ملوك (أوده) الاولين ، محتفظاً به حتى اليوم مع ان البذخ الذي كان يبدو من النوايين ، الذين صرف أحدهم في سنة من السنين على مراسيم محرم وحفلاته الدينية ثلاث مئة ألف باون ، قد انتهى أمره وأصبح نسبياً منسياً . ومع ذلك فان الهبات والأوقاف التي اوقفها محمد علي شاه هناك تجعل المراسيم المقامة في محرم اليوم مفعمة بالحياة والنشاط منذ أول ابتدائها في مساء اليوم الذي يتقدم أول يوم منه . ولا بد من ان نذكر هنا المناسبة ان هوليستر يذكر في موضع آخر من كتابه ان عساف الدولة ملك أوده (تولى في ١٧٧٥) قد صرف على مراسيم العزاء خلال شهر محرم في إحدى السنين ستة ألكاك روبية (١) .

ويعصف الدكتور هوليستر في فصله عن محرم الحرام كيفية احتفال المسلمين

في الهند خلال أيام الحداد العشرة من محرم ، ثم يعدد أنواع هذه الاحتفالات وأشكالها فيبدأ بوصف مجالس التعزية التي تُقرأ فيها قصة مقتل الحسين بصورة متسلسلة موزعة على عشرة أيام ، مبتدئة بدعوة أهل الكوفة للامام عليه السلام ومنتية باستشهاده المفجع .

وهو يقول ان اليومين الأولين يروى فيهما للمحتفلين المحتشدين تهيؤ الحسين للسفر وزيارة المقربين له ، ومذاكراته معهم ، والمشورات التي قدمت له ، ثم سفره ووصوله الى كربلا . وتروى في اليوم الثالث اخبار المخيم الذي خيم فيه الحسين وأصحابه ، وتردده ما بينه وبين النهر ، ومذاكرة بني أسد حول دفن القتلى الذين يمكن ان ينحروا صرعى في ساحة القتال . اما في اليومين الخامس والسادس فتقص على المحتفلين فيهما مصاعب الامام وصحبه ، والبطولة التي أبدأها علي الأكبر قبل استشهاده . وفي اليوم السابع تروى قصة القاسم بن الحسن وبطولته في القتال ، علاوة على قصة زواجه بابنة عمه الحسين . ويخصص اليومان الثامن والتاسع لأخبار العباس عليه السلام وأصحاب الحسين الاثنيين والسبعين ، بينما تروى في اليوم العاشر الظروف الأليمة والشكل الفظيع الذي قتل فيه الامام الشهيد ، وهو بيت القصيد في مجالس التعزية كلها .

ومما يذكره هولستر ان هذه « المجالس » كما يسميها الهنود المسلمون لا تقام في المساجد والجوامع التي تخصص للصلاة فقط ، وإنما تقام عادة في أماكن خاصة او « حسينيات » يطلق على الواحدة منها في الهند « امام باره » . وهذه تخصص لمجالس التعزية وحدها في الغالب أيضاً . ويذكر بالمناسبة ان إحدى (الامام بارات) هذه قد بنيت في جلال بور بمبالغ جمعت من حاكاة البلد ونساجيه بعد ان فرضوا على كل قطعة من منتجاتهم مبلغ « بيزة »

كربلاء في المراجع الغربية ٢٧٥

واحدة (١). ويقال ان (الامام بارة) الكبرى التي شيدت في (هوجل) بالبغال كانت قد كلفت لكن من الرويات. وهناك في (لكتاو) ثلاث (امام بارات) كان ملوك أوده محمد علي شاه، وعساف الدولة، وغازي الدين حيدر، قد شيدها بصورة تدعو للاعجاب، ويطلق على التي شيدها غازي الدين «شاه نجف» لأنها تضم بين جدرانها «ضريحاً» يعتبر تقليداً لضريح الامام علي في النجف. وعلى الشاكلة نفسها توجد في شاه جهانبور (امام بارة) فيها «ضريح» يعتبر تقليداً لضريح الحسين عليه السلام كذلك (٢) ثم يصف هولستر ما يسمى في الهند «التعزية» ويعتبرها من أبرز ما يلتفت النظر في احتفالات الحداد في الهند في أثناء محرم. والظاهر ان كلمة «تعزية» تطلق في شمال الهند على الهيكل المصغر لقبر الحسين، الذي يحمل مع مواكب العزاء الحسيني في يوم عاشوراء. وتطلق على هذا في جنوب الهند كلمة «تابوت». وقد نشأت عادة حمل هذه الهياكل المصغرة في مواكب العزاء، على ما يقال، منذ أيام تيمورلنك (سنة ١٤٠٥ م) الذي جاء بمثل هذا الهيكل الى الهند من كربلاء نفسها.

وتصنع هذه «التعازي»، على اختلاف حجومها ومظاهر الزينة فيها، فوق هيكل من الخيزران فتحمل على أكتاف الرجال الذين يكونون عادة من الهندوس المستأجرين. وتزين بأنواع الزينة والزخارف من الخارج، وقد يعمد الأثرياء والموسرون الى انشائها من الخشب المغلف بالعاج، او الأبنوس او الفضة. ومما يذكر في هذا الشأن ان أحد ملوك أوده كان قد أوصى في انكلترا بصنع «تعزية» مثل هذه من النحاس الأصفر والزجاج الأخضر.

الخليلي

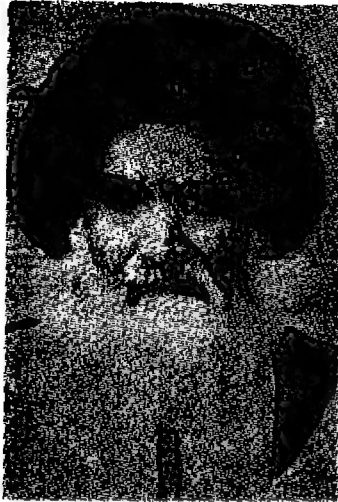
(١) ما يعادل فلساً واحداً في العملة العراقية.

(٢) الص ١٦٥ و ١٦٦.

وقد شاهد هولستر بنفسه « تعزية كبيرة من هذا النوع يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً ولها أربعة طوابق . ولا تحمل مثل هذه « التعزية » الكبيرة عادةً ، وإنما توضع وتزين في أماكن خاصة للتبرك بها . وقد تحمل « التعزية » بشكل هيكل حصان يعلوه سرج من دون خيال ليمثل حصان الامام الشهيد المسمى « دلدل » .

ويتوسع هولستر في وصف هذه التعزيات وزينتها وكيفية التبرك بها وحملها في المواكب وما أشبه . ثم يأتي كذلك على ذكر الأعلام التي ترفع بالتفصيل من حيث الشكل واللون والرأس ، ويقول ان شيعة لكناو محظوظون لأن عندهم بين ظهرائهم نفس « البنجة » او الكف المعدنية التي كانت تعلق علم الحسين في كربلا . وهي محفوظة في « دركاه » شيد خصيصاً لها . أما كيفية أخذها الى الهند فيذكر قصة تروى عنها ، وهي ان أحد الحجاج الهنود في مكة رأى في الطيف ذات ليلة « عباس علي » حامل لواء الحسين عليه السلام ، فدلّه على المكان الذي توجد مدفونة فيه في كربلا نفسها . وحينما ذهب الحاج الهندي الى ذلك المكان وجد « البنجة » عيناها فجاء بها الى النواب عساف الدولة عاهل (لكناو) يومذاك ، فعمد هذا إلى تشييد مزار خاص لها وعهد بسدائه الى الحاج المحظوظ الذي جاء بها من كربلا بلد الحسين . وبعد مدة من الزمن تمرض سعاد علي خان وشُفي فشيد على أثر ذلك دركاها أجمل للبنجة المقدسة . ويأتي الناس في اليوم الخامس من محرم إلى هذا المزار كل سنة ليلمسوا البنجة بأعلامهم . ويقدر ان الأعلام التي يؤتى بها لهذا الغرض كانت تبلغ في الأيام السالفة حوالي أربعين أو خمسين ألف علم (١) .

(١) ان هذا الخبر يتقله هولستر عن : Irwin, H. C. — The Garden of India المص ١٠٩



المرجع الديني السيد أبراهيم الأصفهاني



الزعيم الديني المصلح السيد محسن الأمين

ومما يشير اليه بالتفصيل كذلك المرآتي التي تلقى في مواكب العزاء التي يقول عنها انها تكون عبارة عن قطع أدبية رائعة في بعض الأحيان . ويشير من بينها الى مراثية (المير أنيس) على الاخضر، التي يقول انها مع ما فيها من طول واغراق في الغلو والمبالغة قطعة أدبية بليغة تثير أعظم العواطف وأقوى الأحاسيس حينما تقرأ خلال الأيام العشرة كلها . وتنطوي بين تضاعيفها على قوة بالغة في الوصف لا بد لأقوى الرجال من أن تدمع عيناه عند سماعها (١) .

اما في يوم عاشوراء فتستعد مواكب العزاء للخروج منذ الصباح الباكر في الهند ، وبعد مراسيم مختصرة ترفع « التعزية » العائدة لكل موكب من مكانها في (الامام بارة) مع الأعلام وتؤخذ مشياً على الأقدام الى حيث تدفن في أماكن يطلق على كل منها « كربلاء » ،

اما في (بومبي) فتؤخذ الى البحر وترمى فيه . لكن (التعزيات) الثمينة

(١) الد. ١٧٠ من كتاب (هوليستر) .

والكبيرة تعود بها المواكب الى مكانها الأول حيث تحفظ للسنيين المقبلة . ويسير الموكب سيراً بطيئاً في العادة ، وعلى خط معين ، لكنه يتوقف عن السير بين حين وآخر لالقاء المراثي وقراءتها . ويقوم عدد كبير من الناس خلال السير باللطم على الصدور والتنادي بجملة « يا حسين ، يا حسين » بين حين وآخر ، بينما يقوم آخرون بضرب ظهورهم بمنّة ويسرة بسلاسل الحديد أو الخشب ذي المسامير الحادة فيخرجون الدم منها . ويذكر هولستر أن نظام (حيدر آباد) كان قد أصدر في ١٩٢٧ فرماناً يمنع فيه الضرب على الصدور أو الظهور بالسلاسل والمسامير خلال محرم في ممتلكاته . ثم يقول ان الكثيرين من الشيعة في الهند وغيرها يستهجنون هذه العادة برغم عقيدتهم الراسخة بالحسين ضجيع كربلا (١) .

وقد تمسح الدموع التي تلتف خلال محرم بالقطن أحياناً ، ويجمع هذا القطن بالذات من قبل الشخص الحزين نفسه أو شخص مختص آخر . والمعروف عن هذا القطن انه مفيد لشفاء بعض الأمراض والأوجاع (٢) . ومن طريف ما يذكره هولستر عن جميع هذه المآتم والاحتفالات العزائية التي تقام في الهند خلال محرم ، ان عدداً غير يسير من أهل السنة والهندوس يشاركون فيها ويعتقدون بها كذلك . والمقول هناك ان الطبقات الدنيا من الهندوس في مقاطعة (بيهار) يعبدون الحسن والحسين بالفعل ويعتبرونهما في صف الآلهة ، وان النساء والرجال من بين الطبقات العليا

(١) كان قد صدر تحريم بذلك بموجب فتاوى لكبار علماء الشيعة واعتبار هذا النوع من المراسم أمراً محرماً وغير شرعي وكان في مقدمة أولئك الذين أفتوا بتحريمها المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني اما السيد محسن الأمين العاملي فكان أول من شن حملة عليها وشجبها وتعتبر حملته هذه اكبر حملة تناولتها الصحف والكتب في وقتها . وقد اشير إليها في كتاب (هكذا عرفتهم) في اثناء استعراض حياة الزعيم الروحاني السيد محسن الأمين ، والسيد أبي الحسن اشارة كافية .
الخليلي

كذلك (مثل الكياشثا والأغاروالا والراجيوت) يندرون من أجل الحصول على النسل والأولاد ان يقوموا ببعض الأدوار في مواكب محرم لعدة سنين ؛ وخلال مدة حياتهم كلها في بعض الأحيان . وهؤلاء يمتنعون خلال محرم عن تناول الملح ، والطعام الحيواني ، ويهجرون جميع وسائل الترف . وتعتبر مختلف طبقات الهندوس في بارودا « التعزيات » التي تحمل في مواكب العزاء أشياء مقدسة ، وهم يمارسون بعض الحركات للتبرك بها مثل المرور من تحتها أو رمي أنفسهم على الأرض في طريقها .

ولقد روى أحد الصحفيين ان الهندوس في جنوب الهند من جميع الطبقات ، عدا البراهمة ، يطلقون على كل علم من أعلام محرم « بير » ، ولهذا صار يدعى علم الإمام علي « لال صاحب » . كما يعرف عن النساء العقيمت هناك انهن يرمين أنفسهن أمام أعلام محرم ويندن النذور لها من أجل الحصول على الأولاد . وحيثما يُرزقن بهم يطلقون عليهم أسماء مثل (هوسانا) أو حسينا أو فاطمة ، أو فقيراً ، أو ما أشبه . وقد كان من المعروف في بارودا ان الرئيس ، أو (القيكرار) الهندوسي يرعى مراسم العزاء في محرم بنفسه ، وان المهرجا الهندوسي في (غواليور) يقود المواكب كل سنة في عاصمته . ويقال ان منشأ هذا هو ان المهرجا كان قد مرض قبل خمسين أو ستين سنة ، فرأى ذات ليلة من ليالي مرضه الإمام الحسين في المنام فقبل له انه سوف يشفى ويبلى من مرضه في الحال . اذا ما أقام مجلساً من مجالس التعزية في محرم باسم الحسين عليه السلام ، ووزع الصدقات فيه . وقد فعل ذلك فشفي بأذن الله ، فبقيت العادة حتى يومنا هذا ، لكن المهرجا الحالي من نسله صار يكتفي اليوم بركوب حصان فاره يتقدم به موكب العزاء في يوم عاشوراء . وتقوم خزينة الدولة هناك بتسديد مصاريف الموكب .

وغلب ان أنني البحث عن محرم وعاشوراء لا بد لي من أن أشير هنا الى ان الكاتبة الانكليزية القديرة (فراياستارك) كانت قد كتبت فصلاً صغيراً عن عاشوراء في كتابها المعروف بأسم « صور بغدادية » (١). وتبدأ هذا الفصل بقولها ان الشيعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي يحيون ذكرى الحسين ومقتله ويعلنون الحداد عليه في عشرة محرم الأولى كلها ، حتى يصل بهم مد الأحران البطيء الذي يستولي على أنفسهم الى أوجه بمواكب العزاء التي تخرج في اليوم الأخير حاملة النعش بجثته « المذبوحة ». ثم تشير الى مواكب العزاء ، و « السبايا » التي تمثل فيها وقائع معركة كربلاء . وهي تقول ان هذه المواكب التي تقام في بغداد والمدن المقدسة يعرف مجيئها من بعيد بصوت اللدم على الصدور العارية . ثم تأخذ بوصف مجلس تعزية للنساء في الكويت أخذت اليه بصورة متكررة . وتنتهي من الفصل بالإشارة الى ان الأطفال الإيرانيين الموجودين في الكويت يؤخذون الى (الملا) في اليوم العاشر من محرم ليمرر تحت ذقونهم امراراً رمزياً سكينته الكبيرة ، دلالةً على فروض التضحية والفداء . ثم تعقب على ذلك قائلةً وهكذا تمر الحقيقة الناصعة من الميثولوجيا الى الديانة الحقة ، ومن الديانة الى التصوف . ومن المفيد ان نجدهم يتمسكون اليوم بهذه الطقوس البسيطة التي تدل على أول يوم فتحنا فيه أعيننا للوجود في هذا العالم ، لئلا ننسى الأخوة الإنسانية .

وفي فصلها الكبير عن النجف الذي كتبته في هذا الكتاب تأتي المس فرايا ستارك على ذكر كربلاء والحسين كذلك ، فتقول (٢) : « .. وعلى

(١) Stark, Freya - Baghdad Sketches, 1937

الصف ١٤٥ - ١٥٠ طبعة كيلد بوكس (١٩٤٧) .

(٢) الصف ١٦٨ من المرجع الأخير .

مسافة غير بعيدة من هذه البقعة جمع جمع ابنه الحسين الى جهة البادية وظل يتجول حتى نزل في كربلاء .. وهناك نصب مخيمه ، بينما أحاط به أعداؤه ومناوئوه ومنعوا موارد الماء عنه . وما تزال تفصيلات تلك الوقائع واضحة جليلة في أفكار الناس في يومنا هذا كما كانت قبل (١٢٥٧) سنة . — من الممكن لمن يزور هذه المدن المقدسة ان يستفيد كثيراً من زيارته . — يقف على شيء من هذه القصة لأن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل الى الأسس . وهي من القصص القليلة التي لا يستطيع قراءتها من دون ان يتتأني البكاء . « ثم تقول ان التاريخ قد توقف في كربلاء والنصف منذ ان وقعت تلك الفاجعة ، لأن الناس أخذوا يعيشون فيهما على ذكره . الكراهية لأعداء الحسين المظلوم .

وفي ١٩٤٣ كتب المستر سيتون لويدي (١) ، خير الآثار القديمة في بغداد لعدة سنوات ، كتابه الموجز تاريخ العراق من أقدم العصور إلى يومنا هذا ونشره باسم « الرافدان » . وقد حلل في عدد من صفحات كتابه تحليلًا بارعاً موقف الامام علي من معاوية ، وخرج منه الى مقتل الحسين في كربلاء . وهو يقول ان الفظاعة التي اقترفت في المعركة والفرع الذي أصاب المسلمين بقتله يكونان أسس « المسرحية الأليمة » التي تثير الطوائف الشيعية في هذه الإسلامي كله الى حد الحق الديني في عشرة عاشوراء من كل سنة . فقد أحيط بالحسين وأتباعه ، وغلبته كثرة الأعداء غلبة تامة ، ومع أنه كان بوسعه ان يهرب فيعود الى المدينة غير ان عقيدته الصادقة بعدالة قضيته دفعته الى ان يسير فيما أقدم عليه قداماً الى الأمام . وفي الليلة التي سبقت يوم المعركة عزمت عصبته الصغيرة على الصمود فعمدت إلى القيام بعمل دراماتيكي

طويل بحفر بخندق عريض من وراء المخيم ، وملئه بحزم الحطب الملتهبة ليحول دون تقهقرهم فيها . وفي صباح اليوم التالي قاد الحسين ، وهو يمسك باحدى يديه القرآن والسيف بيده الأخرى ، عصبته المستشهدة الى الموت المحتم . ولم يفعل جنده يزيد أكثر من ان يحيطوا بهم من بعيد ويمطروهم بوابل من نبالهم فسقطوا واحداً بعد آخر حتى بقي الحسين فريداً لوحده . وكان من الممكن ان يستبقي هو نفسه ، لكن ذلك لم يكن هو المطلوب في ذلك اليوم التاريخي المشهور . فقد تجمع ثلاثة وثلاثون من أتباع بني أمية وتضافروا بأسلحتهم فصبوها إليه ، وديست جثته المشنخة بالجراح ثم احتز رأسه فأخذ إلى الكوفة (١) .

ثم يقول المستر لويد ان من بقي على قيد الحياة من أسرة الامام علي عليه السلام قد أطلق سراحهم يزيد وسمح لهم بالعودة إلى مكة (الصحيح انهم عادوا الى المدينة) . وما زال آلم والمتحدرون من نسلهم موضع احترام المسلمين وتبجيلهم حتى يومنا هذا . لكن الأئمة من آل البيت وهم علي ، والحسن ، والحسين ، والتسعة من أولادهم يقدسهم الشيعة ويعتبرونهم هم الخلفاء المحققين الوحيدين . وتعد قبورهم في الفرات الأوسط وخراسان نماذج بديعة للفن الإسلامي الرفيع ، كما يعد كل واحد منها محجاً للزوار الشيعة .

ثم يأسف لأن جمال هذا الفن لا يمكن ان يتمتع به غير المسلمين ، فيقول انه من المؤسف المفجع حقاً ان يبقى جمال المسجدين المقدسين في كربلاء والنجف محجوباً إلى الأبد عن أعين الناس من غير المسلمين . ويستشهد في هذا الشأن بما كانت قد قالته (المس بيل) من قبل في نفس المال خلال وصفها

كربلاء في المراجع الغربية ٣٨٣

لكربلا الذي أوردناه في ضمن هذا البحث من قبل بصدد مجيئها إليها في ١٩٠٩. ويعقب لويد على ملاحظات المس بيل هذه بقوله «.. ان ثلاثين سنة قد مرت على ما كتبتة هي ، وفي هذا اليوم أجد نفسي منهمكاً في تأسيس متحفين صغيرين في كربلا والنجف ليضمما بين جدرانهما بعض النفائس التي تأتي المس بيل على ذكرها حتى يكون من الممكن في النهاية ان يشارك الشيعة في التمتع بهذا الجمال الفني غير المسلمين أيضاً. » (١)

كربلاء في دائرتي المعارف البريطانية والاسلامية

وتصف قبل ما يقرب من ثلاثين سنة وصفاً مقتضباً دائرة المعارف—البريطانية (٢) المعروفة كربلا.. فتقول انها بلدة من بلدان العراق الشهيرة تقع على درجة ٣٢ و ٤٠ ثانية شمالاً ، و ٤٤ ثانية شرقاً ، وتبعد عن بغداد بمسافة ستين ميلاً في اتجاه جنوبي غربي وعن فرع الهندية من الفرات بعشرين ميلاً ، على حاشية بادية الشام. وقد بلغ عدد نفوسها في ١٩٣٥ (٦٥,٠٠٠) نسمة. وسكانها كلهم من المسلمين الشيعة تقريباً ، وهي كالنجف لا يمكن أن يقيم فيها غير المسلمين من الناس. (٣) ويتفرع إليها من موقع يقع في شمال الحلة فرع خط سكة حديد بغداد—البصرة. والبلدة هي عاصمة لواء كربلا الذي يسمى بأسمها. ويبلغ عدد النفوس فيه كله (احصاء ١٩٣٥) ١٢٤,٢٩٠ نسمة. ولا يخفى ان الاحصاء الأخير الذي جرى في هذه السنة (١٩٦٦) قد بلغ عدد نفوس المدينة وحدها فيه (٨٣,٣٠١) نسمة ، وعدد نفوس اللواء كله (٣٣٩,٦٩٢) نسمة.

(١) المر ١٤٥ .

Encyclopaedia Britannica (٢)

الخلي

(٣) ليس من الصحيح ان اقامة غير المسلمين فيها غير ممكن .

ثم يقول : وتعد كربلا من المراكز الدينية المقدسة التي يقصدها الشيعة للزيارة من أنحاء العالم الإسلامي كله ، وتأتي في القداسة بعد مكة والنجف . ويزورها الزوار من جميع الطبقات ، كما يؤتى إليها بالحنائر للدفن باعتبارها طريقاً آمناً إلى الجنة . ولما كانت في مثل هذا الوضع بالنسبة للزوار ، ولكونها ميناءً من موانئ البادية في الوقت نفسه ، فإن حركة تجارية غير يسيرة تنشط فيها عادةً . وتتألف صادراتها في الدرجة الأولى من التمور والجلود والصوف والسلع الدينية . وتشترى كربلا لقاء ذلك بضائع مابخسرت والسجاد والشموع والتوابل والقهوة والشاي . كما تعد الأراضي المحيطة بها من الأراضي الحصبة التي يسهل ارواؤها ، وهناك مساحة غير قليلة منها مزروعة ببساتين النخيل وغيرها من الأشجار المثمرة .

وللقسم الخارجي الحديث منها شوارع واسعة نسبياً ، لكن قسمها القديم الذي كان الأتراك قد هدموا أسواره في ١٨٤٣ تتعرج فيه الطرق والأزقة الضيقة تعرجاً غير يسير كما هي الحال في المدن الشرقية معظمها . وفي موقع هذا القسم من كربلا كان يزيد قد جرد جيشاً لقتل الحسين بن علي شهيد المسلمين سنة ٦٨٠ م . وتحيط المدينة اليوم بضريحه المقدس الذي تعلوه قبة مكسوة بالذهب وثلاث منائر مذهبة كذلك . (الظاهر ان هذه الخلاصة قد كتبت قبل ان تهدم المنارة الثالثة وهي منارة العبد التي لم تكن مذهبة كذلك كما بينا قبل هذا) .

وكربلا ، مثل النجف ، تدخلها واردات دينية كثيرة جداً لكنها لما كانت واقعة على حافة السهل الرسوبي الواسع فإنها لا تعتبر مركزاً لتبادل السلع الذي تجدد طريقها إلى البادية فقط وإنما يمكن ان تزرع فيها المحاصيل الزراعية بنجاح تام أيضاً . وبالإضافة إلى كونها مركزاً دينياً مرموقاً هي نفسها فإنها

كربلاء في المراجع النظرية ٣٨٥

تعد مركزاً مهماً كذلك يقع في طريق الزوار الداهيين الى النجف والحجاج إلى مكة المكرمة في الحجاز .

أما دائرة المعارف الإسلامية التي مرت الاشارة اليها بكثرة في صدر هذا البحث فهي تصف كربلاء في عهدها الأخير وصفاً موجزاً أيضاً . إذ تقول ان كربلاء التي يبلغ عدد نفوسها ما يزيد على الخمسين ألف نسمة ، تعد أغنى المدن العراقية وأكثرها ازدهاراً . ويُعزى ازدهارها لا إلى تقاطر العدد الكبير من الزوار عليها لزيارة قبر الحسين فيها فقط ، بل لأنها أهم نقطة يمر منها المسافرون الى النجف ومكة المكرمة كذلك . وهي بحكم موقعها على حافة السهل الرسوبي الفسيح تعد ميناءً صحراوياً مهماً للتجارة مع داخلية الجزيرة العربية . ولعل هذه النبذة مستقاة من دائرة المعارف البريطانية كما يظهر من فحواها .

ثم تقول ان القسم القديم من البلدة ، وما فيه من أزقة وطرق متموجة متعرجة يحاط بضاحية حديثة . ومع وجود عدد غير قليل من الايرانيين بين سكانها فان أغلبية السكان هم من العرب الشيعة . وأهم العشائر التي ينتمي اليها هؤلاء بنو سعد ، والصلالة ، والوزون ، والطهامة ، والنصاروة . وتعد أسرة آل الددة أغنى أسرة فيها (١) ، لأن السلطان سليم (الصحيح هو السلطان سليمان) كان قد أقطعهم مقاطعات واسعة الأرجاء حولها مكافأة لهم على اشرافهم على حفر نهر الحسينية وتعميره .

وتطلق كلمة كربلاء بمعناها الضيق على القسم الواقع الى الشرق من بسايتين

(١) ليس من الصحيح ان أسرة آل الددة هم أغنى أسرة في كربلاء . الخليلي

النخيل التي تحيط بالمدينة على شكل نصف دائري ، أما البلدة نفسها فتسمى المشهد ، او مشهد الحسين

وتقع الحضرة في صحن تبلغ مساحته ٢٧٠×٣٥٤ قدماً ، ويحاط هذا الصحن بحجر واواين متعددة . ويلاحظ ان جدرانها مزينة بنطاق متواصل من الزينة التي يقال انها تنطوي على آيات القرآن الكريم جميعها مكتوبة بالأبيض فوق أرضية زرقاء وتشغل الحضرة نفسها مساحة قدرها ١٥٦×١٣٨ قدماً . ويحاط الفناء الأساسي المستطيل الذي يكون الدخول اليه من الفناء المذهب الخارجي برواق مقبب يسمى الآن الرواق العجمي ، وفيه يطوف الزوار حول الضريح المقدس الذي يبلغ ارتفاع صندوقه ست أقدام وطوله اثنتا عشر قدماً . وهو محاط بمشربية من الفضة ، يقوم بجانبها ضريح ثان أصغر في حجمه ، هو ضريح ابنه ورفيقه في السلاح (علي الأكبر) .

هذا وان الانطباع العام الذي تولده داخلية الحضرة في نفس الداخل اليها عند الاصيل لا بد من ان يعد انطباعاً مؤثراً خلافاً ، لأن ضوء المصابيح والشموع التي لا يحصى عددها من حول الشباك الفضة ينعكس ألف مرة ، وألف أخرى ، من السطوح البلورية الصغيرة التي لا عد لها فيولد تأثيراً سحرياً لا تتركه أحلام الخيال . ويتناقض لآلاء هذه الانعكاسات ، كما يقل سطوع الأنوار المنعكسة بالتدرج ، كلما ارتفعت أشعتها إلى أعلى القبة فيقتصر الاشعاع والانعكاس على عدد قليل من البلورات التي ينعكس عنها الضوء هنا وهناك فيلتصع في الجو المعتم كما تلتصع النجوم في كبد السماء (١) .

ويزين الحير من جهة القبة بزينة خلابة غالية الثمن . كما تقوم منارتان

(١) الوصف نقلته دائرة المعارف الاسلامية عن كتاب نولده الالماني المشار اليه قبل .

كربلاء في المراجع الغربية ٢٨٧

من جهتي المدخل فتعلوان في السماء بين يدي القبة ، اما المنارة الثالثة ، وهي منارة العبد ، فتقوم بين يدي الأبنية في الجهة الشرقية من الصحن . وتراجع الجدران المحيطة بالصحن من الجهة الجنوبية بمسافة تناهز الخمسين قدماً . ولا شك ان هذا الوصف يسبق التعديلات التي أدخلت على الصحن سنة ١٩٣٧ فأدت الى قلع منارة العبد وتوسيع الصحن نفسه .

وجاء في دائرة المعارف هذه كذلك ان البقعة هذه يوجد فيها مسجد لأهل السنة . وفي لصق الصحن من الجهة الشمالية توجد مدرسة كبيرة تبلغ مساحتها حوالي (٨٥) قدماً مربعاً ، ولهذه المدرسة مسجدها الخاص . وعلى بعد ست مائة ياردة من شمالي شرقي الروضة الحسينية يقوم ضريح أخيه العباس بن علي ، وعلى الطريق المؤدي إلى خارج البلدة من جهة الغرب يقع موقع المخيم الذي نصب فيه الحسين نحيمة الأصلي ، أي (الخيمكاه) . وتمتد البناية المشادة فيه شكل خيمة من الخيم ، وعلى جهتي المدخل منها صورتان حجرتان لسروج الابل .

وفي الهضبة الصحراوية ، الحماد ، الممتدة في غرب البلدة تقوم مقابرها ومدافنها الكبيرة . وفي شمال البساتين المحيطة بكربلاء تقع ضاحية البقير وحقوقها وبساتينها ، كما تقع في شمالها الغربي ضاحية القرية ، وفي جنوبها ضاحية الغاضرية وبساتينها . ومن بين الأماكن القريبة التي يأتي على ذكرها ياقوت الحموي : العقر ، والنوايح .

نتف متفرقة

هذا ولم أعر على كتب غربية أخرى ، غير ما ذكرت ، تشير الى كربلاء بشيء يلفت النظر أو يستحق التدوين ، لا سيما بالنسبة للسنوات العشرين الأخيرة . على انني وجدت بعض النتف والأخبار في كتاب لونكريك الموسوم

(العراق بين ١٩٠٠ و ١٩٥٠) الذي أشرت اليه من قبل ، وفي كتاب أمريكي ظهر في ١٩٥٨ للمؤلف يدعى جورج هاريس تحت عنوان (العراق - سكانه ومجتمعه وحضارته) (١) .

فقد جاء في كتاب (٢) لونيكرين ان خط سكة الحديد ما بين بغداد والبصرة قد أعيد فتحه بعد انتهاء الحرب العامة الأولى في نيسان ١٩٢١ ، وبعد ذلك بمدة وجيزة انشيء الفرع الممتد من المسيب والسدة الى كربلا .

وجاء في موضع (٣) آخر من الكتاب نفسه عن كربلا ان مظاهرات قد حصلت فيها سنة ١٩٢٧ ، وهي السنة التي نشر فيها كتاب النصولي عن تاريخ الاسلام والعرب الذي اعتقد ان بعض ما جاء فيه كان متافياً لآراء الشيعة ومعتقداتهم على حد قوله . وكانت تلك المظاهرات قد تمت بتحريض من حزب النهضة الشيعي الذي كان يرأسه الحاج أمين الجرجفجي . على ان هذا التحريض لم يكن سببه حادثة كتاب النصولي وحدها ، وانما حدثت حوادث سياسية أخرى كان يعارض فيها الحزب المذكور . وهاك ما يقوله المؤلف بالنص :

« .. ثم أخذ حزب النهضة يشنع بالوزيرين الشيعيين المشتركين في الوزارة ويندد بتعاونهما مع الحكومة ، وعمد الى تنظيم المظاهرات في كربلا ، والنجف ، وكتابة المقالات الرنانة في صحفه ، فأدى ذلك لياسين الهاشمي وكيل رئيس الوزراء الى سدها . وحينما اعترضت المقامات العليا عليه قدم استقالته من الوزارة

Harris, George L. — Iraq, its People, its Society its Culture (١)
New Haven 1958.

(٢) الص ١٧٣ .

(٣) الص ١٧٨ .

وحذا حذوه رشيد عالي الكيلاني (١) .

وحيثما يعمد المستر لونكريك في كتابه هذا إلى تحليل احوال العراق الاجتماعية وتقدمه ، نراه يحلل تكاثف النفوس واحتشادهم في مختلف الأماكن ويذكر كربلا بالمناسبة مستنداً على إحصاء ١٩٤٧ . فقد ظهر بنتيجة هذا الاحصاء ان كثافة النفوس في كربلا تبلغ (٤٦) نسمة في الكيلومتر المربع الواحد ، بينما تبلغ الكثافة في الحلة (٤٩) وهي اكثر المدن العراقية كثافةً في السكان ، و (٤٠) في بغداد . ويتطرق إلى الموضوع نفسه فيوياً ما أوردناه هنا المستر هاريس .

ويعمد المستر هاريس (٢) كذلك الى تحليل إحصاء النفوس من نواحٍ أخرى علاوةً على هذا ، فيأتي ذكر كربلا فيه : فهو يذكر ان الأجانب الموجودين في العراق بلغ عددهم في هذا الاحصاء (٧٣,٨٢٨) نسمة أي حوالي واحد ونصف بالمئة من سكان العراق . وهم يتركزون غالباً في بغداد التي يوجد فيها (٢٩,٢٠٤) منهم ، وكربلا التي يوجد فيها (٢١,٦٧٠) منهم ، والبصرة التي يوجد فيها (١٣,٠١٢) منهم .

ثم يتطرق (٣) إلى عدد البدو الموجودين في العراق ، فيرد اسم كربلا بالمناسبة أيضاً . فهو يذكر بالاستناد الى احصاء ١٩٤٧ ان عدد سكان البدو في العراق يبلغ حوالي (٢٥٠,٠٠٠) نسمة ، وان نصف هؤلاء تابعون للواء كربلا . ولا شك انه يعني بذلك قبائل عنزة التي يعيش قسم كبير منها في منطقة شفاعة والأخضر . اما النصف الآخر فيتبع الى بعض الألوية الأخرى

(١) اراجع الجزء الأول من قسم (النجف) من هذه الموسوعة كذلك الص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٢) الص ٤٥ .

(٣) الص ٣٤ .

على الوجه الآتي :

لواء الموصل ٧٠,٠٠٠ ، لواء المنتفك ٣٠,٠٠٠ ، لواء الدليم ٢٥,٠٠٠ .

اما من النواحي الأخرى فيقول المستر هاريس (١) ان رجال الدين الشيعة ، ولا سيما في كربلا والنجف ومناطق الفرات الأوسط التي يحيط بهما كان يتكون منهم جهاز قيادة يستطيع تحريك المعارضة وتوجيهها ضد سياسة الحكومة ومشاريعها في عهد الانتداب وما بعده .

وفي معرض البحث عن المرأة العراقية ومستواها الاجتماعي يتطرق (٢) هاريس الى ذكر الحجاب والاختلاط بين المرأة والرجل في المجتمع العراقي ومقدار انتشارهما في المدن والمناطق الريفية ، ويقول ان الحجاب وانعزال المرأة معروفان في المدن على الأخص مع ان دخول المدنية الغربية الى البلاد قد ادى الى اختفائهما تقريباً من بين نساء الطبقتين الوسطى والراقية في بغداد . ثم يعود فيشير الى ان انعزال المرأة عن الرجل في المجتمعات ما زال هو القاعدة العامة في مراكز الأولوية ، ويحصل التشدد به على الأخص في كربلا والنجف حيث يندر ان تسير المرأة غير متحجبة فيهما .

(١) الص ٩٦ .

(٢) الص ٣٠٢ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
كربلا قديمأ	٩
الطف	١٨
قصر مقاتل	٢٠
الحائر	٢١
عين التمر	٢٦
شفائا	٣١
الغاضرية	٣١
نينوى	٣٢
نهر العلقمي	٣٢
العقر	٣٨
عرض تاريخي مجمل لمصرع الحسين (ع)	
مصرع ابي عبدالله الحسين (ع)	٤٥

الموضوع	الصفحة
---------	--------

كربلا في المراجع العربية

كربلا في الحديث	٧٧
كربلا في تاريخ الرسل والملوك	٨٢
كربلا في تاريخ المنتظم	٨٦
كربلا في الكامل	٨٩
كربلا في الجامع المختصر	٩٨
في مختصر اخبار الخلفاء	٩٩
في الحوادث الجامعة	١٠٠
كربلا في منتخب المختار	١٠٣
في تاريخ العراق بين احتلالين	١٠٥
كربلا في الجغرافيا	١٣٨
كربلا في الرحلات	١٤٠
كربلا في الأدلة	١٥١

ما ورد في المظان التاريخية

كلمة	١٦٥
كربلا في معجم البلدان	١٦٧
كربلا في احسن التقاسيم	١٦٧
المسعودي وكربلا	١٦٩
ابن الاثير والطف	١٧١
كربلا في الفخري	١٧٢
ابن عماد الحنبلي وكربلا	١٧٢

الموضوع	الصفحة
كربلا في التوفيقات الالهامية	١٧٣
في دوحة الوزراء	١٧٤
كربلا في حديقة الزوراء	١٧٦
في موجز تاريخ البلدان العراقية	١٧٨
كربلا في المحاضرات	١٨٤
كربلا في المراجع الاستشراقية	١٨٧
كربلا في المعاجم	١٩٥
كربلا وابو فراس الحمداني	٢٠٥
اهم المصادر العربية والغربية لذكر كربلا والحسين (ع)	٢٠٧

كربلا في الشعر .

الشيخ ابراهيم الكفعمي	٢١٣
ابن هانيء الاندلسي	٢١٣
ابو تمام	٢١٤
ابو دهبيل الحمصي	٢١٤
ابو فراس الحمداني	٢١٥
ابو محجن بن حبيب	٢١٥
السيد احمد الرشدي	٢١٥
الشيخ جابر الكاظمي	٢١٥
الحسين المغربي الوزير	٢١٦
السيد حيدر الحلبي	٢١٧
خضر عباس الصالحلي	٢١٨

الموضوع	الصفحة
رشيد الهاشمي	٢١٩
سبط ابن التعاويني	٢١٩
سلمان هادي الطعمة	٢٢٠
سليمان بن قتة	٢٢٠
شبرمة بن الطفيل	٢٢١
الشريف الرضي	٢٢١
الصاحب بن عباد	٢٢٢
طلائع بن رزيك (الملك الصالح)	٢٢٢
عائكة بنت زيد	٢٢٥
عبد الباقي العمري	٢٢٥
عبد الحسين الحويزي	٢٢٩
عبد الغفار الاخرس	٢٣٠
عبدالله العلايلي	٢٣٣
فليح حسون	٢٣٣
كاظم الازري	٢٣٤
كثير عزة	٢٣٤
الكميت بن زيد الاسدي	٢٣٥
محسن ابو الحب	٢٣٥
محمد حسن ابو المحاسن	٢٣٥
محمد الحسين كاشف الغطاء	٢٣٧
محمد علي كمونه	٢٣٧
مربي شاكرا الطنطاوي	٢٣٨

الموضوع	الصفحة
مصعب بن الزبير	٢٣٩
معن بن اوس المزني	٢٣٩
مهدي الجواهري	٢٣٩
مهيار الديلمي	٢٤٠
موسى الطالقاني	٢٤٢
مير علي ابو طيخ	٢٤٣
هاشم الكعبي	٢٤٤

كربلا في المراجع الغربية

كربلا في المراجع الغربية	٢٥١
اول من زار ضريح الحسين (ع)	٢٥٦
هدم المتوكل لقبر الحسين	٢٥٨
كربلاء في ٣٦٩ - ٧٢٧ هـ	٢٦٠
الشاه اسماعيل في كربلا	٢٦٣
السلطان سليمان في كربلا	٢٦٥
منارة العبد	٢٦٦
كربلا في القرن السابع عشر والثامن عشر	٢٦٧
هجوم الوهابيين	٢٧٠
كربلا في اوائل القرن التاسع عشر	٢٧٥
واقعة نجيب باشا	٢٧٦
بعض مظاهر التجديد	٢٨٠
مشاهدات (تكسيرا) في كربلا	٢٨١

الموضوع	الصفحة
كربلا في رحلة نيبور	٢٨٦
(لوفتس في كربلا)	٢٩٠
كربلا في رحلة (جون أشر)	٢٩٦
(مدام ديولافوا) في كربلا	٣٠١
الموظفون الانكليز في كربلا	٣٥٤
مؤتمر كربلا	٣٥٥
معارضة المجلس التأسيسي وانتخابه	٣٥٨
دونالدسون في كربلاء	٣٦١
التربة الحسينية	٣٦٧
محرم الحرام	٣٧٠
كربلا في دائرة المعارف البريطانية والاسلامية	٣٨٣
نتف متفرقة	٣٨٧

هذه الموسوعة

على الرغم من انتشار الحضارة والثقافة التي دفعت بالكثير من العلماء والمحققين والباحثين في العصور الأخيرة الى احياء مختلف التراث الاسلامي والآثار العربية فيما بحثوا ، وحققوا ، وكتبوا ، فقد ظلت هنالك كنوز ذات قيمة كبرى في تاريخ العالم الانساني فضلاً عن تاريخ الاسلام والعرب .

لقد ظلت هذه الكنوز مطمورة في بطون الكتب المخطوطة والمطبوعة لم يسها احد الا من بعض اطرافها، ولم يتطرق اليها باحث الا من بعض جوانبها ، وهي كنوز لم تقتصر على ناحية دون ناحية ، فهي تخص العلم ، والادب ، والفن ، والفلسفة ، بقدر ماتخص الفقه والتاريخ ، متمثلة كلها في تاريخ العتبات المقدسة :

مسكة المكرمة - المدينة المنورة - القدس الشريف - النجف الاشرف - كربلاء - الكاظمين - مشهد الرضا - سامراء .. الخ

فل بكل عتبة من هذه العتبات تاريخ ذو علاقة جد وثيقة بالثقافة والحضارة الاسلامية والعربية ، مما اختزنه من المخطوطات الاثرية ، والروائع الادبية ، وما قامت به من المدارس طوال العصور المظلمة ، اذ لولا هذه العتبات لما بقي اليوم بايدينا من تلك الكنوز الا النزر اليسير .

وهذا هو الذي دفع بطائفة من اهل الفضل واساتذة جامعة بغداد من ارباب الاختصاص الى ان تتضافر جهودهم في اخراج موسوعة تاريخية - علمية - اثرية - ادبية - عامة ، تتناول جميع العتبات المقدسة بالبحث المفصل الشامل منذ اول تمصير العتبة المقدسة حتى اليوم - على ان يكون لكل عتبة اجزاء خاصة ، وان يكون كل جزء منها مستقلاً بمواضيعه .

وهو اول عمل من نوعه ، واول مجهود خطير يقوم به مؤلفه ، ويكفي ان يستدل القارئ على خطورته مما يقع تحت عينيه من اجزائه .

